عبداللطيف البغدادى

مذكرات

عبداللطيف البغدادى

الجزء الثانى

المكتب المصرى الحديث

تمهيد

شهادتى للتاريخ

كنت قد اعتبرت ما جاء فى الجزء الأول من مذكراتى أنه يمثل المرحلة الأولى من مراحل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وقد ختمت ذلك الجزء بأحداث معركة السويس بعد تأميم القناة عام ١٩٥٦ .

وأما الجزء الثانى من الكتاب فإننى اعتبر ما يجىء فيه إنما يمثل مرحلة أخرى من مراحل الثورة . وكان من المفروض أن ينتهى هذا الجزء باعتزالى الحياة العامة فى بداية عام ١٩٦٤ . ولكننى رأيت أن أضيف إليه باباً خاصاً عن حرب يونيو ١٩٦٧ لأهمية أحداثها ونتائجها ، ولأننى كنت أيضاً قد شاهدت بعض أحداثها من داخل القيادة العسكرية نفسها وقمت بتسجيلها فى يومياتى .

وإننى لأكرر هنا ما سبق وأن أشرت إليه فى مقدمة الجزء الأول من هذه المذكرات وهو أننى لم أقصد بهذا النشر الإساءة إلى أحد ، وإنما كل قصدى هو أن أضع ما أعرفه من أحداث عشتها أمام الجيل الجديد من شبابنا والذى آن الأوان له أن يحمل راية الوطن ليتعلم من هذه التجربة ، وحتى لا تضيع أيضاً الحقيقة مع مرور الزمن . وحتى يستفيد منها كذلك المؤرخون والكتاب الذين يعملون على تسجيل تلك المرحلة من تاريخنا . وهى مرحلة لها أهميتها وحيويتها ونتائجها أيضاً . وهى ليست قاصرة على بلدنا مصر وإنما لها تأثيرها وانعكاسها على المنطقة العربية كلها .

وقد توخيت الأمانة فى أن أنقل إلى القارىء الوقائع على حقيقتها قدر استطاعتى كما سجلتها فى يومياتى . وهو ما عاهدت نفسى عليه ووعدت القارىء به منذ البداية .

وهذه الوقائع التى سجلتها والتى أنقلها إلى القارىء إنما هى تمثل الجزء الذى شاهدته منها فقط أو اشتركت فيه بنفسى ولكن ربما يكون لها جوانب أخرى لم أشهدها ولم أشترك فيها ـ والمطلوب ممن عايشوا هذه الوقائع ولديهم إضافات عليها أو تصحيح لها أن ينشروا ما لديهم حتى تكتمل الصورة وتتضح الحقيقة قبل أن تضيع بعد ما نودع هذه الحياة . إن الأمر له أهميته ـ ومن حق جيلنا علينا والأجيال القادمة أيضاً أن نعرفهم بحقيقة ما جرى .

إن التاريخ أهميته فى أن يستفيد الغير من أخطاء الذين سبقوه . وأن تتعرف الأجيال اللاحقة على الدور الذى قام به من سبقوهم من الأجيال . وإننى لأهيب بكل من لديه معلومات حقيقية

عن هذه المرحلة من مراحل تاريخنا أن يتقدم بها ويعمل على نشرها. والنشر الأمين الصادق ليس إدانة لأحد أو اتهام لأحد إنما هو تسجيل الواقع كما حدث ومطلوب أن يستفيد منه أولادنا وشبابنا لتتضح لهم معالم طريق المستقبل بصورة أوضح. وهذا حقهم علينا وواجبنا أيضاً نحوهم.

وهذا الجزء الثانى من المذكرات يبدأ حسب التسلسل التاريخى للأحداث بعام ١٩٥٧. وهو العام الذى تلى حرب السويس والتى ختمت بها الجزء الأول من الكتاب. وكان قد قام مجلس الأمة فى ذلك العام ـ وهو أول مجلس نيابى بعد قيام الثورة ـ وحدثت أزمة فيه ـ وقد أوردتها فى الباب الأول من هذا الجزء كما حدثت وكما سجلتها فى يومياتى.

والأحداث سيتوالى ورودها بعد ذلك حسب تسلسلها التاريخى ـ منها الوحدة الاندماجية مع سوريا وقيام الجمهورية العربية المتحدة ـ كيف قامت والدوافع لقيامها ـ وما جرى من أحداث أثناء قيامها كالاضطرابات الطائفية فى لبنان، وقيام الثورة العراقية، وثورة الموصل أو الشواف ـ ثم انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١ ـ وكيف حدث هذا الانفصال ـ تطوراته وأسبابه وتأثير ذلك على فكر القيادة السياسية فى مصر.

وكذا أوردت فى هذا الجزء من الكتاب الخلافات التى حدثت بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ـ وأسبابها وما وصلت إليه. وكذلك أسباب اعتزالى الحياة العامة واستقالة كمال الدين حسين عام ١٩٦٤، والمناقشة التى دارت بيننا وبين جمال حول أسلوب الحكم.

وقد اختتمت هذا الجزء بحرب يونيو ١٩٦٧ ـ أحداثها التى شاهدتها، وما جرى يومى ٩، ١٠ يونيو.

وإنى لآمل بهذا النشر عن بعض وقائع ثورتنا أن أكون قد أديت واجبا نحو شباب مصر ـ ولعله يستفيد منه ـ وأن يتعلم من أخطائنا. وأن يعمل على تدعيم إيجابيات الثورة وحمايتها ممن يحاولون إجهاضها. وعليه أن يضيف إليها وأن يزيد من تلك الإيجابيات عندما تؤول إليه مسئولية قيادة هذا الوطن العزيز علينا جميعا.

الباب الأول

أزمة مجلس الأمة

كان قد نص فى الدستور الدائم لمصر والذى استفتى عليه الشعب فى يونيو ١٩٥٦ على انتخاب مجلس أمة يمثل السلطة التشريعية فى البلاد . وقد تأجل انتخاب أعضاء هذا المجلس ولم ينعقد إلا فى ٢٢ يوليو ١٩٥٧ بسبب حرب السويس التى قامت على أثر تأميم مصر للقناة .

وكان قد تم الاتفاق بين أعضاء مجلس قيادة الثورة أثناء مناقشة مشروع هذا الدستور قبل الاستفتاء عليه على أن أقوم بترشيح نفسى لرئاسة هذا المجلس عندما يتم انعقاده . وقد رحبت بهذا الترشيح منهم ولم اعترض عليه لاعتقادى أنه لو توفرت حياة نيابية سليمة فى مصر وقام المجلس بدوره كاملا فى مراقبة أعمال السلطة التنفيذية ومساءلتها لكان هذا كفيلا بتوفير الأمن والاستقرار السياسى فى البلاد . وكنت اعتقد أن رئاستى للمجلس ستستمر طوال فترة قيامه وهى خمس سنوات . وأن تلك المدة ستتيح لى فرصة المساهمة فى اقامة حياة نيابية سليمة فى مصر وهى هدف أساسى من أهداف الثورة . وظل هذا الأمل يراودنى بعد أن تم انتخابى رئيسا للمجلس فى أول يوم لانعقاده . وظل كذلك إلى أن حل فى فبراير ١٩٥٨ بعد قيام الوحدة بين سوريا ومصر .

وقد بدأ المجلس يزاول نشاطه ويمارس سلطاته الدستورية بهمة ونشاط منذ اليوم الأول لانعقاده . وكنت أتعاون مع زملائى من أعضاء المجلس فى العمل على تثبيت بعض التقاليد والمبادىء لحياتنا النيابية الجديدة لتصبح نواة للمجالس النيابية الأخرى التى ستلى مجلسنا بعد انتهاء فترته ، وعلى أمل أن المجالس الأخرى ستعمل هى أيضا على تثبيت تلك التقاليد وتزيد عليها بما يدعم حياتنا النيابية وليصبح الشعب عن طريقها هو صاحب السلطة الحقيقية فى البلاد .

وكان عدد أعضاء هذا المجلس ٣٥٠ عضوا ومن ضمنهم اثنتان من السيدات . ولم يكن يجمع هؤلاء الأعضاء أى ارتباط سياسى سابق سواء بينهم وبين أنفسهم أو بينهم وبين الثورة والقائمين عليها . ولم يتم انتخابهم كذلك عن طريق تنظيمات سياسية معينة وإنما كان كل عضو منهم فى الغالب يمثل نفسه ولا يمثل اتجاها سياسيا معينا إلا فى القليل النادر منهم . ولم يكن هناك وحدة فكر متوفرة بينهم وإنما كانت الغالبية منهم متعاطفة مع الثورة ومتجاوبة معها .

ولما لم يكن هناك أى التزام أو ارتباط سياسى بين تلك المجموعة وبين السلطة القائمة على الحكم لذا كان الأمر يحتاج إلى جهد ومثابرة فى محاولة قيادتها والتفاهم مع أعضائها حتى يمكن تحقيق ذلك الهدف . وكان لزاما على أن أعمل على توفير الثقة بين هذه المجموعة وبينى كرئيس لها حتى يمكن تحقيق ذلك الهدف . وأن نسعى لإيجاد نوع من التفاهم والتجانس بيننا كمجموعة عمل مطلوب منها تحقيق هدف هام . وأن نحاول أيضا كمجموعة أن نضع لأنفسنا بعض القواعد والضوابط التى تساعدنا على تثبيت بعض التقاليد والمبادىء التى نود أن تصبح قاعدة لنا فى حياتنا النيابية .

ولم تكن المهمة بالسهله ولكن كان علينا أن نبدأ وندخل التجربة ، على ان نصحح أخطاءنا أثناء ممارستنا لمسئولياتنا .

ولم يكن قد مضى وقت طويل على قيام المجلس حتى بدأت شخصيته تتضح وتتبلور لما كان يبذله أعضاؤه من جهد . وقد شعر الوزراء أعضاء السلطة التنفيذية بدور المجلس وإصراره على ممارسة حقه فى محاسبتهم ومتابعة ما يجرى داخل الأجهزة التنفيذية التابعة لكل منهم .

وتلك الصورة من الجدية للمجلس وأهمية الدور الذى يقوم به اتضحت أيضا للشعب نفسه فأخذ يتابع باهتمام ما يجرى داخل المجلس وما يكتب عن نشاطه فى الصحف اليومية . وبدأ الأعضاء أنفسهم يحسون باهتمام الشعب بدورهم وتقديره لجهودهم وكان هذا مشجعا ودافعا لهم فى الاستمرار بالقيام بدورهم كاملا .

كما أن روح الزمالة والأخوة والألفة بينهم كانت قد بدأت تتزايد على مر الأيام حتى أصبحوا بعد فترة قصيرة كأسرة واحدة ، هدفهم جميعا أن يؤدى المجلس دوره وأن يحافظ على ثقة الشعب فيه . كما زادت أيضا الثقة بين أعضائه وبينى .

هذه كانت الصورة التى وصل إليها أول مجلس نيابى قام بعد الثورة . وقد تم ذلك فى فترة قصيرة من الزمن لا تتعدى بضعة شهور . وكانت تلك الصورة تعطى أملا كبيرا فيه لو استمر على هذا الحال طوال فترة قيامة . ولكن هذا الأمل لم يدم . وذلك عندما تعرض المجلس لأول تجربة من الضغط وقعت على بعض من أعضائه لاتخاذ موقف يتعارض مع الدستور . وكان الواجب يحتم عليهم التصدى لهذا الضغط ومقاومته ـ ولأهمية ذلك الموضوع من الناحية التاريخية أرى أن أورده هنا باختصار مستخلصا مما جاء فى يومياتى .

كان وزير الزراعة عبد الرزاق صدقى قد تناول فى بيان وزارته إلى المجلس مشروع مديرية التحرير الخاص باستصلاح واستزراع بعض الأراضى الصحراوية غرب دلتا النيل . وقد تقدم العضو بالمجلس محمد رشدى النحال أثناء مناقشة بيان الوزير بطلب تشكيل لجنة برلمانية للتحقيق فيما يثار حول هذا المشروع من تبذير فى أموال الدولة من القائمين على تنفيده ، ودراسة عما إذا كان هو مشروع ناجح أو فاشل حتى تتضح الصورة الحقيقية عنه للمجلس وللشعب كذلك . وقد أخذ المجلس قرارا بإحالة المشروع على لجنة الزراعة به للقيام بدراسته وموافاته برأيها فيه .

سؤال من سيد جلال :

وهذه الصورة عن المشروع التى كانت مختمرة فى أذهان أعضاء المجلس لم تكن الا انعكاسا لما يدور من أحاديث بين أفراد الشعب وما يثار ويشاع حول

ذلك المشروع ـ على أنه مشروع فاشل وأن هناك استغلال وأساءة فى التصرف فى الأموال المرصودة له ـ حتى أنه عندما ما تقدم العضو سيد جلال فى نهاية شهر أكتوبر ١٩٥٧ بسؤال وزير الزراعة عن ذلك المشروع يطالبه فيه موافاة المجلس بتكاليف استصلاح الفدان بهذه المديرية وعدد الموظفين التابعين لها بكل من القاهرة والأسكندرية ـ وكذا عدد السيارات التى تقوم باستخدامها وتكاليف تشغيلها وصيانتها الى آخر مثل هذه البنود المتصلة بطبيعة المشروع ـ فقد لقى السؤال منه استحسانا شديدا من جمهور الشعب بل واعتبر أن سيد جلال بطلا ليتقدم بمثل هذا السؤال .

وكان سيد جلال نفسه قد تقدم إلىّ بسؤال آخر بعد تقديم سؤاله السابق بعدة أيام وموجه منه أيضا إلى وزير الزراعة ويسأله فيه ـ عما إذا كان صحيحا أن بعضا من أعضاء مجلس الأمة يتولون وظائف فى مديرية التحرير رغم أن قانون عضوية المجلس يمنع الجمع بين الوظيفة والعضوية بالمجلس . ولما سألته عن أسماء هؤلاء الأعضاء الذين يشير إليهم فى سؤاله لم يكن يعلم من أسمائهم إلا اسما واحدا فقط ولكنه أفاد أنه يرغب بسؤاله التأكد من صحة هذه الشائعة أو عدم صحتها وذلك حفاظا منه على كرامة أعضاء المجلس .

وقد قمت بإدراج هذا السؤال بجدول أعمال المجلس . كما أخطرت به جمال عبد الناصر والخطوة التى اتخذتها وضرورة التصدى لهذا الانحراف من هؤلاء الأعضاء إن تبين صحة ما جاء بالسؤال ـ وتجاوب معى جمال فى هذا الاتجاه تجاوبا كاملا .

ولما نشر هذا السؤال المقدم من سيد جلال فى الصحف أثار ضجة خاصة بين أعضاء مجلس الأمة أنفسهم حرصا منهم على كرامتهم . وتحمسوا ضد هؤلاء الأعضاء الذين سمحت لهم نفوسهم بقبول العمل بالمشروع رغم تشكك المجلس فى بعض تصرفات القائمين عليه ومطالبتهم بالتحقيق فيما يثار حوله من أقاويل وإشاعات .

ولم يكن قد نشر بالجريدة التى قامت بنشر السؤال أسماء الأعضاء المقصودين به ولكن بعد يومين من نشره قامت جريدة الأهرام بنشر أسمائهم التى لم يكن

لدى علم بها حتى تلك اللحظة وقد قرأت اسماءهم بها كأى مواطن آخر . وذكرت الجريدة أسماء كل من إسماعيل نجم ـ وأحمد أبو عوف ـ وحـريم الغمراوى ـ والدكتور محمود القاضى .

الوزير سيقدم استقالتة

وكنت قد طلبت من وزير الزراعة عبد الرزاق صدقى موافاة المجلس ببيانات هذا الموضوع بعد تقديم السؤال مباشرة . وكان ذلك يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٧ ، ولكنه أبلغنى أنه سيتقدم باستقالته من الوزارة قريبا للعمل فى هيئة التغذية الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة . ولكننى حملته مسئولية تقديم تلك البيانات المطلوبه منه ما دامت مسئوليته لا تزال قائمة . وفى اليوم التالى لهذا الحديث معه أرسل إلى صورة خطاب أرسله إلى مجدى حسنين عضو مجلس الإدارة المنتدب للمشروع ، وعضو مجلس الأمة كذلك ، ومن ضمن الضباط الأحرار أيضا ، وقد طالبه فيه بتقديم تلك المعلومات المطلوبة والواردة فى السؤالين المقدمين من سيد جلال . وعلمت أن وزير الزراعة قد تقدم فى نفس اليوم أيضا بخطاب الى رئيس الجمهورية يطلب منه فيه قبول استقالته . وحتى يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٧ لم يكن قد وصلنى أية معلومات رسمية عن السؤالين عندما أثير الموضوع بالمجلس وطلب إجراء تحقيق فيه كما سيرد بعد .

وكان قد زارنى فى مكتبى بالمجلس عدد كبير من الأعضاء يوم ٢ نوفمبر على أثر ما نشر فى الصحف . وكان تحمسهم شديدا لاسقاط عضوية المجلس عن زملائهم الأعضاء الذين قبلوا العمل بالمشروع . بل وكان الكثير منهم يطالب بضرورة تنحية هؤلاء الأعضاء فورا عن العضوية وقبل أن يتخذ المجلس قرارا فى الموضوع . كما أن هؤلاء الأعضاء قد أثاروا أيضا موقف مجدى حسنين من هذه المخالفة وصلته بها . وقد شبهوا تلك الصلة بينه وبين هؤلاء الأعضاء موضوع السؤال ـ كالصلة القانونية بين الراشى والمرتشى وضرورة محاسبة كليهما ، باعتبار أن مجدى هو الراشى فى هذه الحالة بغرض دفع هؤلاء الأعضاء إلى الدفاع عن المشروع بالمجلس .

ولما وجدت تلك الروح من الأعضاء اتصلت بجمال عبد الناصر وأبلغته باتجاههم وتحمسهم ضد زملائهم الذين قبلوا العمل بالمشروع ونحو مجدى كذلك

والصفة التى وصفوه بها - ووافق جمال على هذا الاتجاه منهم وضرورة التخلص من هؤلاء الأعضاء ومن مجدى أيضا لأنه على حد قوله قد أثر عليه الشيوعيين وأصبح ينفذ سياستهم. ولكنه أى جمال كان يرى أنه من المستحسن أن لا تظهر وكأننا نعمل على دفع أعضاء المجلس إلى التخلص من مجدى، وعلينا أن نتركهم يسيرون فى هذا الاتجاه المتحمسين له. ولكننى كنت فى حديثى مع أعضاء المجلس أشعرهم باتجاهى وضرورة محاسبتهم محاسبة عسيرة. وأذكرهم بمسئولياتهم نحو تحقيق هدف رئيسى من أهداف الثورة - وهو إقامة حياة نيابية سليمة، وأن التهاون منهم فى هذا الموضوع ربما يتلوه تهاون آخر ثم الانحراف والبعد عن تحقيق ذلك الهدف السامى. وأنه من الواجب علينا أن نقوم أنفسنا بأنفسنا. وأن نعمل على المحافظة على ثقة الشعب فينا، وأن نؤكد له أننا قادرون على تحمل مسئولية تحقيق هذا الهدف. وكان واضحا أن أغلبية أعضاء المجلس على قناعة كاملة بضرورة اسقاط العضوية عن هؤلاء الأعضاء موضع السؤال إن ثبتت إدانتهم.

ولكن فى يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٧ وهو اليوم السابق لانعقاد المجلس بعد عودته من العطلة الصيفية كان قد وصلنى خطابا موقعا عليه من مجدى حسنين وبعض أعضاء لجنة الشئون الصناعية بالمجلس منهم الدكتور محمود القاضى، وأحمد أبو عوف، وسعد خضر، ومحمد قاسم، وبعض أعضاء آخرين. وقد جاء فى خطابهم «أن بعض الجرائد دأبت أخيرا على التقول على بعض أعضاء المجلس بما يمس كرامتهم وتسعى هذه الصحف إلى إيجاد الفرقة بين أعضاء المجلس ورئيسه، ونطلب منكم المحافظة على كرامة أعضاء المجلس واتخاذ الإجراءات فورا الكفيلة بحماية الأعضاء من هذه الصحف - على أن يعرض هذا الخطاب على المجلس فى أول انعقاد له أى يوم ٤ نوفمبر لاتخاذ قرار فى هذا الشأن ولإبلاغة الإجراءات التى أتخذتها».

ولقد وجدت فى خطابهم هذا الفرصة لفتح موضوع السؤال الخاص بهؤلاء الأعضاء الذين قبلوا العمل بالمشروع، وعدم انتظار رد وزير الزراعة عليه الذى سيطول نظرا لاستقالته، وحتى يتمكن المجلس من أخذ قرار فيه ووضع حد له وإنهائه، وقمت بإبلاغ جمال عن الخطاب الذى وصلنى من مجدى وهؤلاء

الأعضاء وأفصحت له عن اتجاهي ومن أنني سأقوم بإثارة الموضوع في المجلس دون انتظار رد وزير الزراعة ، واقترحت عليه أن يقوم بإصدار قرار باستبعاد مجدى عن وظيفته بالمشروع بعد هذا الذى حدث منه . وعلى أن يصدر هذا القرار قبل يوم ٤ نوفمبر أى قبل انعقاد المجلس ، وذلك حتى لا يعتقد أعضاء المجلس خطأ أن مجدى مسنود من جمال نفسه . ولقد اتفق معى فى هذا الرأى ، وقام بإصدار قرار استبعاد مجدى فى نفس اليوم قبل الظهر ، وأمر بإذاعته فى نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر ، وابتهج الشعب بهذا القرار ، وكسب جمال من ورائه مكسبا شعبيا ، ذلك لأنه كان هناك شعور عام من أغلبية أفراد الشعب بعدم الرضى عن طريقة مجدى فى إدارته لمشروع مديرية التحرير .

مجدى حسنين يبكى :

ولكن بعد ظهر يوم ٤ نوفمبر اتصل بى جمال وأبلغنى أن مجدى حسنين قد ذهب إليه وأخذ يبكى ويقول له « لماذا تعمل فى كده ـ لماذا تقتلنى » كما أبلغه أن زوجته ووالده فى حالة انهيار عصبى . ولما رأى جمال ذلك قام بالاتصال بهما وطمأنهما ، وطلب من مجدى أن يذهب إلى استراحة القناطر الخيرية ويبقى بها ولا يغادرها إلا بأمر منه . ولكننى طلبت منه ضرورة تواجد مجدى فى أجتماع المجلس الذى سينعقد مساء نفس اليوم لأن الأمر يتطلب من مجدى أن يقوم بالدفاع عن نفسه أمام المجلس عندما يثار موضوع الخطاب المرسل إلىّ منه ومن الآخرين . وقد وافقنى جمال على هذا الرأى . وأبلغ مجدى أن يقوم بحضور اجتماع المجلس . ونبه عليه بعدم الكلام فيه إلا إذا طلب منه المجلس ذلك . وقبل أن ينعقد المجلس بخمس دقائق وكنت بمكتبى ومعى زكريا محى الدين وأنور السادات وعلى صبرى علمت من زكريا أن الاتجاه ـ على حد قوله ـ هو أن يطلب من الوزراء الامتناع عن التصويت فى موضوع فصل هؤلاء الأعضاء من عضوية المجلس إن كان سيأخذ قرارا فى هذا الشأن فى تلك الجلسة . وأن هذا الاتجاه الذى أشار إليه هو رأى جمال عبد الناصر . ولكننى أوضحت لزكريا أن لائحة المجلس تنص على ضرورة أن يقوم العضو الممتنع عن التصويت بتفسير سبب ذلك الامتناع ـ وتساءلت كيف سيفسر الوزراء هذا الامناع منهم .

فأجابنى ـ يقال أن الحكومة ترى أن ينبثق هذا القرار من المجلس نفسه . وعندما أوضحت له أن كل وزير عضو بالمجلس لا يعتبر فى هذه الحالة ممثلا للحكومة ـ فقد قام بالاتصال تليفونيا بجمال وأبلغه بهذا الرأى الذى ذكرته ، فرد عليه جمال بقوله « يوافق الوزراء على إسقاط العضوية عن الأعضاء ولا يوافقوا على إسقاطها عن مجدى » . وتكلمت مع جمال وأبلغته ان هذا الموقف من الوزراء إن تم سيؤخذ على النظام وسيؤثر على سمعته ، وأنه يمكنه فيما بعد العمل على إيجاد حل لمشكلة مجدى بطريقة أخرى . كما تكلم معه كل من أنور وعلى صبرى فى هذا الاتجاه الذى ذكرته له كذلك . وتحدث إلىّ جمال ثانية بعد حديثهما معه وتساءل عما إذا كان من الممكن علاج موضوع مجدى بعد ذلك ـ وأن إضافة إسقاط عضوية المجلس عنه فيها قسوة ، ولكننى ذكرت أن ليس أمامنا من حل غير ذلك الحل لأن أعضاء المجلس يحملونه نفس المسئولية التى يأخذونها على الأعضاء الآخرين الذين قبلوا العمل بالمشروع . وتم اتفاقنا فى نهاية الحديث على محاولة جعل المجلس يؤجل أخذ قراره فى فصل هؤلاء الأعضاء إلى ما بعد رفع الجلسة للاستراحة حتى يتسع لنا الوقت للتفكير فى حل مناسب يمكن به إنقاذ مجدى من هذا الوضع وعدم فصله من عضوية المجلس .

كان هذا هو أتجاه جمال مساء يوم ٤ نوفمبر قبل افتتاح جلسة المجلس مباشرة رغم أنه كان قد اتصل بى تليفونيا بعد ظهر ذلك اليوم ولكنه لم يكن قد غير رأيه بعد إلى هذا الاتجاه الجديد . ولم أعرف بهذا الاتجاه الجديد منه إلا من زكريا قبل انعقاد المجلس مباشرة حتى أننا تأخرنا فى افتتاح الجلسة مدة ربع ساعة عن موعدها نتيجة هذا الاتصال التليفونى معه . وفى تلك الجلسة كان كل أعضاء المجلس متواجدين تقريبا ، وحتى شرفات الزائرين لم يكن فيها مكان خال ، والكل متوقع أن هناك حدثا سيثار ، ذلك لأن الصحافة كانت قد نوهت بذلك .

وبعد أن افتتحت جلسة المجلس أشرت فى حديثى إلى الأعضاء عن الرسالة التى وردت إلىّ من مجدى ومن زملائه الأعضاء الآخرين ، وتلوت عليهم أسماء الموقعين عليها ، ثم تلوت الرسالة نفسها . وبعد انتهائى من تلاوتها قلت « قبل أن ندخل فى تفسير مضمون الرسالة والقصد منها ، أحب أن أخبر المجلس أننى

أشعر أن كرامتى من كرامة الأعضاء ، وأننى أعمل على الحفاظ على كرامة كل عضو فى المجلس كمحافظتى على كرامتى تماما - وواجب كل فرد منا أن يعمل على المحافظة على كرامته لأن كرامته من كرامة هذا المجلس - ولكن من لا يحافظ من الأعضاء على كرامته لا يمكنه أن يطالبنى بأن أعمل على الحفاظ على تلك الكرامة ، بل أرى أن من واجب المجلس أن يطالب كل عضو فيه أن يعمل على المحافظة على كرامته لأن تصرفات كل منهم تنعكس على المجلس كله » . ومستطردا فى حديثى بأن الصحافة حرة وحريتها مقدسة عندنا جميعا ، وأن هناك قانونا يحدد وينظم العلاقة بينها وبين الأفراد ، وأنه فى حدود هذا القانون يمكن مساءلة الصحافة . وعند هذا الحد انهيت كلمتى ، وطلبت من الأعضاء الموقعين على تلك الرسالة أن يشرحوا للمجلس الغرض من هذه الرسالة والقصد منها . وأن يحددوا تلك الموضوعات التى أثارتها الصحافة واعتبروها ماسة بكرامة الأعضاء . وأن يشرحوا للمجلس أيضا كيف تعمل الصحافة على الوقيعة بين أعضاء المجلس ورئيسه كما جاء برسالتهم .

وعلى أثر ذلك قام العضو أحمد أبو عوف وهو أحد الموقعين على الرسالة وطلب الكلمة ، كما أنه أيضا أحد الأعضاء الذين وردت أسماؤهم فى جريدة الأهرام من أنهم يعملون بمشروع مديرية التحرير . وقد بدأ يتكلم وهاجم الصحافة وعلى أنها تثير موضوعات تمس كرامة الأعضاء فى المجلس ولكنه كان يحاول فى نفس الوقت الابتعاد عن فتح أو الإشارة إلى موضوع الأعضاء الذين يعملون بالمشروع . ولكن تحت ضغط أعضاء المجلس ومطالبتهم له بذكر الأسباب التى دفعتهم إلى إرسال تلك الرسالة اضطر إلى الإفصاح عن الدافع وراء ذلك وهو ذكر أسماء من يعملون بالمشروع على صفحات الجرائد .

ولقد أخذ بعض أعضاء المجلس بعد هذا الإفصاح منه يسألونه عن صحة الخبر ، وعما إذا كان يعمل فعلا بالمشروع من عدمه . فبدأ يدافع عن نفسه وبحالة من الانفعال والعصبية لشعوره بأنه قد تورط فعلا فى هذا الأمر ولا يجد لنفسه المبرر المقنع ليرد به على زملائه مما أثار الشفقة عليه فى نفوس الأعضاء جميعا وفى نفسى كذلك .

اعتذار للمجلس :

وقام من بعده ليتكلم الدكتور محمود القاضى ، وأخذ هو كذلك يدافع عن نفسه ذاكرا أنه قبل العمل بالمشروع علنا ولكنه لم يكن يعلم أن فى هذا مخالفة قانونية ، ومن أنه يعتذر للمجلس عن هذا الخطأ الذى صدر منه والذى وقع فيه بحسن نيه ، وكرر اعتذاره له عدة مرات ، وكنت أحس الصدق فى كلامه ، وأحسست بعطف المجلس عليه كذلك .

ثم طلب العضو اسماعيل نجم الكلمة . وأخذ يدافع عن نفسه . وانكر انكارا باتا أنه يعمل بالمشروع وتحدى الحكومة فى ذلك - ولما سألته عن بيانه الذى كان قد نشره فى الصحف من أنه يعمل فعلا مستشارا قانونيا لمديرية التحرير - أجاب بأن هناك تحريف فيما نشر ، ومن أنه سيتناول هذا فى دفاعه . ولكنه لم يشر إليه . ولم يحصل على عطف أحد من زملائه أعضاء المجلس لأنهم كانوا يعلمون أنه لم يذكر الحقيقة . وقد وضح ذلك فيما بعد من التحقيق .

وبعد أن انتهى الثلاثة من كلمتهم تناول بعض أعضاء المجلس هذا الموضوع بالتعليق عليه من الناحية الدستورية ، كما تقدم البعض الآخر منهم باقتراح إسقاط العضوية عن مجدى حسنين والأربعة أعضاء الآخرين . كما اقترح بعض آخر منهم إجراء تحقيق فى الموضوع ، وعلى أن يقوم المجلس بإصدار قراره بعد الاستماع إلى تقرير اللجنة التى ستباشر هذا التحقيق المقترح ، وعرضت على المجلس تأجيل اقتراح إسقاط العضوية عنهم والنظر فى تشكيل لجنة للتحقيق ، ووافق المجلس على ذلك بأغلبية الأصوات . وأوكل الأمر إلى لجنة الشئون الدستورية بالمجلس لاجراء هذا التحقيق المطلوب . وعلى أن تتقدم إلى المجلس بتقريرها فى جلسة يوم الأربعاء ٦ نوفمبر ١٩٥٧ .

وبعد أن انتهى اجتماع المجلس اتصل بى جمال تليفونيا وتحدثنا فيما دار فى الجلسة ، وكان قد استمع إليها عن طريق الجهاز الموصل بين قاعة المجلس ومكتبه بالمنزل ، وطلب منى فى ختام حديثنا أن أقوم بالمرور عليه بمنزله فى صباح اليوم التالى وأنا فى طريقى الى مكتبى بالمجلس .

اعضاء فى منزل جمال :

وفى يوم الثلاثاء ٥ نوفمبر ذهبت إلى جمال فى الصباح والتقيت به . ولكننى لاحظت أثناء دخولى إلى منزله أن هناك بعض من أعضاء مجلس الأمة الذين أصلا من الضباط الأحرار متوجهين إلى المنزل الذى يشغله حرس جمال وسكرتاريته الخاصة والمواجه مباشرة لمنزله . وفى أثناء حديثى مع جمال وكان متواجدا زكريا محى الدين اقترحت عليه استبعاد إسقاط العضوية عن هؤلاء الأعضاء بعد ذلك الموقف الصعب الذى واجهوه فى اليوم السابق فى المجلس أمام زملائهم ، وأن فى هذا درس كاف لهم ، وأنه يكفى لومهم فقط إن ثبتت إدانتهم خاصة وأن البعض من أعضاء المجلس نفسه كانوا قد أصبحوا غير متحمسين لإسقاط العضوية عنهم خوفا من أن يقفوا هم أنفسهم هذا الموقف نفسه فى المستقبل وشعورهم أيضا بهذا الخطر . وكان زكريا متفقا معى فى هذا الرأى ، وقد لمس عطف الأعضاء عليهم أثناء دفاعهم عن أنفسهم أمام المجلس .

وقمت بالانصراف من منزله مع زكريا وتوجهنا إلى مكاتبنا . وفى أثناء تواجدى بمكتبى حضر إلىّ بعض الأعضاء من المجلس وكان قد مضى حوالى ساعتين من انصرافى من عند جمال . وأبلغنى هؤلاء الأعضاء أن هناك شائعات تدور بين أعضاء المجلس على أن اتجاه الرئيس جمال هو عدم اتخاذ أى إجراء مع هؤلاء الأعضاء موضع التحقيق ، وأنه لا يرضى عن هذا الذى يجرى ، ولا يوافق على هذه القسوة ، وأن البغدادى قد تصرف دون علمه بذلك . كما علمت من بعض أعضاء آخرين أيضا أن هناك ضغطا على أعضاء اللجنة القائمة بالتحقيق ـ لجنة الشئون الدستورية بالمجلس ـ من العضو محمد فهمى السيد ، وهو المستشار القانونى لرئيس الجمهورية أيضا ، وأنه يتكلم باسم الرئيس وعلى أنه أى الرئيس يرغب فى تسوية الموضوع وذلك بأن تعتبر مديرية التحرير مؤسسة خاصة لا عامة حتى لا يصبح هناك مخالفة قانونية من هؤلاء الأعضاء موضع التحقيق رغم أن ميزانية مديرية التحرير من الأموال العامة ومدرجة بميزانية الدولة وخاضعة لرقابة المجلس .

لم اصدق :

ولم أصـدق ما سمعته من هذه الشـائعات . وأن جمال هو الذى يقف وراء ما يجـرى ـ لذا قمت بالاتصـال به تليفـونيا وابلغته عما يدور بين الأعضـاء من شائعات ، وعن موقف مستشاره القـانونى داخـل اللجنة الدستورية القـائمة بالتحقيق ، ولكنه أخبرنى أنه قام فعلا باسـتدعاء بعض من أعضـاء المجلس ومن الذين يثق بهم ـ على حـد قوله ـ وذاكرا لى أسماء لطفى واكد وحمدى عبيد وكمال رفعت ومحمود الجيار وابراهيم الطحـاوى وأحمد طعيمة وعدة أسماء أخـرى . وأنه قد طلب منهم الاتصال بباقى أعضـاء المجلس والعمل على عدم اتخـاذ قرار يدين هؤلاء الأعضاء ، وأن ذلك بغرض إنقاذ مجـدى حسـنين على حـد تعبيره . ولقـد ضايقنى هذا التصرف منه خاصة وأننى كنت معه فى الصباح ولم يشـأ أن يبلغـنى بما انتواه ، وحاولت أن أفهم ماذا يرمى من وراء هذه الخطوة . وكان قد نتج عن هذا الموقف وما يشاع بين الأعضاء بلبلة فكر بينهم لأنه كان قد سبق وقيل لهـم لابد من تطهير أنفسنا من مثل هذه العناصر وضرورة اتخاذ قرار حاسم بشـأنهم حـتى نضـمن استـمرار حياة نيابية سـليمة وهى هدف كبير ، ولكن اليوم يطلب منهم الاعتداء على الدستور ، والعمل على حماية انحراف واضح قد حدث فعلا ، وأن يغير الوضع القائم بمديرية التحـرير وأن تعتبر مؤسسـة خـاصة لاتملكهـا الدولة ، لا لشىء إلا لحماية انحراف قد حدث .

وكان الضغط على أعضـاء لجنة الشئون الدسـتورية لا يزال مسـتمرا حـتى صـباح الأربعـاء ٦ نوفبر ١٩٥٧ ، وبعض أعضـاء تلك اللجنة قد تهـربوا من حضورها تجنبا لهذا الموقف الشائك كالاسـتاذ فتحـى الشرقاوى ، ولكن صـديقه صلاح دسوقى اتصل به بأمر من جمال ليؤثر عليه حتى ينضـم للرأى القـائل بأن مديرية التحرير مؤسسة خـاصة وهو كان يصر على موقفـه . ولكننى عند الظهـر وقبل مغادرتى لمكتبى علمت بأن الضغط قد انتصر فى النهاية وحقق غرضه . وأن الغالبية من أعضاء اللجنة قد استسلمت لهـذا الضـغط الواقع عليهـم واعتبرت اللجنة أن مديرية التحرير مؤسسة خاصة ، وبدأت تعد تقـريرها الذى سـتعرضه على المجلس فى المسـاء على هذا الأسـاس الجـديد ـ وبذا يصـبح تصرف هؤلاء الأعضاء لا غبار عليه إن اقر المجلس هذا التقرير الذى ستعرضه عليه اللجنة .

الاغلبية توافق :

وفى مساء يوم ٦ نوفمبر انعقد المجلس ، وقد تواجدت الأغلبية العظمى من أعضائه ، ولم يتخلف أحد منهم إلا القليل جدا ، بل وامتلأت أيضا شرفات المجلس بالزائرين ، وقام مقرر اللجنة الدستورية السيد/يواقيم غبريال بتلاوة تقرير اللجنة على المجلس ، واعتبرت أن مديرية التحرير مؤسسة خاصة ، وأن التصرف الذى حدث من هؤلاء الأعضاء موضع التحقيق فى حدود القانون ، ولا مأخذ عليهم فيه . وأخذ رأى المجلس على تقرير اللجنة وما ورد فيه . فوافقت عليه الأغلبية المطلقة . ولكننى أعلنت أن القرار بالإجماع تهكما منى على هذا الوضع الغريب ، ولم يجرأ أحد من أعضاء المجلس على مناقشة تقرير اللجنة أو مخالفتها فى الرأى بعد أن حاول العضو شعبان الاعتراض عليه وقيام بعض الأعضاء بمهاجمته وقولهم له ـ هل تأكل لحم أخيك ميتا . ولم يتمكن بل ولم يتمالك نفسه بعد ذلك من الأستمرار فى إبداء رأيه فصمت ثم جلس رغم محاولتى حمايته منهم عسى أن يشجع موقفه آخرين . ولكن حدث أن كل من تكلم ـ وعددهم قليل ـ كان تأييدا منهم لتقرير اللجنة .

وقدرت أن المجلس بعد هذا الموقف منه لابد سيفقد الكثير من هيبته ومن تقدير الشعب له . لأنه حتى لو كانت مديرية التحرير مؤسسة خاصة كما جاء بتقرير اللجنة ، لكن هناك خطأ أدبى على الأقل قد وقع فيه هؤلاء الأعضاء لقبولهم العمل بها وهى موضع تحقيق من المجلس .

وكنت خلال تلك الجلسة التى أعلنت فيها اللجنة تقريرها أحاول أن أكون هادىء الأعصاب حتى لايظن خطأ كما كان يثار من أدوات الضغط أن لى اتجاها خاصا لخلافات شخصية بين مجدى وبينى ـ مع أن من يطلع على مضابط جلسات المجلس فى أثناء مناقشته لهذا المشروع وما أثير حوله يجد أن موقفى من مجدى ومن المشروع ذاته مخالفا تماما لما يدعون .

مخالفة الدستور :

وكنت قد فضلت لنفسى الانتظار والاحتفاظ برأيى فى الاعتراض على هذا القرار الذى اتخذه المجلس إلى الجلسة التالية له ، ذلك لأننى وجدت أن هناك

تحمسا شـديدا ومفتعلا من كثير من الأعضـاء لقـرار اللجنة ـ وقدرت أننى لن أتمكن من إبلاغ وجهة نظرى إلى المجلس بالصورة التى أرضـاها مع هذا الحماس المفتعل . وقد رأيت أنه من الأفضل أن أنتظر حتى يتضح لأعضـاء المجلس مدى الخسارة التى وقعت عليهم عندما يحسون باهتزاز ثقة الشعب فيهـم بعـد أخـذهم ذلك القـرار . وأنه عندئذ يمكننى أن أعلن عن رأيى من قرار المجلس وأن أتقـدم باسـتقالتى ، وذلك لأن المجلس قد ارتكب مخـالفة دسـتورية بأن اعتبر مديرية التحرير مؤسسة خاصة لا عامة رغم علمه أن الأموال المخصصـة للإنفـاق عليهـا هى من الأموال العامة ومدرجة فى ميزانية الدولة وخـاضعة أيضـا لرقابة المجلس نفسه .

استقالة كمال حسين :

وفى يوم الخميس ٧ نوفمبر أى فى اليوم التالى لقـرار المجلس أرسـل إلىّ كمال الدين حسين خطابا يبلغنى فيه استقالته من عضوية مجلس الأمة . ولما اتصلت به تليفونيا لأستفسر منه عن سـبب تلك الاسـتقالة ـ قال إنه لا يجـب أن يسـتمر عضوا فى المجلس بعد أن اتخذ هذا القـرار الخـاص بمديرية التحـرير . ولما طلبت منه الاتصـال بجمال وإبلاغه بقـراره اعتذر . ولما أكد على ضرورة ابلاغ المجلس بهـا فى أول اجتماع له وعدته بذلك إن لم يقـم هو بطلب سـحبها قبل مسـاء يوم الاثنين ١١ نوفمبر ، وهو موعد انعقـاد المجلس ، وقمت بإبلاغ جمال تليفـونيا عن استقالة كمال حتى لا يعتقد خطأ أننى قد تعمدت إخفائها عنه إن لم أعلمه بها .

وحتى مساء يوم ١١ نوفمبر لم يكن كمال قد طلب منى سـحب تلك الاسـتقالة . وأما بالنسبة لموقفى من استقالتى فكان القرار لا يزال قائما حتى ذلك المسـاء ، ولم أعلم به أحدا غير زوجتى التى أبلغتها بما انتويته . وقد وجـدت منهـا تفهما لموقفى وتشجيعا لى على ما استقر عليه رأيى . وقد تعمدت عدم إبلاغ أحد به وأن يظل سرا حتى لحظة إعلانه على أعضاء المجلس حتى لا أعطى فرصـة لاتخـاذ ترتيبات التصدى لما أنا مقدم عليه .

جلسة سرية :

وفى ذلك المساء بعد أن بدأت الجلسة أعلنت على المجلس رسـالة السـيد/كمال

الدين حسين الخاصة باستقالته . وقد قامت ضجة على أثر إعلانها من بعض الأعضاء ، فمنهم من يود معرفة سبب هذه الاستقالة ومنهم من يطلب من المجلس رفضها وعدم قبولها ، ومنهم من يثير دستورية حق المجلس فى قبول الاستقالة من عدمه . ولم يكن كمال موجودا فى الاجتماع حتى يفسر لهم سبب تقديم الاستقالة . وقد رأيت أن أوضح للأعضاء أنه طبقا للائحة المجلس فإن من حق كمال أو أى عضو يتقدم بالاستقالة أن يعلمهم فقط بها ، وليس من حق المجلس قبولها أو رفضها . وعندما ذكرت ذلك طلب منى أحد الأعضاء أن أعمل على إقناع كمال بسحب تلك الاستقالة . ورددت عليه بأن لدىّ أنا الآخر رسالة أود إبلاغها أيضا إلى المجلس . وفهم البعض من الأعضاء ماذا أقصد بهذه الكلمة . وفوجئت بصياح البعض منهم ممن كانوا يقومون بنشاط بتوجيه من جمال أثناء تلك الأزمة ، وكان صياحهم يطالب بأن تكون الجلسة سرية . وأخذوا يصيحون فى نفس واحد ـ « جلسة سرية ـ جلسة سرية » وظلوا كذلك فترة . ورددت عليهم بقولى « لابد أن تكون علنية حتى يعلم الشعب الحقيقة ، ومن حقه أن يعلمها » . ولكنهم استمروا فى صياحهم بطلب سرية الجلسة .

الذى يرأس الجلسة :

ولما كانت اللائحة الداخلية تحتم على رئيس المجلس فى حالة ما إذا رغب فى الكلام فى موضوع معروض على المجلس أن يترك منصة الرئاسة لأحد الوكلاء وأن يتقدم إلى المنبر ليتحدث إلى الأعضاء من فوقه ـ لذا طلبت من وكيل المجلس أن يصعد إلى المنصة ليتولى رئاسة المجلس حتى أتمكن من التحدث إلى الأعضاء وأبين لهم الأسباب التى تدفعنى إلى تقديم استقالتى ، ولكنه ظل ملتزما مكانه بين الأعضاء ولم يستجيب لطلبى ، واضطررت إزاء هذا الموقف منه أن أترك منصة الرئاسة وأن أتوجه إلى المنبر . وهنا فقط تحرك وكيل المجلس وصعد إلى المنصة وتولى رئاسة المجلس .

وقفت على المنبر ، وانتظرت حتى يهدأ الأعضاء المثيرين لتلك الضجة ـ ولكن صياحهم استمر مطالبين بإعلان سرية الجلسة . وطلب الوكيل أخذ رأى المجلس فى علنية الجلسة أم سريتها ، وبدأ بأخذ الرأى حول سريتها ـ فوافقت

الأقلية ـ حسب تقديرى ـ ولكنه أعلن أنها الأغلبية ، واعترضت مصرحا بأنها أقلية ، ومطالبا بأن تقوم سكرتارية المجلس باحتساب عدد الموافقين على السرية وعدد المعترضين عليها حتى يتبين أين تقف الغالبية ـ ولكنه لم ينظر إلى اعتراضى وتغاضى عن اتخاذ هذه الخطوة .

ولما رأيت أن الأقلية فى المجلس قد انقلبت وأصبحت هى الأغلبية لذا قلت موجها كلامى إلى أعضاء المجلس « إننى كنت أود أن أوجه كلمتى إلى الشعب من فوق هذا المنبر ولكن طالما أن الأقلية قد أنقلبت وأصبحت هى الأغلبية ـ لذا فإننى سأمتنع عن الكلام » .

وتركت المنبر وغادرت قاعة الاجتماع وتوجهت إلى مكتبى بالمجلس . وعندما دخلت إلى مكتبى وجدت به زكريا وحسين الشافعى ، وفهمت منهما انهما سمعا ما دار فى اجتماع المجلس عن طريق مكبر الصوت الموجود بالمكتب والمتصل بالقاعة . ولقد صاح حسين الشافعى عند دخولى إلى الغرفة قائلا « ما هذا الذى فعلته لقد شرخت جدار الثورة » . ورددت عليه ببعض الانفعال . وأما زكريا فقد لامنى لأنى لم أخبرهما بنيتى وهما كانا معى قبل التوجه إلى الاجتماع .

« يعنى نشيله »

ولم يكن قد مضى لحظات على دخولى المكتب حتى سمعت ضجة خارج الباب وفهمت أنها من بعض الأعضاء وأنهم يرغبون فى الدخول إلى الغرفة ، ولكن حرس المجلس كان يقف حائلا دون ذلك ففتحت لهم الباب وطلبت منهم الدخول . وكان عددهم كثير والكل يتكلم فى وقت واحد وفى حالة من الانفعال والتأثر ويرجوننى أن لا أقدم على هذه الخطوة التى أنتويتها . ولكننى أخذت أبين وأشرح لهم الأسباب التى تدفعنى إلى اتخاذ هذا الموقف ، وذاكرا ما كنت أنوى أن أذكره لهم فى الاجتماع . وكانت الأغلبية منهم متفقة معى على أن هناك خطأ قد وقع باتخاذ المجلس هذا القرار الذى يعتبر قرارا غير دستورى ، ولكنهم طلبوا منى أن أضحى فى سبيل الوطن ، وأن أنسى كرامتى بحجة أن استقالتى سيكون لها ضرر بليغ . وحاولت أن أوضح لهم خطورة هذا القرار الذى اتخذه المجلس ، وأن المجلس باتخاذه هذا القرار إنما قد وضع به أول مسمار فى نعش اسمى هدف من

أهدافنا ، وهو اقامة حياة نيابية سليمة ، وانه لهذا السبب كان لابد من أن يدق ناقوس الخطر حتى نفيق ونتنبه لأنفسنا . ولكنهم أخـذوا يلحـون ويضـغطون على لأستبعد خطوة الاستقالة من ذهنى ، ومطالبين بالتضحية بنفسى فى سبيل الإبقـاء على كيان المجلس . واستمر هذا الحوار لفترة طويلة حتى أرهقت وشعر الأعضـاء بهـذا الإرهاق الذى انتابنى فعملوا على إدخـالى غرفة الاجتماع الملحقـة بمكتب رئيس المجلس حتى أستريح بها ، ودخل معى إليها زكريا وحسين الشـافعى وعلى صبرى وأغلق الباب علينا . ولقد أخذ زكريا بعـد أن انفـردنا بأنفسـنا يتحـدث معى وكأن ما حدث ليس خـلافا على مبدأ أسـاسى من مبادىء ثورتنا وإنما كأنه خـلاف شـخصى بين جمال عبد الناصر وبينى . وقد قال فى سـياق المناقشـة والانفعال يملؤنا « أنت عارفه ـ دماغه ناشفة ـ يعنى نشيله » . وكان يقصـد بهـذا جمال . وعلى ما يظهر أن على صبرى كان قد أبلغ جمال بما حـدث وذكر له كلمة « نشيله » التى جاءت على لسـان زكريا ، وقد تسـبب عن ذلك سـوء علاقة بين جمال وزكريا لفترة طويلة بعد ذلك .

وكنت قد علمت بالأمر فيما بعـد من جمال . وكان قد ذكر لى أنه على أثر سماعها أمر صـلاح دسـوقى بأن يتولى أمور وزارة الداخلية بدلا من زكريا ، وأنه كان ينوى تعيينه وزيرا لها ، ولم يتراجع عن ذلك إلا عندما ذكر له على صـبرى أن هذا التصرف منه ربما يؤول على أن ذلك العمل ما هو إلا ترضية منه للروس باعتبار أن زكريا متعاطفا مع الأمريكان .

هذا ما حدث فى مكتبى بعد أن غادرت قاعة الاجتماع ، أما المجلس نفسه فقـد ظل مجتمعا يبحث عن حل ، وقد كلف أكبر الأعضـاء سـنا بالتوجـه إلىّ ومعـه بعض الأعضاء للتوسط فى إنهاء المشكلة ـ وأخذوا يلحون على للتراجع عما كنت قد انتويته . كما أخذ أعضاء اللجنة الدسـتورية خـاصة مقـررها السـيد/يواقيم غبريال يشرح لى دستورية اعتبار مديرية التحرير مؤسسة خاصة . وأن اللجنة لم تتخذ هذا القـرار إلا عن اقتناع . وأن الثغـرة على حـد قوله فى القـانون . وأنه يجب أن يعدل حتى تسد تلك الثغـرة . وتحـت هذا الضـغط من الزملاء أعضـاء المجلس ، وبعد ما تأكدت أن ما كنت أبغيه من دق ناقوس الخطر قد تحقق ، رأيت أن أستجيب لهم وأن أعتبر الموضـوع قد أصـبح منتهيا عند هذا الحـد . ولكنهم

صمموا على أن أعدهم بحضورى جلسة اليوم التالى . ولما وعدتهم بذلك أخذوا يقبلوننى ، وقد تأثرت من هذا الشعور وأحسست أننا أصبحنا أسرة واحدة فى وقت قصير .

وقد طلب منى بعض الأعضاء أن أنوب عنهم لدى كمال الدين حسين لإقناعه هو الآخر بسحب استقالته . ولكننى اقترحت عليهم التوجه إليه بمنزله ومقابلته وطلب ذلك منه . واتصل بى كمال تليفونيا فى نفس المساء وتبين لى أنه لم يكن بمنزله عندما توجه الأعضاء اليه - ولذا لم يتقابل معهم . كما أبلغنى أنه علم بما جرى فى المجلس من جمال عبد الناصر . وسألنى عما إذا كان أنور قد أبلغنى بعدم تقديم خطاب استقالته إلى المجلس أم لا - ولما أجبته بالنفى - ذكر - أن المقدر قد حصل . وعلمت منه أنه كان قد سبق واتفق معه جمال على سحبها ، وطلب من أنور ان يبلغنى ذلك ، ولكنه لم يفعل ولا أعرف السبب .

مقابلة مع جمال :

وبعد أن تم الاتفاق مع أعضاء المجلس واعتبر أن الموضوع قد أصبح منتهيا عند الحد الذى وصل إليه غادرت مبنى المجلس كما غادره معى كل من أنور وزكريا وحسين الشافعى وعلى صبرى . وعندما هممت بركوب سيارتى قفز فيها محمود الجيار . وذكر أن الريس قد أوصاه أن يبلغنى بأنه يرغب فى لقائى فى نفس الليلة ، وأنه قد أمره بعدم تركى إلا إذا ذهبت إليه . ولكننى ذهبت إلى منزلى رافضا الذهاب معه . وبقى معى محمود الجيار بمنزلى وقد أخذ يلح على فى أن أذهب للقاء جمال - ورأيت أنه ربما يكون من الأفضل أن يتم هذا اللقاء بيننا ، فذهبت إليه .

وعندما دخلت إلى مكتبه وجدت معه زكريا وأنور وعلى صبرى . وقد فوجئوا بوجودى بينهم . فقام جمال وقابلنى مصافحا ، وقد ظهر عليه السرور لأنه على ما يظهر لم يكن متوقعا منى أن استجيب لتلك الرغبة منه . وعندما دخلت عليهم كان الحديث يدور بينهم حول ذلك الخلاف الذى جرى فى المجلس - وهذا أمر طبيعى - وقد قطع عندما دخلت عليهم الغرفة - وكان زكريا هو الذى يتحدث إليهم ، وأراد أن يقطع الحرج الذى حدث بعدم الاستمرار فى الاسترسال فيما

كانوا يتحدثون فيه ـ فقال « أصلنا بنبحث عن الحلول « Objective » الهادفة ـ وسكت . ثم بدأ الحديث بين جمال وبيني عن الأسباب التى دفعتنى لاتخاذ هذه الخطوة ، فقلت إن قرار المجلس الخاص بمديرية التحرير واعتبارها مؤسسة خاصة فيه مخالفة دستورية ، وما حدث يعتبر هدم فى هدف أساسى من أهدافنا وهو إقامة حياة نيابية سليمة ، وكان يجب على أن أدق ناقوس الخطر . ولأننى شعرت أيضا أننى لن أكون أمينا إذا كنت قد أحسست بهذا الاحساس ولمست هذه الخطورة ورغم ذلك استمر أجلس على كرسى رئاسة المجلس دون أن أحاول درء هذا الخطر ، ولكنه لم يرد على تلك النقاط التى ذكرتها ، وإنما نقل حديثه عن أن طلب إسقاط العضوية عن مجدى حسنين لم يتفق عليه بيننا . فذكرته بحديثى معه حول الموضوع عند بدايته . وشعور الأعضاء نحو مجدى واعتباره شريكا فيما حدث وأنه شبه بالراشى ، وما ذكره هو فى حينه من أنه يرى التخلص منه بعد أن ضمه الشيوعيون إليهم ، وأنه طلب فقط أن لا نظهر بأننا ندفع الأعضاء نحو هذا الاتجاه . ولم أشأ أن أذكر بأنه هو شخصيا قد أخبر على صبرى بذلك الاتجاه ، وأن على قام بإبلاغ وجيه أباظة بذلك أيضا ، على أنه توجيه من الريس نفسه حتى يقوم بإقناع أعضاء المجلس عن مديرية الشرقية الذى هو أحدهم بذلك الأمر ـ كما وأن صلاح دسوقى كان هو الآخر قد ذكر لى أيضا أن على صبرى أبلغه بأن هذه هى توجيهات جمال . ولكن الغريب أن جمال سأل على صبرى أثناء تلك المناقشة بيننا عما إذا كان قد سمع عن أنه يريد ذلك أو أن هذا كان هو اتجاهه ـ فكان رد على صبرى بالنفى بإشارة من رأسه . وقد حركها يمينا ويسارا وهو موجه نظره إلى الأرض . وقد أدهشنى هذا الأمر من على ، وكان من السهل على أن أقوم بإحراجه ومواجهته بما أعلمه من وجيه ومن صلاح ، ولكننى لم أحاول . وقلت لجمال كيف يمكن لى أن أقوم بإخبار شقيقك الليثى بهذا الاتجاه إن لم نتفق عليه سويا مع علمى أنه يبيت عندك بالمنزل ولابد أنه سيخبرك .

كما ذكرته أيضا بموقف الطحاوى وطعيمة عندما جاءا إلىّ بمكتبى بالمجلس وأخبرانى بتوجيهات جمال إليهما ـ وهى إسقاط العضوية عن مجدى والأعضاء الآخرين ، ومن أنهما سيعملان على الاتصال بأعضاء المجلس لتحقيق هذا

الغرض . كما عتبت عليه أنه عندما رأى أن يغير رأيه فقد قام بالاتصال ببعض أعضاء المجلس صباح يوم الثلاثاء بغرض الضغط على أعضاء اللجنة الدستورية وأعضاء المجلس حتى لا يتخذ إجراء ضد الأعضاء موضع التحقيق رغم وجودى عنده بمنزله فى صباح نفس اليوم وأنه لم يشأ إبلاغى بما انتواه . ولكنه رد بأنه يعتقد أنه قد أبلغنى ـ فذكرته بحديثى التليفونى معه بعدما سمعت ما كان يدور حول هذا الموضوع فى أروقة المجلس بعد عودتى من زيارته .

ولكن كان كل الذى يهم جمال فى هذا اللقاء أن لا أصر على استقالتى من المجلس لأن هذا ـ على حد قوله ـ هزة للنظام وإظهار أننا فشلنا فى تحقيق هدف إقامة حياة نيابية سليمة . ولذا فقد حاول إقناعى بضرورة الاستمرار فى رئاسة المجلس . وقد استجبت إلى هذا الرأى الذى سبق واستقر رأيى عليه من قبل .

وقد توجهت فى مساء اليوم التالى الثلاثاء ١٢ نوفمبر إلى اجتماع مجلس الأمة . وقد حيانى أعضاء المجلس عند دخولى قاعة المجلس بالتصفيق ورددت عليهم تحيتهم . ووجهت إليهم كلمة بمناسبة ما حدث ، وقد ضمنتها كل المعانى التى كنت أريدها ، وداعيا أن يوفقنا الله لما فيه خير وطننا .

وفى هذه الجلسة قرأت عليهم الرسالة الموجهة إليهم من كمال الدين حسين والتى يطلب فيها سحب استقالته من المجلس ، وقد صفق لها الأعضاء .

تعيين الاعضاء :

وبهذا الخطاب وكلمتى إلى المجلس أسدل الستار على تلك الأزمة ، وقد استمر المجلس بعدها يؤدى دوره لشهور قلائل إلى أن حل بعد قيام الوحدة الاندماجية بين مصر وسوريا فى شهر فبراير ١٩٥٨ . وقد أقيم مجلسا جديدا مشتركا من السوريين والمصريين فى يونيو ١٩٦٠ بعد قيام دولة الوحدة ، وتم تعيين أعضائه بقرار من رئيس الجمهورية . وتولى رئاسة ذلك المجلس الجديد أنور السادات . وظل قائما الى أن حدث الانفصال بين سوريا ومصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ .

وكان من المفروض أن يقوم مجلس أمة جديد منتخب فى مصر فى يناير ١٩٦٣ بعد أن أعلن الميثاق الوطنى وأقر من المؤتمر العام للاتحاد القومى فى مايو ١٩٦٢ .

ولكن انتخـاب ذلك المجلس الجـديد كان قد أجـل عدة مرات حـــتى يتم تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى الذى حل محل تنظيم الاتحاد القومى . وقد أجل لذلك من يناير ١٩٦٣ إلى يوليو من نفس العام ثم إلى فبراير من العـام التالى وأخـيرا تم انعقاد المجلس فى ٢٦ مارس ١٩٦٤ .

وقبل انعقـاد هذا المجلس بأيام قليلة كنت قد تقـدمت باســتقالتى فى يوم ١٦ مارس ، وقررت اعتزال الحياة العـامة لأسـباب سـيأتى ذكرها فى موضــعها من التسلسل التاريخـى للأحـداث . كما اسـتقال أيضــا فى نفس الموعد كمال الدين حسين .

الباب الثانى

الوحدة الاندماجيه
بين
مصر وسوريا

١ ـ مساندة مصر لسوريا عام ١٩٥٧ ضد التهديدات الخارجية .
٢ ـ تمزق داخلى داخل سوريا .
٣ ـ قرار مجلس القيادة العسكرى السورى بالوحدة مع مصر .
٤ ـ الاتفاق على قيام الوحدة الاندماجية بين سوريا ومصر .
٥ ـ اقتراح جمال أن أتولى رئاسة المجلس التنفيذى فى سوريا .
٦ ـ سفر جمال إلى سوريا لأول مرة .
٧ ـ قيام اتحاد بين العراق والأردن .
٨ ـ قيام اتحاد بين اليمن والجمهورية العربية المتحدة .
٩ ـ إجبار الملك سعود على التنازل عن سلطاته إلى شقيقه الأمير فيصل .
١٠ ـ اعلان الدستور المؤقت لدولة الوحدة الجديدة .
١١ ـ زيارة جمال لموسكو فى مايو ١٩٥٨ .
١٢ ـ اضطرابات طائفية فى لبنان .
١٣ ـ قيام الثورة العراقية .
١٤ ـ إرسال أمريكا قوات عسكرية إلى لبنان .
١٥ ـ إرسال انجلترا بعض وحداتها العسكرية إلى مملكة الأردن .
١٦ ـ تأييد الجمهورية العربية المتحدة للثورة العراقية وسفر جمال إلى موسكو سرا من يوغوسلافيا .
١٧ ـ موقف روسيا من الثورة العراقية .
١٨ ـ عودة جمال من موسكو .
١٩ ـ عودة الهدوء إلى المنطقة .
٢٠ ـ مهاجمة جمال للشيوعيين السوريين .
٢١ ـ استقالة اللواء البزرى من رئاسة أركان الجيش السورى .
٢٢ ـ تشكيل لجنة عليا لدفع عجلة الإنتاج فى سوريا .

٢٣ ـ قبضة عبد الحميد السراج البوليسية على سوريا .
٢٤ ـ روح التذمر فى الجيش السورى .
٢٥ ـ رسالة من الملحق البحرى السورى فى الاتحاد السوفيتى .
٢٦ ـ تعيين عبد الحكيم حاكما فى سوريا .
٢٧ ـ استقالة بعض الوزراء السوريين .
٢٨ ـ تردى الوضع فى سوريا .
٢٩ ـ القرارات الاشتراكية فى يوليو ١٩٦١ .
٣٠ ـ تعيين السراج نائبا لرئيس الجمهورية لشئون الأمن الداخلى .
٣١ ـ تصادم السراج مع عبد الحكيم فى سوريا .
٣٢ ـ استقالة السراج .

الوحدة الاندماجية
بين
مصر وسوريا

كانت القلاقل السياسية قد بدأت تنتاب سوريا بعد أن نالت استقلالها وذلك بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد تعرضت فى خلال الفترة ما بين عام ١٩٤٩ ونهاية عام ١٩٥١ إلى ثلاثة انقلابات عسكرية . وأما الانقلاب الرابع بها فقد قام عقب استقالة شكرى القوتلى رئيس الجمهورية . وقاد هذا الانقلاب الشيشكلى ، وقد ظل مسيطرا على البلاد حتى فبراير من عام ١٩٥٤ إلى أن تكتلت ضده الأحزاب السياسية فى سوريا وتعاونت مع بعض ضباط الجيش الوطنيين على التخلص منه . وكانت الفرصة قد حانت لهم عندما أصدر الشيشكلى بعض القرارات الإدارية التى تحتم نقل بعض رؤساء شعب الجيش إلى إدارات أخرى أقل أهمية . وعلى أثر اصداره تلك القرارات قام الضابط مصطفى حمدون بإعلان عصيان قواته الموجودة فى منطقة قطنة ، كما أعد زميله الضابط طعمة العودة الله مدرعاته أيضا الموجودة فى منطقة درعا للتحرك . ولما رأى الشيشكلى أن الموقف قد تدهور إلى هذا الحد وأنه أصبح مهددا قام بمغادرة سوريا ليلا إلى القاهرة على متن إحدى الطائرات الحربية .

وبعد أن غادر الشيشكلى سوريا اجتمع مجلس الوزراء مع عقداء الجيش للعمل على تصفية ذلك الموقف حتى تستقر الأحوال فى البلاد ، وتم الاتفاق فى هذا الاجتماع على تكوين مجلس قيادة عسكرى مكون من أربعة وعشرين ضابطا . كما تقرر أيضا تعيين اللواء عفيف البزرى رئيسا لأركان حرب الجيش . وأجريت أيضا الانتخابات البرلمانية فى البلاد . وأسفرت عن نيل حزب البعث الاشتراكى على أغلبية أصوات الناخبين . وخسر فيها حزب الشعب كثيرا من دوائره الانتخابية . كما نجح فى تلك الانتخابات أيضا ـ ولأول مرة ـ خالد بكداش الشيوعى المعروف .

وفى عام ١٩٥٥ أجريت أيضا انتخابات فى سوريا لشغل منصب رئيس الجمهورية الذى كان لا يزال شاغرا . وقد تم انتخاب شكرى القوتلى . وكان لمصر دور فى انجاحه .

ولما كان الجيش السورى فى حاجة شديدة إلى السلاح خاصة بعد مهاجمة القوات الإسرائيلية لبعض المواقع فقد اتجهت سوريا إلى روسيا لشراء احتياجات جيشها منها بعد أن كسرت مصر احتكار السلاح . وقد أزعج هذا التصرف منها الولايات المتحدة ، واعتقدت أن سوريا متجهة إلى الشيوعية ، أو أنها على وشك السقوط فى حبائلها . لذلك دفعت كل من تركيا والعراق إلى حشد قواتها العسكرية على حدود سوريا المشتركة معها لإسقاط النظام القائم بها وللعمل ايضا على إحلال نظام آخر بديلا عنه تضمن ولاءه لها .

تركت مصر :

وفى أغسطس من عام ١٩٥٧ عاودت كل من تركيا والعراق الكرة مرة أخرى وحشدتا قواتهما العسكرية على حدود سوريا بحجة أنها أصبحت أداة للاتحاد السوفيتى فى منطقة الشرق الأوسط . واتهمت روسيا تركيا بأنها تعمل على مساندة الولايات المتحدة فى التدخل فى شئون سوريا . وتحركت مصر أيضا لمساندة شقيقتها سوريا ضد هذا الخطر الذى يهددها . واعلنت بيانا يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٧ أعربت فيه عن وقوفها بجانب سوريا ضد أى اعتداء يقع عليها . ولم تكتف مصر بهذا البيان الذى اعلنته وإنما قامت فى منتصف أكتوبر بتحريك

بعض من وحداتها العسكرية إلى سوريا عن طريق ميناء اللاذقية لتقف تلك الوحدات بجانب القوات السورية ، ولتؤكد مصر بذلك أيضا تصميمها على تلك المساندة التى سبق أن أعلنتها ضد هذه التهديدات .

ولم تكن تلك الوحدات العسكرية التى أرسلتها مصر إلى سوريا إلا وحدات رمزيه أكثر منها قوات عسكرية لها ثقلها ووزنها العسكرى . وقصد من إرسالها إعطاء معنى المشاركة ضد هذه التهديدات وليس التصدى الفعلى لها . ولكن هذا التحرك من جانب مصر كان له أثره الفعال فى نفوس الكثيرين من السوريين خاصة بعد أن انسحبت القوات التركية من على الحدود السورية بعد وصول القوات المصرية بفترة وجيزة .

وكان لهذا التحرك أيضا أثره على الكثيرين من ضباط الجيش السورى وعلى السياسيين السوريين كذلك . وزاد اقتناعهم أن أمن سوريا وصالحها يتطلب ضرورة ارتباطها مع مصر فى وحدة أو اتحاد بين البلدين . وكان هذا الاقتناع قد زاد بعد أن أصبح جمال عبد الناصر فى نظر الشعب السورى بل والشعب العربى كافة بطل القومية العربية وحامى حماها بعد موقفه من كسر احتكار السلاح ، وبعد تأميم قناة السويس والحرب التى تلتها والانتصار السياسى الذى أعقبها .

وكانت سوريا قد اصبحت معرضة للتمزق الداخلى مع تلك التهديدات الخارجية ومع الصراع الدائم بين القوى السياسية المختلفة فى البلاد حول ضرورة قيام اتحاد بينها وبين مصر أو بينها وبين إحدى الدول العربية الأخرى حتى تضمن أمنها واستقرارها .

وكان هذا الصراع الداخلى قائم بين ثلاث قوى ولكل منها اتجاهها ومصالحها . والأولى منها كانت تتمثل فى فريق السياسيين التقدميين ، وعلى رأسهم حزب البعث الاشتراكى السورى ، وكذا الضباط الوطنيين . وكان هذا الفريق مقتنعا بأن أمن سوريا واستقرارها مرتبط بقيام اتحاد مع مصر .

وأما الفريق الثانى من هذه القوى فكان يتمثل فى اليمينين من الساسة

السوريين . وكان أغلبهم يسعى إلى إقامة هذا الاتحاد مع العراق ، ويساندهم فى هذا الاتجاه حاكم العراق القوى نورى السعيد وكذا دول الغرب .

وأما ثالث هذه القوى فهو فريق الوسط من السياسيين الذى كان يفضل أن تظل سوريا وتبق بعيدة عن كل من مصر والعراق . وكان يساند هذا الفريق الملك سعود بن عبد العزيز الذى كان يرى أن فى ذلك مصلحة للملكة العربية السعودية .

وفد برئاسة أنور :

وفى أثناء هذا الجو المشحون بالتوتر فى البلاد بسبب تلك التهديدات الخارجية والصراعات السياسية الداخلية قام وفد برلمانى من مجلس الأمة المصرى بزيارة سوريا بدعوة من مجلس النواب السورى الذى كان يرأسة أكرم الحورانى أحد زعماء حزب البعث الاشتراكى وذلك فى نوفمبر من عام ١٩٥٧ . وقد استقبل الوفد المصرى هناك استقبالا شعبيا رائعا لما كان لمصر من مكانة فى العالم العربى بعد تلك المعارك التى خاضتها والتى تصدت فيها لقوى الغرب وانتصرت إرادتها عليهم . وكان يرأس هذا الوفد المصرى أنور السادات وكيل مجلس الأمة حينذاك . وقد عقد الوفد المصرى جلسة مشتركة مع النواب السوريين فى مبنى البرلمان السورى وأصدرا بيانا مشتركا فى نهاية الاجتماع دعيا فيه إلى قيام اتحاد فيديرالى بين سوريا ومصر . وقد أبلغ هذا الأمر منهم فى نفس اليوم الذى صدر فيه إلى مجلس الأمة المصرى الذى كان منعقدا هو الآخر . وعندما عرض عليه البيان المشترك . قام هو الآخر بإعلان بيان عبر فيه عن تأييده للبيان الذى صدر منهما وموافقته عليه .

وكان مجلس القيادة العسكرى السورى قد اجتمع فى يناير ١٩٥٨ لبحث ذلك الموقف المتمزق داخل سوريا وكذا تلك التهديدات الخارجية المستمرة التى تهدد استقلال البلاد وأمنها . وفى نهاية الاجتماع استقر رأيهم على أن الحل لمقابلة تلك التهديدات الخارجية ومواجهة تلك المشاكل الداخلية هو قيام وحدة مع مصر . وبعد أن توصلوا إلى هذا القرار استقل أربعة عشر ضابطا منهم طائرة عسكرية وعلى رأسهم رئيس الأركان عفيف البزرى المعروف بميوله الشيوعية ، وتوجهوا

بها إلى القاهرة والتى وصلوا إليها ليلا . واجتمعوا فور وصولهم بعبد الحكيم عامر وأبلغوه بالقرار الذى استقر عليه رأيهم وأسباب مجيئهم الى القاهرة .

قرار مجلس القيادة السورى :

أما الأعضاء الباقون من مجلسهم فقد ظلوا فى دمشق - وتوجه ثلاثة منهم فى صباح اليوم التالى ، وهم عبد الحميد السراج وأحمد عبد الكريم والنافورى لمقابلة رئيس الجمهورية شكرى القوتلى ، وقاموا بتسليمه مذكرة من مجلس القيادة ، وقد أشير فيها إلى القرار الذى اتخذه المجلس ، والإجراء الذى تم من سفر زملائهم إلى القاهرة . وهذا التصرف منهم ضايق شكرى القوتلى وأغضبه منهم ، ولكنه خضع إلى الأمر الواقع ، وقام باستدعاء مجلس الوزراء إلى الاجتماع لعرض الأمر عليه .

وعندما اجتمع المجلس اعترض خالد العظم رئيس الوزراء على الطريقة التى اتبعها مجلس القيادة دون التشاور مع الحكومة ووضعها بهذا التصرف منهم أمام الأمر الواقع . ولكن انتهى اجتماع مجلس الوزراء إلى العمل على تغطية تلك الصورة التى تمت وذلك - بإرسال وزير الخارجية السورى صلاح البيطار إلى القاهرة - وهو أيضا من زعماء حزب البعث - للاشتراك مع وفد مجلس القيادة فى المفاوضات الجارية بها حتى يأخذ الأمر صبغته الرسمية .

أما مجموعة ضباط القيادة التى وصلت إلى القاهرة فقد توجهت مع عبد الحكيم بعد مقابلته إلى منزل جمال عبد الناصر لعرض الأمر عليه - وعلى أساس قيام وحدة بين البلدين كقرار مجلسهم .

جمال يعارض الوحدة الفورية :

ولكن جمال اعترض على قيام الوحدة الفورية بين البلدين وفضل عليها قيام اتحاد فيدرالى ولمدة خمس سنوات - على أن يعاد النظر فى أمر تلك الوحدة المقترحة منهم بعد انتهاء تلك الفترة .

وكان معلوما موقف الشيوعيين فى سوريا من قيام الوحدة مع مصر ومعارضتهم لها ذلك لأن مصر كانت قد عملت على الحد من نشاط الشيوعيين المصريين

داخل البلاد . وكان الشيوعيون السوريون لهم نشاطهم داخل سوريا - والتنافس بينهم وبين حـزب البعث الاشـتراكى والذى من ضـمن أهدافه قيام وحـدة بين الدول العربية . وكان حزب البعث يتهم الشيوعيين السوريين بأنهـم يعملون ضـد قيام تلك الوحدة . وحزب البعث فى تلك الفترة كان يرى قيام اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا ، وعلى أن يكون لكل إقليم فى الدولة المتحـدة حكومته الخـاصة به وكذا برلمانه أيضا .

وكان عفيف البزرى وعبد الحميد السراج قد سـبق لهما مقـابلة جمال فى سبتمبر ١٩٥٧ وعلما منه موقفه من قيام وحدة اندماجية بين البلدين ، وأنه يفضل عليها قيام اتحـاد فيدرالى على أن يستمر عدة سنوات قبل إتمام الوحـدة الاندماجية . ولما كان عفيف البزرى على علم بهـذا الموقف من جمال ، لذا فإنه كان شـديد التحمس بين زملائه الضـباط ومتبنيا فكرة قيام الوحـدة الاندماجية بهـدف أن يرفض ذلك جمال . وعندما حضر وفدهم إلى القـاهرة ظـل البزرى متمسكا بهذا الرأى عند عرض الأمر على جمال على أمل أن يرفض الموافقة على قيام الوحـدة الاندماجية وأن يظل متمسكا بما كان قد سـبق وصرح به إليه مع السراج . وكان الشـيوعيون السـوريون يخشـون قيام هذا الارتباط مع مصر لأنه إن حدث فإنه سيهدد نشاطهم القائم فى سوريا .

البزرى يتراجع :

وكان جمال قد علم بحقيقـة البزرى وما يرمى إليه من تمسكة بقيام الوحـدة الفورية ، وأراد جمال على حـد قوله أن يفـوت على الشـيوعيين السـوريين غرضـهم - لذا - قام بتغيير اتجـاهه عند الالتقـاء الثانى بوفد مجلس القيادة السورى . وأعلن لهم موافقته على دعوتهم بقيام الوحدة الاندماجية بين البلدين . وعندما رأى البزرى ذلك عاد وتراجـع عن تمسكه بقيام الوحـدة الاندماجية واقترح أن يكتفى بقيام اتحاد فيدرالى ولو إلى حين . ولكن جمال ظـل مصرا على رأيه ، ومتمسكا بقيام الوحـدة . وحـدث انقسـام فى الرأى بين أعضـاء الوفد السورى بعد تراجع البزرى عن قيام الوحدة الاندماجية .

وانفض هذا الاجتماع الثانى على أن يتم لقـاء آخـر بعـد أن يتم التشـاور بين

أعضاء الوفد السورى ، وبعد آن يستقر رأيهم بصورة نهائية على قيام وحدة أو اتحاد . وانقسم الوفد السورى على نفسه - ففريق منهم كان يرى ضرورة التمسك بقرار مجلس القيادة والخاص بقيام وحدة ، وأما الفريق الآخر وعلى رأسهم البزرى كان يحاول التحلل من هذا القرار وأن يكتفى بقيام اتحاد . وكان صلاح البيطار قد وصل إلى القاهرة ، واجتمع بهم فور وصوله ، واشترك فى المناقشة ، وصرح لهم برأيه الشخصى من أنه فى جانب قيام الوحدة ويؤيدها رغم أن موقف حزبه والذى هو أحد زعمائه يرى أن يقوم اتحاد فيديرالى فقط .

ولما اشتد الخلاف بين أعضاء الفريقين ولم يصلا إلى قرار نهائى ، فقد قاموا باستدعاء السراج من دمشق ليشترك معهم بالرأى فى مناقشة الأمر ، وقد عبر لهم عن رأيه من أنهم ملتزمون بقرار مجلسهم وهو الدعوة إلى قيام الوحدة . وأن أى تعديل فيه يستلزم منهم العودة إلى دمشق لعرض الأمر ثانية على المجلس العسكرى ذلك لأنه هو وحده الذى يملك تعديل قراره السابق .

ولقد استقر الرأى بينهم فى النهاية على التمسك بقرار مجلسهم وقبول الوحدة الاندماجية مع مصر بعد أن قبلها جمال وتمسك بها .

شروط عبد الناصر :

ولما عاودوا الاجتماع مع جمال وأبلغوه بموافقتهم على قيام الوحدة بين البلدين ، اشترط عليهم شرطين - وأول هذين الشرطين هو ضرورة حل الأحزاب السياسية القائمة فى سوريا أسوة بالوضع القائم فى مصر ذلك لأنه لا يعقل على حد قوله أن يسمح بقيام أحزاب فى أحد إقليمى دولة الوحدة ولا يسمح بقيامها فى الإقليم الآخر .

وأما الشرط الثانى الذى اشترطه عليهم هو ابتعاد ضباط الجيش عن الاشتغال بالسياسة أو ممارستها . ومن منهم يرغب فى مزاولة هذا النشاط فعليه أن يستقيل أولا من الجيش وأن يبتعد عنه .

ولقد وافق وفد القيادة السورى على هذين الشرطين .

وكان رأى أغلب زملاء جمال من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين والذين

عرض عليهم جمال الأمر ضد قيام الوحدة الاندماجية فورا . وكانوا يفضلون عليها قيام اتحاد بين البلدين . وعلى أن تتم مرحلة الوحدة بعد أن تتضح نتائج هذا الاتحاد إلا عبد الحكيم الذى كان متحمسا بقيام الوحدة الاندماجية . أما جمال فقد علل قبوله للوحدة بعد معارضته لها لأنه علم حقيقة موقف البزرى منها وغرضه من التمسك بها . كما أنه يخشى أيضا أن يعود أعضاء وفد القيادة السورى إلى دمشق ويعلنون على الضباط السوريين هناك موقفه من الوحدة ورفضه لها ـ وهو لا يرغب فى أن يصور موقفه على هذه الصورة ـ على حد قوله . كما وأن الوحدة أيضا كانت توفر له القدرة فى السيطرة على الأمور هناك والتى لن تتحقق بقيام اتحاد فيدرالى فقط ، والذى به سيصبح مسئولا عن دولة الاتحاد دون أن تكون له السيطرة الكافية على الأوضاع بها على حد تعبيره .

وعندما انتهى الأمر على تلك الصورة حضر إلى القاهرة شكرى القوتلى رئيس الجمهورية وبرفقته خالد العظم رئيس الوزراء وكذا صبرى العسلى رئيس حزب الشعب وبعض من المسئولين السوريين أيضا . وقد تم عقد اجتماع مشترك بين ذلك الوفد وبين جمال وبيننا لمناقشة الأسس التى ستقوم عليها الوحدة بين البلدين وإعلان إجراءات قيامها . وقد أعد بيان مشترك من الرئيسين ـ جمال وشكرى القوتلى ـ أعلن فيه الموافقة على قيام الوحدة الاندماجية بين مصر وسوريا . ولقد قام صبرى العسلى بقراءة ذلك البيان وإعلانه على الجماهير التى تجمعت فى فناء مبنى مجلس الوزراء بشارع القصر العينى وذلك فى أول فبراير عام ١٩٥٨ .

وقد أطلق اسم الجمهورية العربية المتحدة على دولة الوحدة الجديدة ـ وعلى أن يجرى استفتاء شعبى فى كلا البلدين عن قيامها ، وعلى أن يتولى جمال عبد الناصر رئاستها . وأن يكون مولد الدولة الجديدة هو يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٨ . وقد أجرى الاستفتاء وجاءت نتيجة بالموافقة بنسبة ٩٩٫٨٪ من عدد أصوات الذين حضروا الاستفتاء فى كل من الإقليمين ـ الإقليم الشمالى (سوريا) والإقليم الجنوبى (مصر) .

وكان جمال قد اتصل بى يوم السبت ١٥ فبراير ١٩٥٨ وطلب أن التقى به فى المساء بمنزله .

اقتراح من جمال :

وفى هذا اللقاء اقترح على جمال أن أتولى رئاسة المجلس التنفيذى المزمع قيامه فى الإقليم السورى بعد أن يتم الاستفتاء على الوحدة . وكان الأمر مفاجأة لى لم أكن أتوقعه فتحفظت فى الرد وقبول ما اقترحه على . ومقترحا أن يتولى هذه المسئولية أحد السوريين ومفسرا ذلك بحتى لا يقال أن المصريين قد استعمروا سوريا وأنهم أرسلوا من يحكمها . ولكنه ذكر أنه حتى يتلافى هذه الصورة فأنه سيعمل على أن يتولى رئاسة المجلس التنفيذى فى مصر شخصا سوريا .

فقلت : إذا كان من الضرورى أن يتولى تلك المسئولية مصرى فربما يكون من الأفضل أن تكون هذه الخطوة تالية بعد أن يتولاها السورى وحتى يصبح هناك المبرر إن فشل . ولأن نجاح المصرى فى مهمته نجاح للثورة وللوحدة أيضا . والبدء بالسورى يتيح للمصرى فرصة الدراسة والإعداد قبل توليه تلك المسئولية ، وتصبح بذلك فرصته فى النجاح أكثر تحقيقا .

ولكنه قال : ان المشكلة أنه ليس هناك شخصا سوريا يمكن أن يتولى هذا المنصب ويرضى عنه أهالى سوريا ـ على حد تعبيره .

ولما سألته عن صبرى العسلى وإمكانية توليه هذا المنصب ، اعترض عليه لأسباب ذكرها وهى تتعلق بسلوكه العام .

وعندما اقترحت عليه أكرم الحورانى وأنه شخصية يمكن الاعتماد عليها فى تحمل تلك المسئولية كما أنه تقدمى وله دوره فى قيام حزب البعث الاشتراكى .

أجاب : بأن كل الأحزاب هناك ضده ، وأن من يؤيد حزبه من الشعب السورى لا يمثل إلا ١٠٪ منه فقط .

وعندما ذكرت اسم صلاح البيطار ـ اعترض عليه ذاكرا أنه ضعيف ولا يصلح .

ولما طلبت منه أن يمهلنى يومين لأفكر فيما اقترحه علىّ ، قال « إن موضوع الوحدة ونجاحها متوقف على هذه العملية ، والناس فى سوريا فى انتظار

المعجزات ، ويعتقدون أن حل مشاكلهم سيتم فى خلال ٤٨ ساعة بعد اتمام الوحدة » .

وقد أمنت على ما ذكره مشيرا إلى ما كتبه مصطفى أمين فى جريدة الأخبار بعد زيارته لسوريا حول هذا الموضوع . وهو فى كلمته التى كتبها أشار إلى نفس هذا المعنى الذى ذكره جمال . وحاول جمال أن يحثنى على قبول اقتراحه ويدفعنى إلى الموافقة عليه . ولكننى ذكرت له أننى لا أعرف شيئا عن سوريا ولا عن مشاكلها ولا أعرف أيضا أحدا بها . وأن الأمر يختلف فيها عن مصر التى عشت مشاكلها وأعرف عادات الناس بها كما أعرف من أثق بهم ، ويعرفنى أيضا الكثيرون وهم يخبرونى عما يجرى من أخطاء ، ولكن الوضع سيختلف فى سوريا . فذكر أنه قد اتفق مع جريدتى الأهرام والأخبار على أن يقوما بفتح مكاتب لهما فى سوريا لتقوم بالإبلاغ عما يجرى هناك . كما ذكر أن الناس فى سوريا كل ما تحتاجه هو العدل لأن الجيش السورى على حد قوله قد أوجد صورة من الإرهاب فى أنحاء البلاد . وقال أيضا أن سوريا فى حاجة إلى تنفيذ بعض المشروعات بها لأن الشعب هناك لم يلمس شيئا من هذا من فترة طويلة . وأشار إلى أن البنك الدولى كان قد وضع مشروعا لأغراض التنمية هناك منذ عام ١٩٥٤ . ولكن هذا المشروع لم ينفذ منه شيئا . كما أن سوريا أيضا كانت قد اقترضت من روسيا مبلغ أربعة ملايين من الجنيهات ، ولكن نصف هذا القرض قد أنفق كمرتبات على الفنيين الروس الذين يدرسون إمكانية وضع خطة تنمية لها . وأنه أى جمال قد اقترح على السوريين العمل على إلغاء تلك الاتفاقية .

وفى نهاية حديثنا سلمنى جمال مشروع الدراسة الذى قام به البنك الدولى لأطلع عليه . كما اتفقنا على أن نلتقى بعد يومين لأبلغه بقرارى النهائى فيما اقترحه علىّ .

وفى هذا اللقاء الثانى يوم الاثنين ١٧ فبراير ١٩٥٨ طلب منى جمال مقابلة مصطفى أمين عندما علم بأننى لا زلت عند موقفى السابق من اقتراحه وذلك حتى يطلعنى مصطفى على ما لديه من معلومات . والتى كان قد حصل عليها أثناء زيارته لسوريا مؤخرا . وحتى أكون رأيا سليما بعد الاستماع إليه . وكان جمال قد أرسل مصطفى أمين إلى هناك بغرض الاتصال بالهيئات المختلفة بها وكذا

بالقيادات السياسية ـ التقدمية منها والرجعية كذلك . وقد تقابل معه جمال فى اليوم السابق للقائنا هذا بعد عودته . وأعطاه مصطفى على حد قول جمال صورة سوداء عن الموقف هناك . ومقترحا عليه تعيينى أو تعيين كمال الدين حسين رئيسا للمجلس التنفيذى السورى.

لقاء مع مصطفى أمين :

وقد التقيت مع مصطفى أمين يوم الثلاثاء ١٨ فبراير ١٩٥٨ فى منزلى ، وأخذ يسرد على تلك المعلومات التى أمكن له جمعها أثناء تلك الزيارة . وقد كتبها تفصيلا فى مفكرة لديه . وهى عن الحالة العامة هناك ، وعن الجيش ، وعن الأحزاب المختلفة القائمة فى البلاد ، وكذا عن الأشخاص الذين التقى بهم من القيادات السياسية .

وقد خرجت بنتيجة فى نهاية الحديث معه ـ وهى اقتناعى الكامل بأن إرسال أى مصرى لتولى هذه المهمة فى سوريا سيكون خطأ . وأن النتيجة لن تبشر بالخير .

ولم أشأ أن أترك مصطفى أمين يغادرنى دون أن أناقشه اقتراحه الذى ذكره لجمال ، وأن أبين له موضع الخطأ فيه .

وقد استأذن منى فى إبلاغ ما ذكرته إلى جمال بعد أن أوضح أنها نقاط لها أهميتها ووجاهتها وأنه مقتنع بها .

وهى تتلخص فى :

أولا : من جهة الشكل العام فالأمر غير مقبول ، وربما يكون مقبولا اليوم فى ثورة حماس قيام الوحدة ، ولكنه سيستغل من المغرضين بعد مضى فترة على قيامها بغرض إثارة حفيظة السوريين ، خاصة وأن الأوضاع هناك ستدفع من سيتولى المسئولية بها إلى اتخاذ بعض الإجراءات التى ربما يترتب عنها صدام مع بعض الهيئات والأفراد . فالجيش هناك ربما يصطدم به لأنه سيبعد عن ممارسته للسياسة والسلطة التى كان قد تعود عليها لعدة سنوات مضت . وكذا الأحزاب أيضا التى ستحل اسما فقط ولكن نشاط أفرادها وتنظيماتها ستبقى دون شك ولكن

بصورة سرية . وكذا هناك الرشوة والفساد كما قيل ، وللقضاء عليهما لا بد من استخدام الحزم والشدة فى ممارسة الأمر هناك . كما وأنه يوجد قوانين قيل إنها لا تنفذ ، والأمر يحتاج أيضا إلى حزم وصرامة لضمان تنفيذها واحترامها . أما فساد السلطة التنفيذية هناك فستدفع من سيتولى الأمر إلى استخدام الشدة والجدية مع الموظفين حتى يضمن أن يسير العمل على ما يرام .

كل هذا سيثير أغلب الناس والهيئات وحينئذ يمكن أن تستغل من المغرضين بأن المصرين يحكمون سوريا . وأن الأقليم المصرى قد قام باستعمارها خاصة إذا عمل على تنفيذ فكرة تهجير بعض الفلاحين المصريين إلى هناك لاستثمار وزراعة الأراضى الزراعية الغير مستغلة بها . أو لو تم الاستعانة ببعض المقاولين المصريين والخبراء الفنيين لتنفيذ بعض المشروعات هناك ـ وحينئذ ستنسى الوحدة ويفتر الحماس لها .

وأما القول بأن شخصا سوريا سيتولى رئاسة المجلس التنفيذى فى الإقليم المصرى فقول مردود عليه بأن وضعه سيكون مختلفا لأن الأحوال هنا فى مصر قد استقرت ولن يصطدم السورى بأحد ولن يكون إلا صورة فقط الغرض منها تغطية شكل سرعان ما سيتضح أمره للسوريين بعد فترة وسيكون محل تعليق منهم وانتقادهم بل وضيقهم أيضا .

ثانيا : الحكم فى أى بلد لا بد أن يستند إلى قوة . وهذه القوة ربما تكون حزبا سياسيا أو أى قوة أخرى كالجيش . ولكن الوضع فى سوريا بعد الوحدة سيكون شاذا وغريبا . فالأحزاب القائمة بها ستحل بعد قيام الوحدة . ولن يكون هناك حزبا سياسيا أو أى قوى سياسية أخرى يمكن الاعتماد عليها إلى أن يتم قيام تنظيم سياسى بها مماثل للاتحاد القومى فى مصر . كما وأن الجيش قد تقرر إبعاده عن أى دور فيه ممارسة للسياسة أو السلطة وهو أمر ضرورى بعد أن لاقى الشعب السورى الأمرين من إرهابه وشعوره بعدم الاستقرار والاطمئنان نتيجة تلك الانقلابات العسكرية المتعددة ، بل ومطالبة الشعب السورى بالوحدة من ضمن أغراضه أيضا التخلص من هذا الإرهاب .

وعلى أساس تلك الصورة فلن يكون هناك فى سوريا من سند يؤمن الوضع والنظام بها غير إيمان الشعب السورى نفسه بالوحدة وثقتهم فى جمال

عبد الناصر شخصيا ـ ولكن هل هذا يكفى ـ خاصة بعد أن تتعدد المشاكل ولا يتحقق لهم ما كانوا يأملونه من الوحدة فى زمن قصير. وهل يجوز لنا أن نلقى جانبا شعور الشعب السورى ونستند إلى الجيش هناك كقوة ضرورية لضمان استقرار النظام بها ـ وما تأثير ذلك على الوحدة نفسها. أم نعتمد على حزب البعث كقوة سياسية تقدمية ـ وجمال تنتابه الشكوك منه ولا يمكن أن يأخذ هذه الخطوة.

ثالثا: يقال كما ذكر أنه مطلوب تحقيق المعجزات هناك فى ساعات، ومن الطبيعى أن هذا لن يتحقق، بل وأن عجلة التنفيذ نفسها لن تبدأ فى المسير إلا بعد عدة شهور طويلة إلى أن تتم الدراسة ويستكمل البحث والإعداد. وهذا التأخير سيكون له رد فعله لأنه سيجىء على غير ما كانوا يتوقعون ويأملون.

رابعا: كيف يمكن لإنسان أن يحكم شعبا لا يعرف من عاداته شيئا ولا من تقاليده، وليس له علم بنفسياته ولا بفلسفته فى الحياة بل ولم يشاركه حياته على أرضه فترة كافية من الزمن حتى يمكنه التعرف على أحواله ومشاكله، وكيفية التصرف والتعامل معه.

خامسا: إن تولى مصرى هذه المسئولية مع وجود تلك الظروف والمشاكل فكأننا نكون كالذى استخدم احتياطى جيشه من بداية المعركة قبل أن يتعرف على خطط العدو وقوته، ولا حتى على أرض المعركة نفسها. وقد يتسبب عن فشل هذا المصرى خسائر نحن فى غنى عنها لو تولى الأمر شخصا سوريا. وعلينا أن نحتفظ بالمصرى كاحتياطى يمكن لنا استخدامه عند الضرورة وبعد أن يكون قد أعد نفسه إعدادا كاملا وتعرف على المشاكل والعادات والتقاليد هناك. وحتى يصبح هناك أيضا المبرر الذى يسمح لنا باستخدامه بدلا من السورى فى حالة فشله ـ خاصة وأن الفترة الأولى من الوحدة ستكون فترة فيها تصادم مع بعض القوى التى كانت تسيطر على الأمور هناك من قبل.

سادسا: إن تولى المصرى الأمر هناك فسيكون كالشخص الذى أعصبت عينيه ووضع فى مكان معين وطلب منه أن يتحرك إلى هدف محدد، وهو لا يدرى شيئا عما يحيط به. وإن أراد الوصول إلى ذلك الهدف فلا بد له من أن يستعين

بشخص ما تجنبا له من التخبط ، ومن الطبيعى فإنه سيتصرف طبقا لإرشادات ذلك الشخص وتبعا لتوجيهاته وعلى أساس ما سيدلى به إليه من المعلومات ، وهو ربما لا يدرى بنوايا هذا الشخص ولااتجاهاته . وسيصبح الأمر وكأن صاحب الكلمة النهائية هو ذلك الشخص الذى سيستعين به إلى أن تزال تلك اللفافة من على عينيه . ولن تستقيم الأمور على هذه الصورة لأن الرجل المسئول أساسا سيفقد بذلك احترامه وهيبته عند الناس لأن تلك الصورة ستكون لابد واضحة لكل ذى عينين ـ وهو لذلك لن يحقق الهدف الذى من أجله قد أرسل إلى هناك .

وقد انصرف مصطفى أمين بعد أن أبديت له هذه الأسباب ذاكرا لى اقتناعه بها ومستئذنا فى إبلاغها إلى جمال .

خلاف مع السودان :

ولقد كنت على موعد مع جمال يوم الخميس ٢٠ فبراير لمعاودة مناقشة هذا الاقتراح ولكنه اتصل بى تليفونيا وطلب تأجيل هذا اللقاء حتى يوم الجمعة ٢١ فبراير لأنه كان مجهدا على حد تعبيره بسبب مشكلة الحدود مع السودان . وقد أبديت له تخوفى من وقوع احتكاك بيننا وبين السودانيين لو ذهبت لجان الاستفتاء على قيام دولة الوحدة لمباشرة عملها فى منطقة حلايب القريبة من الحدود السودانية والمختلف عليها ـ وربما يحاول عبد الله خليل رئيس الحكومة السودانية استغلال هذا الموقف لإثارة المشاعر الوطنية لدى الشعب السودانى ليصبح فى نظرهم البطل الذى يدافع عن حقوقهم وعن أرض الوطن ليضمن بذلك التأييد الشعبى له ولأنصاره فى المعركة الانتخابية . ولكن جمال أكد لى أنه سيعمل على تجميد الموقف وأنه سيعلن ذلك . كما أنه سيمنع لجان الاستفتاء من مباشرة أعمالها فى تلك المنطقة المتنازع عليها . وسيعمل كذلك على إبراز أن مصر قد اتخذت هذه الخطوة استجابة منها لعلى الميرغنى واسماعيل الأزهرى حتى يشد هذا الموقف منا أزرهما فى المعركة الانتخابية ضد حزب الأمة والذى يرأسه عبد الله خليل .

وفى مساء الجمعة ٢١ فبراير توجهت إلى منزل جمال وحضر كل من حسين الشافعى وزكريا وأنور وعبد الحكيم وكمال الدين حسين ، وقد دار الحديث حول

الخلاف مع السودان على منطقة حلايب والتى كانت سترسل إليها لجان الاستفتاء. وذكر جمال أنه ضغط على نفسه واتخذ الطريق الذى لا يحقق للحكومة السودانية غرضها فى إثارة القلاقل والاحتكاك بهم. وأنه قام بإعلان البيان الذى جمد به الموقف إلى ما بعد الانتخابات السودانية. كما لمح فى البيان على أنه لم يتخذ هذا الموقف إلا استجابة منه لرغبة الميرغنى وإسماعيل الأزهرى. وذكر أن هذا الموقف من جانبنا قد زاد من ارتفاع أسهم إسماعيل الأزهرى والحزب الاتحادى الوطنى، أما عبد الله خليل فقد تملكه الحنق والغيظ لهذه النتيجة.

وفى هذا اللقاء بيننا تم استعراض بعض النماذج المختلفة لعلم الدولة الجديد بعد اتمام الوحدة - واتفق على أن يحتفظ بشكل العلم المصرى وعلى أن يضاف اليه نجمتان باللون الأخضر على الشريط الأبيض الموجود بوسط العلم كرمز إلى وحدة مصر مع سوريا. وعلى أن يضاف اليها نجمة أخرى جديدة لكل دولة عربية تنضم إلى هذه الوحدة فى المستقبل.

وفى صباح اليوم التالى السبت ٢٢ فبراير ١٩٥٨ توجهنا جميعا إلى ميدان الجمهورية لحضور احتفالات الشباب الذى أقيم بمناسبة قيام الوحدة بين البلدين، وأعلن زكريا فى هذا الحفل نتيجة الاستفتاء على الوحدة وعلى رئاسة جمال للجمهورية الجديدة الموحدة، وألقى جمال كلمة على جموع شباب الجامعات والمدارس الذى امتلأ بهم الميدان.

وفى ظهر يوم الأحد ٢٣ فبراير التقينا فى منزل جمال للنظر فى التنظيمات الجديدة التى ستترتب عن قيام الدولة الجديدة، ولكننا علمنا أن جموعا غفيرة من المواطنين قد تجمعوا عند مبنى مجلس الوزراء للإعراب عن فرحتهم بقيام الوحدة، فتوجهنا إليهم لتحيتهم. وفى الطريق إليهم أخبرنى جمال وكنت أرافقه مع عبد الحكيم فى سيارته أنه قد وجد الحل لمشكلة سوريا والمجلس التنفيذى - على حد قوله - وقد أشار إلى عيوب تعيين شخصا سوريا أو مصريا فى هذا المنصب ومبينا الخسائر التى ستترتب عن هذا التعيين. وأن الحل الذى يراه هو أن لا يكون هناك مجالس تنفيذية، وإنما يعمل على إيجاد حكومة مركزية مقرها

القـــاهرة مع تعيين نائبين لكل وزير فى الوزارة المركزية ـ أحــدهما لإقليم مصر والآخر منهما لإقليم سوريا ، وأنه بهذا الحل ينهى المشكل على حد تعبيره ، وبعـد أن ألقى جمال كلمة فى الجموع المحتشدة وعدنا إلى منزله قام بذكر هذا الحل الذى أخبرنا به ونحن فى السيارة لباقى الزملاء ، وأما موضوع اقتراحه السابق والخاص بتعيينى رئيسـا للمجلس التنفيذى السـورى فلم يشر إليه فى حـــديثه كما أننى لم أحاول من جانبى إثارته .

جمال فى دمشق :

وقد تم اتفاقنا فى هذا اللقاء على أن يقـوم جمال بالسـفر إلى دمشـق فى اليوم التالى الاثنين ٢٤ فبراير ، وأن يسـتقل فى سـفره طـــائرة شركة مصر للطيران ، والتى تغادر عادة القاهرة إلى دمشق فى الساعة السابعة صـباحا ـ وعلى أن يعمل على نقل ركاب تلك الطائرة إلى طـائرة أخـرى بعـد وصـــول جمال إلى المطار . وكان قد رؤى ذلك ضمانا للأمن والسرية وأن يكون السفر إلى دمشـق بصـورة مفاجئة ودون ترتيب سابق ولا معلن عنه ودون إخطار أيضا إلى دمشق .

وقد تم الاتفـــاق على أن يرافقـــه فى هذه الرحلة كل من عبد الحكيم وأنور وأنا .

ولقد فوجىء المسئولون بمطار دمشق فى صباح ذلك اليوم بوجود جمال بينهم بعد أن غادر الطائرة ، وسرعان ما انتشر الخـــبر بين الموجـــودين فى المطار ، وبدأوا يتجمعون حولنا وهم فى حماس شديد ، واستخدمنا اتوبيس الشركة للتوجه به إلى منزل شكرى القوتلى بدمشق والذى فوجىء بنا هو الآخر ، وانتشر الخبر بسرعة فى المدينة فتجمعت جماهير غفيرة ملأت الشارع الذى به منزل شكرى القـوتلى ، بعد فترة وجيزة من وصولنا ، وكنا نخرج إليهـم من حـين إلى آخـر لتحيتهـم ، ثم ألقى عليهم جمال كلمة من شرفة المنزل ، واسـتمرت الجماهير محتشـدة أمام المنزل طوال النهار إلى أن انتقلنا منه إلى قصر الضيافة هناك للإقامة فيه .

وقد ظللنا بدمشق عدة أيام ، واحتشاد الجماهير فى السـاحة المواجهـة للقصر لا ينقطع لا ليل ولا نهار ـ يغنون ويرقصون ـ ويهتفون للوحدة ولجمال . ولم ينقـطع أيضا ورود الوفود من المدن السورية المختلفـة وكذا من الشـعب اللبنانى وزعمائه

السياسين لتحية جمال . وكان جمال يخرج من حين إلى آخر إلى شرفة القصر ليحيى تلك الجماهير المحتشدة فى الساحة وليلق إليهم بكلمة . وظلت تلك الصورة تتكرر كل يوم تقريبا طوال وجودنا هناك . وأعلنت حكومة العراق والأردن - فى أوائل مارس ١٩٥٨ - وأثناء تواجدنا فى دمشق عن قيام اتحاد بينهما - ردا منهما على قيام الوحدة بين مصر وسوريا - وقد سمى بالاتحاد العربى . وأصبح الملك فيصل الثانى ملك العراق بموجب هذا الاتفاق بينهما رئيسا للدولة المتحدة - ونورى السعيد رئيسا لحكومتها وذلك بهدف الاشراف على قيام سياسة موحدة بين البلدين فى الدفاع والاقتصاد والسياسة الخارجية .

وقامت الجمهورية العربية المتحدة بإعلان ترحيبها بقيام هذا الاتحاد بين البلدين ، وإعلان تأييدها له ، وعلى أنه خطوة على الطريق لتحقيق الوحدة العربية الشاملة ، وذلك رغم تشككنا فى جدية هذا الاتحاد وأنه ما قام إلا لمناوأة وحدة مصر وسوريا . ولم يكن موقف حكومة العراق وكذا شرق الأردن ، وعدائهما للنظام القائم فى مصر ولقيام الجمهورية العربية المتحدة يخاف على أحد . ولكننا أردنا بإعلاننا هذا الموقف أن نبين أن وحدة الدول العربية هدف قومى وأسمى من أى شىء بل وفوق كل الخلافات .

وكان الإمام أحمد إمام مملكة اليمن قد أرسل إلى دمشق ولى عهده الأمير البدر لمقابلة جمال ولإبلاغه برغبة الإمام فى الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة فى شكل اتحاد سمى بالدول العربية المتحدة . وكان لقيام هذا الاتحاد صداه وتأثيره خاصة على المملكة العربية السعودية وعلى الملك سعود بالذات وذلك رغم أنه اتحاد شكلى .

انزعاج الملك سعود :

وكان قد أزعج الملك سعود بن عبد العزيز ملك السعودية قيام الجمهورية العربية المتحدة ، ومثله فى ذلك أيضا ملك العراق وملك الأردن وكميل شمعون رئيس جمهورية لبنان . وكان الملك سعود يخشى على مملكته من هذا التطور التقدمى السريع فى المنطقة وذلك التحمس الجماهيرى الواضح لهذا التطور . وكان يخاف أيضا من شعبية جمال عبد الناصر وتأثيرها على جماهير الشعب

العربى ـ لذا ـ عمل على الاتصال بعبد الحميد السراج بغرض إقناعه أن يقوم بإحداث تلف أو تخريب فى الطائرة التى سيستقلها جمال عند عودته إلى القاهرة حتى تسقط به ويختفى بذلك من على المسرح السياسى العربى وذلك مقابل مليونين من الجنيهات تعطى للسراج . وقد رأى السراج ان يتمشى مع رسول الملك فى العرض المقدم منه ، وعمل على تسجيل كل ما دار من أحاديث بينهما . وكان السراج منذ البداية قد أبلغ جمال بهذا الاتصال . وبعد أن استلم السراج صك بمبلغ مليون من الجنيهات من مندوب الملك سعود قام جمال وأعلن عن تلك المؤامرة فى كلمة ألقاها على الجماهير المحتشدة أمام قصر الضيافة بدمشق ، وكان لإعلانه عنها دويا مؤثرا ، الأمر الذى جعل الأمراء السعوديين يتقدمون إلى الملك سعود بطلب التنازل عن سلطاته لولى العهد الأمير فيصل بن عبد العزيز ، وأن يعينه رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية .

ولقد أعلن فى يوم ٥ مارس ١٩٥٨ عن الدستور المؤقت لدولة الوحدة . ، وجاء به أن يقوم مجلس أمة واحد للدولة الجديدة ، وأن يكون عدد أعضائه ستمائة عضو ـ ربعمائة منهم يمثلون الإقليم الجنوبى (مصر) ـ والباقى منهم يمثلون الإقليم الشمالى (سوريا) . وأن يصدر قرار تعيينهم من رئيس الجمهورية . وعلى أن يعين نصفهم ممن كانوا أعضاء فى مجلس الأمة المصرى ومجلس النواب السورى . وأما النصف الآخر منهم فيختار من بين أعضاء المؤتمر العام للاتحاد القومى الذى يمثل التنظيم السياسى فى البلاد .

وقد جاء به أيضا أن يمثل السلطة التنفيذية حكومة مركزية ومجلس تنفيذى لكل إقليم ، وأعلن عن تشكيل أول مجلس لدولة الوحدة فى يوم ٦ مارس ١٩٥٨ .

وكان عدد وزرائه ٣٤ عضوا ، منهم ١٤ سوريا . كما أعلن عن تعيين أربع نواب لرئيس الجمهورية ، اثنان منهم من مصر ، والآخران من سوريا ، وهم عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر ، وأكرم الحورانى وصبرى العسلى .

وقد لقب أيضا شكرى القوتلى بالمواطن العربى الأول . كما عين عبد الحميد السراج وزيرا للداخلية فى المجلس التنفيذى للإقليم الشمالى ، وصلاح البيطار وزير دولة .

ولم يكن قد مضى وقت طويل على عودتنا إلى القاهرة من سوريا حتى رافقت جمال فى زيارته للاتحاد السوفيتى يوم ٢٨ أبريل ١٩٥٨ . وحضرنا الاحتفال بعيد العمال هناك فى أول مايو . وقام الوفد بزيارة ليننجراد وأزربيجان وأزبكستان وأكورانيا . وكنت قد تخلفت عن استمرار مرافقة الوفد فى مدينة طشقند لمرضى . وأمضيت المدة الباقية من الزيارة فى الاستشفاء على سواحل البحر الأسود . وقد أقمت فى إحدى الاستراحات المخصصة لزعماء الحزب الشيوعى فى مدينة سوتش السياحية الجميلة والتى تقع على ساحل البحر الأسود . وعدت إلى موسكو بعد أن أتم الوفد جولته فى أنحاء روسيا ، ثم رافقتهم فى العودة إلى القاهرة .

وقد قام جمال بإلقاء خطاب فى الكرملين يوم ٣٠ أبريل بعد أن تناولنا الغداء مع زعماء الحزب الشيوعى وبدعوة من خرشوف . وأشار فى كلمته إلى المساعدات الروسية التى قدمت إلى مصر ، وعدم ارتباط تلك المساعدات بأية شروط سياسية أو قيد من جانب الاتحاد السوفيتى . كما أشار كذلك إلى ابتعادهم وعدم تدخلهم فى الشئون السياسية لمصر المستقلة .

رعب المترجم السوفيتى :

وكانت قد جرت مفاوضات بين وفدى البلدين فى بداية الزيارة ، وتناولت المحادثات فيها العلاقة بين البلدين والعمل على زيادتها . كما تناولت المطالبة بإمداد قواتنا المسلحة بما تحتاجه من أسلحة . كذا منحنا بعض القروض طويلة الأجل ، وتسهيلات ائتمانية للمساهمة بها فى تمويل مشروعاتنا الانمائية .

وكان قد حدث فى أول يوم لهذه المحادثات أن فهمنا عن طريق المترجم الروسى أن خرشوف يطالب بالسماح للشيوعيين فى سوريا من أن يعملوا بحرية أكثر ، وقد تداول الوفد المصرى فى هذا المطلب منه بعد الانتهاء من الاجتماع . واتفق على أن يقوم جمال باستيضاح هذا الأمر والاحتجاج عليه فى الاجتماع التالى . وأثار ذلك جمال عندما التقى الوفدين ثانية وأوضح أن هذا المطلب يعتبر تدخلا منهم فى شئوننا الداخلية وهو ما نعترض عليه . ورد عليه خرشوف واستبعد أن يطلب مثل هذا الطلب ، وأن الخطأ لا بد قد نتج عن قصور فى

الترجمة ، وأن مسئولية هذا اللبس الذى حدث تقع على المترجم نفسه . وأبدى استعداده ورغبته فى مؤاخذته على هذا الخطأ الذى صدر منه ورأى جمال أن هذا التفسير منه كاف وليس هناك داع لمؤاخذة المترجم الذى كان قد انتابه الرعب وهو يقوم بترجمة ما دار من حديث حول هذا الموضوع .

وأعلن بيان مشترك فى نهاية الزيارة من خرشوف وجمال ، ولقد أشير فيه إلى حق الجزائريين والفلسطينين فى تقرير مصيريهما .

وبعد أسبوعين من عودتنا من الاتحاد السوفيتى قامت اضطرابات طائفية فى لبنان فى نهاية شهر مايو . وكان ذلك على أثر محاولة كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان مد مدة رئاسته إلى فترة أخرى جديدة . وكان الأمر يستلزم منه لتحقيق هذا الغرض الذى يسعى إليه ضرورة إجراء تعديل فى الدستور اللبنانى . ولكن المسلمون فى لبنان من سنيين وشيعة وبعض المسيحيين بها أيضا من الذين يتبعون البطريرك المعوشى تجمعوا لمقاومة ما يهدف إليه كميل شمعون . وقاد هذا التجمع صائب سلام رئيس الوزراء السابق ومعه رشيد كرامى نائب طرابلس وكمال جنبلاط زعيم الدروز .

وكان كميل شمعون ووزير خارجيته مالك قد أقنعا أيزنهاور ودالاس وزير خارجية الولايات المتحدة بضرورة استمرار شمعون فى رئاسة لبنان لفترة أخرى جديدة بحجة حماية مسيحى لبنان من أطماع جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة ، وكذا حمايتها من التغلغل الشيوعى فى المنطقة . وكان كميل شمعون نفسه معروف بولائه إلى الغرب ، وكثيرا ما هاجمه جمال ووسائل إعلامنا ومشيرين إلى دوره فى العمل على تحقيق مصالح الغرب فى المنطقة العربية . كما كان معروفا أيضا أنه دون باقى رؤساء الدول العربية الأخرى الذى رفض قطع علاقات لبنان الدبلوماسية مع انجلترا وفرنسا على أثر الاعتداء الثلاثى على مصر . والوحيد كذلك من بين الحكام العرب الذى قبل مشروع أيزنهاور لمنطقة الشرق الأوسط الذى كان قد أعلنه فى أوائل عام ١٩٥٧ . وكان قد جاء بهذا المشروع أن الولايات المتحدة على استعداد لتقديم المساعدات العسكرية والمالية لأية دولة من دول المنطقة لمقاومة أى ضغط يقع عليها من الاتحاد السوفيتى وكذا لمنع التغلغل الشيوعى بها .

وكانت الجمهورية العربية المتحدة قد اعتبرت أن موقف الولايات المتحدة من مساندة شمعون وتأييده فى مد مدة رئاسته لفترة أخرى، مؤامرة منها جديدة ضد الإقليم الشمالى من الجمهورية. ولذلك قامت بمساندة الجانب الآخر الذى عمل على التصدى لما يهدف إليه كميل شمعون، وقامت بتزويده بالمال والسلاح، وعرضت هذه المعاونة منها على صائب سلام الذى رحب بها.

ولقد وقعت عدة مصادمات بين مجموعة شمعون والموالين له، وبين المجموعات الأخرى التى أخذت موقف المعارضة منه والمتصدية له. ودام الصراع الدموى بينهما أكثر من شهر مما اضطر شمعون إلى أن يعلن رسميا فى نهاية الأسبوع الأول من شهر يوليو ١٩٥٨ عن تراجعه فيما كان قد اعتزمه، ومن أنه سيترك منصب رئيس الجمهورية عندما تنتهى مدة رئاسته فى ٢٣ سبتمبر من نفس العام.

قتل فيصل وسحل نورى:

ولم يكن قد مضى أسبوعا على هذا الإعلان منه حتى تفجر الموقف فى المنطقة كلها وبصورة شديدة وعنيفة أعادت إلى الأذهان فترة الاعتداء الثلاثى على مصر. وقد تفجر الموقف على أثر الانقلاب العسكرى الذى وقع فى العراق فى فجر يوم ١٤ يوليو ١٩٥٨ والذى قتل فيه ملك العراق فيصل الثانى وأفراد أسرته على سلالم قصره برشاشات الضباط الثائرين. كما قتل فيه أيضا رجل العراق القوى نورى السعيد رئيس الوزراء بعد أن تمكنت منه الجماهير الثائرة. وكان قد هرب من منزله متنكرا فى زى امرأة ملثمة تلبس الحداد. وتعرفت عليه الجماهير فأمسكت به وقامت بسحله فى شوارع بغداد إلى أن فارق الحياة بعد أن تشوهت جثته.

وكان قد قاد هذا الانقلاب الزعيم الركن عبد الكريم قاسم وزميله الزعيم عبد السلام عارف. وأعلن عن قيام جمهورية العراق على أثر نجاح الانقلاب. كما أعلن عن تولى قاسم رئاسة الوزراء بالإضافة إلى قيادة الجيش. وعين صديقه عبد السلام عارف نائبا لرئيس الوزراء.

وأحدث هذا الانقلاب صدى ودويا ضخما خاصة. عند الدول الغربية لأن العراق كانت إحدى معاقلها فى المنطقة. وكما أنها كانت عضوا فى حلف بغداد العسكرى وموردة أيضا للبترول إلى أغلب دولها.

وقد اعتقد الغرب بعد وقوع الانقلاب فى العراق أن الدور آت لا ريب فيه على كل من لبنان وشرق الأردن لإسقاط الأنظمة التى بهما بعد سقوط النظام الملكى فى العراق وأن هذه مؤامرة تقف من ورائها الجمهورية العربية المتحدة، وأن روسيا تساندها فى ذلك بغرض القضاء على النفوذ الغربى فى تلك المنطقة الحساسة من العالم.

وكان كميل شمعون قد تملكه الخوف والذعر عندما علم بخبر الانقلاب فى العراق. وزاد من خوفه وقلقه موقف خصومه فى لبنان وتحديهم له وتظاهرهم فى شوارع بيروت معلنين تأييدهم وفرحتهم بهذا الانقلاب، ولذلك لم تمض ساعات قليلة من وقوعه حتى طلب كميل شمعون من الولايات المتحدة العمل على مساعدته ومساندته عسكريا، وتأمين الوضع القائم فى لبنان. وتحركت أمريكا بسرعة وأرسلت قوة من مشاة أسطولها السادس القابع على مياه البحر الأبيض المتوسط وأنزلتها على الساحل اللبنانى قرب مطار بيروت وذلك فى اليوم التالى من طلبه لهذه المساعدة.

وأما الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية فقد لجأ هو الآخر إلى انجلترا بعد مرور يومين من وقع الانقلاب العراقى، وطلب منها مده بقوة عسكرية لحماية مملكته من حدوث أية تطورات مفاجأة داخل بلاده. وسرعان ما لبت انجلترا طلبه كذلك وقامت بإرسال بعض من قواتها العسكرية إلى الأردن، وقد نقلت جوا من قواعدها فى جزيرة قبرص.

وكان جمال عبد الناصر عندما وقع هذا الانقلاب فى زيارة للمرشال تيتو بيوغوسلافيا. وقد علم بالانقلاب صباح يوم وقوعه عن طريق عامل اللاسلكى الذى يعمل على يخت الحرية الذى استقله فى رحلته. والتقط العامل خبر هذا الانقلاب صدفة من إذاعة بغداد. واتصل جمال من بريونى بالقاهرة وطلب أن تعلن الجمهورية العربية المتحدة اعترافها بالنظام الجديد فى العراق. وأن تعلن أيضا أن أى اعتداء يقع على العراق فكأنه اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة نفسها تطبيقا لاتفاقية الأمن المشترك فى ظل ميثاق الجامعة العربية.

ونظرا لتعاقب الأحداث فى المنطقة فقد أنهى جمال زيارته ليوغوسلافيا واستقل اليخت مع مرافقيه واتجه به نحو الاسكندرية رغم تحذير تيتو له من

وجود الأسطول السادس الأمريكى فى البحر الأبيض المتوسط وخطورة ذلك عليه ، واقترح عليه استخدام الطائرة ، ولكن جمال فضل استخدام اليخت عنها لأن خطورة إسقاطها وإخفاء أسبابه أكثر يسرا من محاولة إغراق اليخت أو تدميره .

وكان جمال قد علم بعد أن تحرك باليخت خبر إنزال القوات الامريكية على شواطىء لبنان ، كما علم أيضا عن طريق الإذاعات الأجنبية أن الملك حسين قد طلب هو الآخر من انجلترا مساندته عسكريا .

وازداد الموقف اشتعالا فى المنطقة ، واعتقد جمال أن أمريكا ستعمل على إسقاط النظام الجديد الوليد فى العراق وذلك بدفع تركيا إلى مهاجمتها عسكريا وبمساندة منها أيضا . وتصور أن هذه الخطوة منها ربما تمتد كذلك إلى سوريا - الإقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة - بغرض إسقاط الأنظمة التقدمية القائمة فى المنطقة ولإحلال أنظمة أخرى بديلة عنها تضمن ولاءها لها .

وقد رأى جمال لذلك أن يذهب إلى موسكو ليتشاور مع القادة الروس فى الموقف الملتهب ، وليحاول إقناعهم بالعمل على مساندة النظام الجديد فى العراق والتصدى لهذا التحرك الأمريكى البريطانى فى المنطقة ، ولذلك فقد عاد سرا إلى أقرب ميناء يوغوسلافى مستخدما فى ذلك إحدى المدمرتين المصريتين المرافقتين لليخت . واستمر يخت الحرية فى طريقه إلى الاسكندرية وكأن جمال لا يزال على ظهره .

وبعد أن التقى جمال بتيتو وتشاور معه فى الأمر ، أرسل برقية إلى خرشوف أعرب له فيها عن رغبته فى زيارة موسكو . وقد رحب خرشوف بتلك الزيارة وأرسل إليه طائرة سوفيتية لتقله إلى هناك .

التشاور مع خرشوف :

وتشاور جمال مع القادة الروس حول ما يجرى من أحداث بعد وقوع الانقلاب العراقى ، وما تهدف إليه كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بعد إنزال قواتها فى لبنان والأردن ، وخطورة هذا التحرك منها على الأنظمة التقدمية القائمة فى المنطقة ، والخوف من أن يعملا على إسقاطها وطلب جمال من القادة

السوفييت اتخاذ موقف إيجابى ضد هذا الذى يجرى منها ، أو العمل على تجميد تحركها بأية وسيلة ممكنة تراها موسكو ، ولكن القادة السوفييت صرحوا له بأنه لا يمكنهم اتخاذ موقف المواجهة منها أو التصدى لها وإلا فمعنى ذلك الحرب والتى يعملون على تفاديها وتجنبها . ولم يكن على ما يظهر أمامهم من طريق يسلكوه غير ما أعلنوه فى ١٨ يوليو من أن روسيا لن تقف موقفا سلبيا ازاء ما يجرى من اعتداءات على مناطق قريبة من حدودهم ، وما أعلنوه أيضا من أن قواتهم المسلحة ستقوم قريبا بإجراء مناورة عسكرية فى منطقة قريبة من حدودها المشتركة مع تركيا . كما قام مندوبهم فى الأمم المتحدة بطلب سرعة سحب تلك القوات الأمريكية والإنجليزية من لبنان والأردن . واعترفت موسكو كذلك بالنظام الجديد فى العراق . كما تقدم خرشوف باقتراح عقد مؤتمر قمة من رؤساء دول كل من أمريكا وانجلترا وروسيا وفرنسا والهند لمناقشة الوسائل الممكنة لتهدئة الموقف فى الشرق الأوسط .

وتلك كانت هى الحدود التى أمكن للاتحاد السوفيتى أن يتحرك فى إطارها . أما جمال فلقد قام بمغادرة موسكو سرا على متن طائرة روسية واتجه بها إلى دمشق عبر الأجواء الإيرانية بعد أن تبادل الرأى مع القادة السوفييت حول المدى الذى يمكنهم التحرك فيه لمواجهة الموقف المتأزم .

جمال يرتاح لعارف :

وعندما وصل جمال إلى دمشق يوم ١٨ يوليو تصادف وجود عبد السلام عارف بها . وكان قد حضر من بغداد لإجراء محادثات مع السراج والمسئولين الآخرين بسوريا . وكان هذا هو أول لقاء بينه وبين جمال الذى ارتاح إليه على حد تعبيره . ووقع اتفاق مشترك للتعاون بين البلدين ـ العراق والجمهورية العربية المتحدة . كما قامت الجمهورية العربية المتحدة أيضا بإرسال بعض الأسلحة الصغيرة وكميات من الذخيرة ومعدات أخرى إلى العراق لا حتياجهم إليها .

وكما جاء جمال سرا إلى دمشق فقد غادرها أيضا بنفس الطريقة عائدا إلى القاهرة وعلى متن نفس الطائرة الروسية . ولم تتمكن الطائرة الروسية من النزول

فى مطار القـاهرة الدولى لقصر ممر النزول به ، لذا فقـد قام الطيار بالنزول فى مطار أبو صوير الحربى .

ولقد أرادت الولايات المتحـدة أن تعمل على تخفيف حـدة التوتر فى المنطقـة بعد أن أقتنعت أن ما حدث فى العـراق لم يكن للجمهـورية العـربية المتحـدة يد فيه ، وليس من ورائه أيضـا أية قوى خـارجية . لذا أقنعـت كميل شمعـون بأن يدعو البرلمان اللبنانى إلى الانعقاد لينتخب رئيسا جديدا بدلا منه . واقترحت أن يخلفـه فى الرئاسـة اللواء شـهاب قائد الجيش اللبنانى والذى كان قد رفض أن يزج بالجيش فى الأزمة الطائفية . وقام سفير الولايات المتحدة فى القـاهرة ريموند هير بإبلاغ جمال عن هذا الاقتراح بأمر من حكومته وبغرض أن تتفـق عليه كل أطـراف النزاع . وكان جمال يرى أن اللواء شـهاب هو أصـلح من يتولى هذا المنصـب فى لبنان لموقفـه الحيادى أثناء تلك الأزمة وعدم زجـه بالجيش فى ذلك الصراع الطائفى الذى كان دائرا . وكان جمال قد سبق وأرسـل خـطابا إلى الرئيس أيزنهاور عبر له فيه عن هذا الرأى أيضا .

وبعد أن اتخذت أمريكا هذا الموقف الذى سـاعد على تخفيف حـدة التوتر فى المنطقة ، أصـدر جمال أوامره إلى السراج بالكف عن مسـاعدة صـائب سـلام ومجموعته أيضا حـتى يشـجع بذلك كل من الولايات المتحـدة وانجلترا فى العمل على سحب قواتها من لبنان والأردن .

ومما ساعد على تخفيف حدة التوتر كذلك إعلان النظام الجديد فى العراق عن استمرار التزامه بكل الارتباطـات الدولية القـائمة بين العـراق ودول العـالم الأخرى ، ومن أنه يضمن أيضا استمرار تدفق البترول إلى الدول المسـتهلكة له واحترامه لكل التعاقدات القائمة والمرتبطة به .

عودة الهدوء :

ولم يكن قد مضى شـهرين من بداية اشـتعال الموقف حـتى عاد إلى الهـدوء ثانية . وقد تم انتخاب اللواء شـهاب رئيسـا لجمهـورية لبنان فى نهـاية يوليو ١٩٥٨ . وأعلن فور انتخابه بعـدة أيام قليلة أنه سـيطلب من الولايات المتحـدة

سحب قواتها العسكرية من الأراضى اللبنانية . وأعلنت أمريكا أنها ستقوم بسحب قواتها يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٨ . كما قامت القوات البريطانية أيضا بالانسحاب من الأردن فى نهاية نفس العام . وبعد أن انكسرت حدة تلك الأزمة عملت الولايات المتحدة بناء على نصيحة سفيرها فى القاهرة على عودة العلاقات الاقتصادية بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة وعلى مدنا ببعض احتياجاتنا من القمح والزيوت والشحومات فى ظل القانون ٤٨٠ الأمريكى الخاص بفائض الحاصلات الزراعية والذى يسمح بدفع ثمن هذه المشتروات منها بالعملة المحلية مع تقسيط ثمنها على أربعين عاما وبفائدة مقدارها ٣/٤ ٪ سنويا .

كما أعلن الاتحاد السوفيتى فى أكتوبر من نفس العام موافقته أيضا على إقراض مصر مائة مليون من الدولارات أى ما يقرب من ثلاثة وثلاثين مليونا من الجنيهات الاسترلينية مساهمة منه فى بناء المرحلة الأولى من السد العالى . كما أعلن عن استعداده كذلك فى إرسال فنيين سوفيتيين للمشاركة فى بناء السد مع الفنيين المصريين .

الشيوعيون أعداء القومية العربية :

وفى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ فى احتفالات النصر ببورسعيد هاجم جمال فى خطابه الذى ألقاه هناك الشيوعيون السوريون ووصفهم بأنهم انتهازيون وانفصاليون ، وأعداء للقومية العربية . وأمر باعتقال ما يقرب من الثلثمائة شيوعى فى مصر وسوريا بعد ذلك الخطاب بأسبوعين تقريبا . وكان السراج قد قام قبل ذلك بحوالى شهرين أيضا باعتقال بعض الشيوعيين السوريين . أما خالد بكداش الشيوعى السورى المعرف فكان قد تسلل من قبل وهرب من سوريا إلى الاتحاد السوفيتى . وكان اللواء البزرى رئيس أركان الجيش السورى والشيوعى أيضا قد سبق وقبلت استقالته من الجيش عندما تقدم بها بعد قيام الوحدة بعدة شهور قلائل . وكان ذلك على أثر ما أصدره من قرارات خاصة بنقل بعض قيادات الجيش السورى والتى كانت تمكن الضباط الشيوعيين فيه من السيطرة على بعض الوحدات التى لها أهمية خاصة . وكان المسئولون المصريون فى قيادة القوات المسلحة السورية قد عملوا على إيقاف تلك التنقلات وعدم تنفيذها .

وغضب اللواء البزرى من هذا التصرف وسافر إلى القاهرة وقدم استقالته وقبلها منه جمال .

وكان جمال قد أعلن فى نفس خطابه فى بورسعيد عن قيام لجنة ثلاثية مشكلة من أكرم الحورانى وزكريا محى الدين ومنى وأطلق عليها اسم اللجنة الوزارية العليا . وذكر أن الغرض من قيامها هو العمل على دفع عجلة الإنتاج فى سوريا وسرعة تنفيذ المشروعات بها ، وعينت رئيسا لتلك اللجنة . ولم يحدد لها أية اختصاصات واضحة أو أية مسئوليات ، ولم تتضح سلطاتها كذلك . وكان لا بد لها من الرجوع إلى القاهرة فى أغلب القرارات التى ترى ضرورة صدورها . ورغم ذلك قامت بدراسة العديد من المشروعات ، وتعاونت مع الوزراء السوريين والأجهزة التنفيذية التابعة لهم مما ساعد على تنفيذ الكثير من الأعمال .

السلطان عبد الحميد :

وقد وضح لنا من بداية عملنا هناك قوة عبد الحميد السراج وقبضته البوليسية على الشعب السورى حتى أطلق عليه أفراد الشعب اسم السلطان عبد الحميد إشارة منهم إلى عبد الحميد سلطان تركيا المستبد فى عهد الدولة العثمانية .

وكان قد أعيد تشكيل الحكومة المركزية لدولة الوحدة فى اكتوبر ١٩٥٨ ، ونقل فى هذا التشكيل كل من أكرم الحورانى وصلاح البيطار إلى القاهرة . وترك السراج فى سوريا منفردا بالسيطرة عليها . وكان موضع ثقة جمال ومساندته . وتولى رئاسة المجلس التنفيذى فى سوريا عند إعادة هذا التشكيل المهندس نور الدين كحالة . ولم يكن بعثيا ولكنه كان مديرا لمرفأ (ميناء) اللاذقية قبل أن يتولى هذا المنصب . وهو مهندس كفء ونزيه ولكنه لم يسبق له ممارسة الشئون السياسية ، ولم ينتم إلى أى حزب من الأحزاب السياسية هناك .

ومنذ بداية تواجدنا هناك فى يناير ١٩٥٩ لمسنا عدم ارتياح الكثيرين من أفراد الشعب السورى لقانون الإصلاح الزراعى الذى صدر فى سبتمبر ١٩٥٨ ليطبق فى الإقليم الشمالى (سوريا) . وكان ذلك القانون كثير الشبه بقانون الإصلاح الزراعى المطبق فى الإقليم الجنوبى (مصر) والذى صدر فى سبتمبر

١٩٥٢ عقب قيام الثورة ، رغم اختلاف الأوضاع والظروف الزراعية فى كل من الإقليمين . ولكن جمال كان قد صمم على ضرورة أن لا يكون هناك تفرقة بين إقليمى دولة الوحدة ، وأن تكون المبادىء الرئيسية فى كل من القانونين واحدة على قدر المستطاع .

وكانت اللجنة الوزارية قد علمت فى ٢٤ يناير ١٩٥٩ من عبد الحميد السراج أنه قام باعتقال بعض المزارعين السوريين لا لشىء إلا لأنهم رغبوا فى مقابلة أعضاء اللجنة . وكان غرضهم من هذه المقابلة هو شرح وجهة نظرهم بالنسبة لهذا القانون . وعندما قام السراج بمنعهم عن هذا اللقاء أرسلوا برقيات إلى جمال فمنعها أيضا واعتقلهم على أثر ذلك .

وكان من بين هؤلاء المزارعين الذين قام باعتقالهم بعض أفراد من عائلة صبحى العظمة والبرازى وغيرهم . ولم تكن اللجنة تملك من السلطة شيئا حتى يمكنها التصرف إلا إبلاغ جمال بما حدث ورأينا فيه .

وفى هذا التاريخ أيضا أبلغنا أكرم الحورانى احتجاج البعثيين السوريين على فصل سبعين موظفا من موظفى وزارة الحربية بسوريا وكانوا قد فصلوا من وظائفهم بحجة أنهم ينتمون إلى أنظمة سياسية والتى حذر منها القانون .

وقد تحدث أكرم أيضا عن التصريح الذى كان زكريا قد أدلى به إلى مجلة روزاليوسف والذى جاء به أنه ستشكل لجنة حيادية للإشراف على تنظيم الاتحاد القومى فى سوريا ، وقد تساءل أكرم عن المعنى المقصود من هذا التصريح - وهل هو إبعاد للبعثيين . وتكلم كذلك عن وجود فراغ سياسى فى سوريا بعد حل الأحزاب هناك وعن ضرورة ملأ هذا الفراغ . وذكر أن أصلح من يشغله هم البعثيون لإيمانهم بالوحدة ودورهم فى قيامها - وهذا صحيح - ولكن جمال كانت تنتابه الشكوك فى نواياهم .

وقد أثار مصطفى حمدون وزير الإصلاح الزراعى بالإقليم الشمالى فى حديثه معنا أيضا الحملة التى تشن عليه بحجة أنه قام بتعيين بعض البعثيين فى وزارته ، ونفى ذلك وأحضر كشوفات بأسماء موظفى وزارته ليؤكد لنا ما يقوله . وأشار إلى أن الاقطاعيين والشيوعيين هم الذين يحاولون إثارة مثل هذه المسائل بغرض

الإيقاع بين جمال عبد الناصر وبين البعثيين السوريين . وتكلم أيضا عن مقال جاء فى مجلة روزاليوسف . وذكر أن الجيش السورى قد وصف فى هذا المقال وكأنه جيش من المرتزقة . وكان متأثرا مما جاء فيه . وأشار فى حديثه إلى مواقف الجيش السورى الوطنية وحمايته لاستقلال البلاد . وأن الانقلابات العسكرية التى قام بها ضباط الجيش لم يكن يعلم بها أكرم الحورانى كما يشاع . وأثار فى حديثه أيضا تخوفه من تشكيل الاتحاد القومى فى سوريا فى هذه الظروف مع وجود تكتل من عناصر مضادة له . وأوضح أن الاتحاد القومى سيكون هو آخر سهم فى المحافظة على هذه الوحدة ولا بد من العمل على إنجاحه .

ولقد أوضحنا له أن ما فهمناه من ذلك الذى جاء بمجلة روزاليوسف يختلف عن هذا التصور الذى ذكره لنا . وأن كاتب المقال لم يقصد المعنى الذى فهمه حمدون عن الجيش السورى ، وإنما قصد به أن يقول أن السياسيين ورجال الأحزاب فى سوريا قبل الوحدة كانوا يتسابقون فى التعرف على ضباط الجيش لعلمهم أن الجيش هو القوة الحقيقة فى البلاد فى تلك الفترة .

الخوف وعدم الأمان :

والتق بنا أيضا فى دمشق بعض من الصحفيين المصريين هناك ، وعلمنا منهم أن الناس فى سوريا تشعر بالخوف وعدم الأمان . وليس هناك من يمكنهم الرجوع إليه ، حتى أن رئيس الغرفة الزراعية بحلب كان قد صرح فى الصحف على أن الرئيس جمال قد ذكر فى حديث له معه أنه أى جمال يهمه أن يتعرف على المشاكل فى سوريا ، ويطالب السوريين بموافاته بها ، وأن يرسلوا إليه ما يرون من اقتراحات . ويقول الصحفيون ولكن رئيس الغرفة الزراعية أرغم على تكذيب هذا التصريح الذى أدلى به . وأن الذى قام بإرغامه على ذلك أناس سوريون مسئولون . وذكروا لنا كذلك أن الأهالى بحلب بعد أن تفهموا الهدف من قيام الاتحاد القومى وفلسفته ، رغبوا فى التقدم إلى اللجنة الوزارية بطلب تشكيل تنظيماته فى مدينتهم ، ولكنهم عادوا وتراجعوا ثانية مبررين هذا التراجع منهم بالخوف من التوقيف أو الاعتقال .

وكان قد طلب مصطفى حمدون وطعمة والسراج الاجتماع بى مع زكريا وذلك لإيضاح موقف الجيش السورى قبل قيام الوحدة ، والأوضاع السياسية التى كانت قائمة فى البلاد وقتذاك .

اجتماع هام مع الضباط :

وتم اجتماعنا بهم يومى الخميس والسبت ٢٩ ، ٣١ يناير ١٩٥٩ ، وبعد أن انتهوا من سرد تاريخ الأحزاب السياسية فى سوريا ، دارت بيننا مناقشة طويلة حول هل من الأفضل أن يؤجل تكوين الاتحاد القومى فى سوريا إلى أن تبنى القاعدة الشعبية هناك وإلى أن تتوفر أيضا الثقة فى النظام وفى أسلوب الحكم أم أنه من الأفضل أن يشكل فورا رغم وجود المتناقضات والعناصر المتنافرة التى سيكون الاتحاد مليئا بها والتى ستتمثل فى الحقيقة الأحزاب التى كانت قائمة فى سوريا قبل قيام الوحدة . وخرجنا من ذلك الحوار أنه لنجاح أى تنظيم سياسى فلا بد أن يجمع بين أعضاء التنظيم الواحد وحدة فى الهدف والفكر . وأن هذا لن يتواجد فى تنظيم الاتحاد القومى لو أسرع فى إقامته مع وجود تلك العناصر المتنافرة وهذه المتناقضات . كما قاموا أيضا بشرح موقف الجيش السورى من الشيشكلى على أثر ما اتخذه من إجراءات نقل شاملة فى شعب الجيش المختلفة ، ونقل السراج كذلك من المكتب الثانى (المخابرات) إلى وحدة أخرى . وما قام به مصطفى حمدون من إعلان العصيان بقواته فى قطنة ، واستعداد طعمة للتحرك بمدرعات وحدته فى درعا . وما تلى ذلك من أحداث مما اضطر الشيشكلى إلى مغادرة البلاد . واجتماع مجلس الوزراء مع عقداء الجيش بغرض تصفية الموقف . وما نتج عن هذا الاجتماع من تكوين مجلس القيادة فى الجيش من ٢٤ ضابطا مع تعيين اللواء عفيف البزرى رئيسا لأركان حرب الجيش . بذلك بدأت مرحلة استقرار فى الجيش عما قيل .

وتحدثوا بعد ذلك عن القرار الذى اتخذه مجلس القيادة بقيام الوحدة مع مصر . وأن ذلك قد جاء على أثر اكتشافهم مؤامرة ستون على سوريا . وذكروا أن الوحدة كانت هدفا من أهداف المجلس ولكن كثرة المؤامرات الخارجية التى هددت أمن سوريا واستقلالها هى التى عجلت بطلب قيام الوحدة .

كما ذكروا كذلك قصة سفر الوفد الذى أرسله مجلسهم إلى مصر لمقابلة جمال وطلب الوحدة . ومقابلة السراج والنافورى وعبد الكريم لشكرى القوتلى فى صباح اليوم التالى لسفر الوفد والتقدم إليه بمذكرة وضيقه من ذلك ودعوته لمجلس الوزراء للاجتماع بهم ، وموقف خالد العظم رئيس الوزراء واعتراضه على عدم تشاورهم مع الحكومة قبل التصرف ، وقرار سفر صلاح البيطار إلى القاهرة لتغطية الشكل ، والانقسام الذى حدث بين المجموعة التى سافرت الى القاهرة وسفر السراج إليهم ، وتمسكهم بقرار المجلس وهو الوحدة مع مصر . ثم عودتهم إلى دمشق ومحاولة اختيار مائة وخمسون عضوا ليمثلوا سوريا فى مجلس الأمة الذى سيقام من الإقليمين بعد قيام الوحدة ، وترشيح عفيف البزرى أربعين شيوعيا لهذه العضوية . والنزال الذى حدث فى الصحافة السورية بين الشيوعيين والبعثيين . وطلبهم الكف عن هذا النزال وعلى أن ينادوا بالوحدة ورفض البزرى لهذه الرغبة . وقيام مجلس القيادة بالتصويت على من سيصبح منهم سياسيا والابتعاد عن الجيش ومن منهم سيظل يعمل كضابط فيه . ورشح السراج ليصبح سياسيا ووافق المجلس عليه بالاجماع وعلى أن يصبح وزيرا للداخلية فى الإقليم السورى . كما وافق المجلس أيضا على اشتغال مصطفى حمدون بالسياسة وذلك بغرض أن يتخلص المجلس منه وليبعده عن الجيش . أما طعمه وقنوت فقد سقطا فى هذا التصويت .

كما ذكروا أنه قد استبعد بعد قيام الوحدة بعض الضباط من الجيش السورى . وأن عفيف البزرى تنصل من مسئولية ما جرى وألقاها على بعض المصريين المعينين فى قيادة الجيش السورى . كما اشتكى لنا السراج من أن عبد الحكيم لم يأخذ رأيه فى عملية تطهير الضباط هذه التى حدثت ، وأن طعمة كان معترضا على مبدأ التطهير نفسه فى الجيس السورى وقابل السراج لهذا الغرض ثم التق مع عبد الحكيم للغرض نفسه .

تذمر فى الجيش السورى :

وقد أشاروا فى حديثهم أيضا عن وجود روح من التذمر فى الجيش الأول (السورى) بسبب عملية التطهير هذه ، ذلك بالإضافة إلى تولى بعض المصريين

القيادة فيه ، وانفرادهم ببعض الامتيازات الخاصة دون زملائهم السوريين كالزيادة فى المرتبات وتخصيص سيارات خاصة بهم إلى آخر هذه الامتيازات . ولكن قيل لنا أن نسبة هذا التذمر قد قلت عما قبل .

وقد اقترح مصطفى حمدون نقل قوات مصرية با لكامل إلى سوريا وقدرها بلواء مدرع ولواءين من المشاة ، وبرر هذا الاقتراح منه بقوله « حتى لا يفكر أحد فى القيام بعمل مضاد للوحدة مع وجود هذه القوة فى سوريا لأنه حينئذ سيفكر فى النتائج » .

ولكن طعمة اعترض على اقتراحه هذا بحجة أن الظروف لإتمام هذه العملية غير مواتية ولا تساعد على تنفيذها . وأن ذلك كان ممكنا بعد قيام الوحدة مباشرة . واتفق الرأى فيما بيننا على أن هذا يمكن تنفيذه لو قامت إسرائيل بأية تحركات أو تحرشات فى مواجهة القوات السورية ، ذلك لأن تبرير نقل قوات مصرية إلى سوريا فى هذه الحالة يصبح مقنعا مع وجود تلك الظروف .

وقد تناولت أحاديثهم كذلك محاولة عفيف البزرى بعد قيام الوحدة فى تعيين ضباط من الموالين له فى قيادة الوحدات المدرعة والتسويف فى تعيين قنوت وشخص آخر فى هذه القيادات ، وقيامه أيضا بإصدار قرارات نقل أخرى فى بعض وحدات الجيش ، وأنه لما عمل على إيقاف تنفيذها سافر البزرى إلى القاهرة وتقدم باستقالته وتم قبولها .

وقد أثار طعمة فى نهاية الاجتماع الأخير معنا ذلك المقال الذى نشر فى الأهرام بقلم محمد حسنين هيكل والذى جاء تحت عنوان « يا سيادة الزعيم الأوحد » . وقد قصد هيكل بهذا عبد الكريم قاسم . وتساءل طعمة « لماذا لا يكتب التاريخ على حقيقته ـ وما الذى دعاه إلى كتابة أسماء بعيدة عن الواقع الذى حدث » . وفسر هذا التساؤل منه بأن ما ذكره هيكل فى مقالة عن اتصال السراج والنافورى بعبد الكريم قاسم أثناء قيادته لقوة عراقية كانت معسكرة فى منطقة المفرق فى شرق الأردن ، وقبل قيام الثورة العراقية ليس صحيحا . وأن من سعى إلى هذا اللقاء كان هو نفسه ومعه البزرى وليس السراج والنافورى ، وأنهما قد التقيا مع قاسم . وأنه يخشى أن يذكر قاسم الحقيقة ردا على ما جاء

بمقال هيكل ويعلن عن أن اللقاء قد تم مع البزرى وليس معهما ، وإنه لو ذكر ذلك فسترتفع أسهم البزرى وسيستفيد منها شعبيا ، وذلك ليس فى الصالح . وشعرت أن ما ضايق طعمة من هذا المقال هو عدم ذكر اسمه فى هذه الاتصالات التى جرت مع قاسم قبل قيام الثورة العراقية .

موسكو تحاول عمل انقلاب :

وخلصنا من هذا العرض منهم ، أن الجيش السورى له وضعه وظروفه الخاصة ، وهو القوة التى يعتمد عليها النظام فى حماية الوحدة فى سوريا من أية محاولة لفصمها . وأنه لهذا السبب يجب النظر إليه بالعناية والدقة الكافيتين . وقيام مصريين بتولى قيادات فيه ليس بالأمر السهل أو الهين خاصة فى المراحل الأولى للوحدة . ذلك لعدم معرفتهم بطبائع وعادات زملائهم الضباط السوريين ، ولا كيفية التعامل معهم . ولا بد أن يتولى أمر الجيش الأول السورى ضباط سوريون يحسن انتقاءهم واختيارهم ولو لفترة إلى أن تدعم الوحدة . وكنت لا أزال فى دمشق حتى يوم ٢ فبراير ١٩٥٩ عندما علمت من عبد المحسن أبو النور وهو أحد الضباط المصريين فى قيادة الجيش السورى ، أن الملحق البحرى السورى بالاتحاد السوفيتى قد أرسل إليه رسالة خاصة مع شخص أوفده خصيصا من موسكو . وقد جاء بتلك الرسالة أن أحد الضباط الروسيين من المخابرات الحربية قد عمل على الاتصال با لملحق السورى لاعتقاده بأن له ميولا ماركسية ، وكان قد سبق وتعرف به واطمأن إليه ، وقد قام هذا الضابط الروسى بمهاجمة الجمهورية العربية المتحدة فى حديث له مع الملحق البحرى السورى وأشار إلى الإجراءات التى اتخذت ضد الشيوعيين السوريين . وكذا إلى موقف الجمهورية العربية المتحدة من سياسة عبد الكريم قاسم فى العراق ومناهضتها له . كما أنه سأل الملحق البحرى عما إذا كان يعرف بعض الضباط السوريين حتى يمكن القيام بعمل مضاد للوحدة فى سوريا . وذكر له أيضا أن الاتحاد السوفيتى لن يسكت على هذه التصرفات من الجمهورية العربية المتحدة . وأراد الملحق البحرى أن يزيد من طمأنينته وأن يشجعه على المزيد من الكلام فذكر له أنه على صلة وثيقة بقائد الشعبة الثانية فى الجيش السورى . كما وأن الضابط الروسى قد أشار أيضا فى حديثه معه إلى أن سيارة الملحق الخاصة به قد

أصبحت مستهلكة وأنه سيعمل على تغييرها له بسيارة أخرى جديدة وقام عبد المحسن أبو النور بالسفر فى نفس اليوم إلى القاهرة للإبلاغ عن تلك المعلومات .

وفى نفس اليوم أيضا تقابلت مع محمود رياض قبل سفره إلى القاهرة كذلك . وهو كان يشغل منصب سفير مصر فى سوريا قبل قيام الوحدة وظل بها كمستشار بعد قيامها للاستفادة من اتصالاته الشخصية هناك ولإلمامه الكبير بالكثير عن أمور السوريين . وذكر لى أن هناك شائعة تقول أن السراج قد أمر باعتقال ملاك الأرض الذين سيطبق عليهم قانون الإصلاح الزراعى . وأن البعثيين يقفون من السراج موقف الحذر والمتخوف من زيادة سلطانه فى البلاد . وأشار فى حديثه إلى أن اللجنة الثلاثية يجب أن تكون هى القوة فى سوريا - ومتسائلا كيف يتصرف السراج باعتقال الملاك . وذكر أنه أى السراج - يعمل لنفسه . ولم أشأ أن أصرح له بأن اللجنة الثلاثية ليست لها أية سلطات ولا محدد لها مسئوليات .

تعيين عبد الحكيم :

وقد استمر وضع اللجنة على هذه الصورة حتى يونيو من عام ١٩٥٩ . وكان عملى موزعا بين القاهرة ودمشق حيث أنى كنت وزيرا مركزيا للتخطيط منذ إعادة التشكيل الذى تم فى أكتوبر ١٩٥٨ ، بالإضافة إلى عضويتى باللجنة وكنت قد عدت إلى القاهرة فى يونيو لمباشرة مسئولياتى بعد قضاء فترة فى سوريا .

وتعمدت البقاء فى القاهرة دون العودة ثانية إلى دمشق حتى لاحظ جمال ذلك وسألنى عن السبب فى عدم سفرى إليها ، وصرحت له أن وجود اللجنة هناك دون أن تحدد سلطاتها ومسئولياتها رغم وجود نائبين للرئيس بها يضعف من هيبتها ويقلل من قدرتها على إنجاز ما هو مطلوب منها . وأن الرجوع إلى القاهرة فى أغلب القرارات التى تتخذها ليس عمليا بل ومعطلا للعمل أيضا ، ولكنه لم يشأ أن يفسر لى الأسباب التى دفعته لاتخاذ هذا الموقف من اللجنة ، ولم يحاول أن يعدل عنه - كذلك ، واستمر الوضع قائما ورأيت أن أستمر على موقفى وبقيت فى

القاهرة حتى أكتوبر من نفس العام حين أصدر جمال قرارا جمهوريا بتعيين عبد الحكيم حاكما لسوريا وقد فوضه سلطات رئيس الجمهورية. كما فوضه أيضا فى الإشراف على انتخاب لجان الاتحاد القومى هناك. وكان السراج له دور سابق فى اختيار تلك اللجان من قبل. وانتهى عمل اللجنة الوزارية العليا بعد قرار جمال بتعيين عبد الحكيم حاكما هناك.

وكان قد تقدم فى الأسبوع الأخير من شهر ديسمبر ١٩٥٩ بعض الوزراء السوريين من البعثيين باستقالتهم. وقد علمنا بها يوم ٢٣ ديسمبر أثناء عودتنا فى القطار من بورسعيد بعد الاحتفال هناك بأعياد النصر. وذكر لنا جمال أن عبد الحكيم قد أرسل إليه من سوريا أثناء وجودنا فى بورسعيد. وقد أخبره فيها أن مصطفى حمدون وزير الإصلاح الزراعى بالإقليم الشمالى، وعبد الغنى قنوت وزير الشئون الاجتماعية قد قدما استقالتيهما إليه فى صباح نفس اليوم، وأن حجة حمدون فى الاستقالة هو القرار الذى أصدره عبد الحكيم بتشكيل لجنة خاصة تقوم بتنفيذ قانون الإصلاح الزراعى فى سوريا وإعطائها سلطة الوزير أى سلطة حمدون، وقد أخذ عبد الحكيم هذه الخطوة بعد أن كثرت الشكوى من عدم تنفيذ حرفية القانون، وأما قنوت فقد استقال تضامنا منه مع حمدون كبعثى. وذكر جمال أن عبد الحكيم قد طلب منه ضرورة قبول استقالتيهما وإلا فإن هيبة الحكم هناك فى سوريا ستهتز. وصرح لنا جمال من أنه سيقبلها. وقد دار هذا الحديث أثناء العودة من بورسعيد وبتواجد باقى الزملاء، وعندما طلبت منه أن يبذل محاولة للحيلولة دون هذه الاستقالات أفاد أن لديه معلومات أخرى تدل على تآمريهما (حمدون وقنوت) واتصالها بضباط من الجيش السورى. وأنه قد تم مواجهتهما بهذه المعلومات ولكنهما نفيا ذلك ذاكرين أن الضباط أنفسهم هم الذين سعوا إلى لقائهما. وكان جمال قد سبق وأبلغنى قبل هذا الحادث بفترة أن لديه معلومات تفيد بأن البعثيين المشتركين فى الوزارة - وقصد بذلك أكرم الحورانى وصلاح البيطار - يدبران أمرا للضغط علوة ليرضخ لمطالبهما الخاصة بضرورة مشاركتهما فى الحكم - على حد قولهما، وأن البعثيين سيعمدون لذلك إلى تقديم استقالة جماعية من الوزارة - وقد حدد جمال أسماءهم وهم أكرم والبيطار وحمدون وقنوت والكلاس أيضا وزير الاقتصاد، وذكر جمال كذلك أنهم يجدون فى البحث عن

بعض من الوزراء المصريين بغرض التأثير عليهم للاشتراك معهم فى تلك الاستقالة الجماعية . وأنهم سيعملون على الاتصال بكمال رفعت وتوفيق عبد الفتاح وعباس رضوان لتحقيق هذا الغرض .

استقالات جماعية :

ولم يكن قد مضى يوم واحد على تقديم حمدون وقنوت استقالتيهما حتى تقدم كل من أكرم الحورنى وصلاح البيطار باستقالتيهما أيضا . وقد علمت بهذا الأمر من جمال عندما إتصل بى تليفونيا يوم الجمعة ٢٥ ديسمبر وأبلغنى بها وسائلا عن رأيى . وأجبته أن الأمر يحتاج إلى تفكير رغم أن تصرفهم يدل على نيتهم ، وأشرت إلى أنه من عادته التمهل فى مثل هذه الأمور ، وأن ذلك يعطيه فرصة التفكير فى الأمر . ولكنه ذكر أن عبد الحكيم قد اتصل به تيلفونيا من دمشق فى اليوم السابق وأبلغه أن كل سوريا تعلم بأمر هذه الاستقالات ، وأن أى تأخير فى قبولها سيساعد على زيادة بلبلة الأفكار هناك مما يؤثر فى قوة الحكم وهيبته ، وأبدى جمال استعداده فى قبول تلك الاستقالات . وأنه سيعمل على مقابلة كل منهم على حدة قبل إعلان قبولها وذلك حتى لا يقال أنه قد تعنت معهم وليفوت عليهم أيضا فرصة عطف الشعب عليهم ـ على حد قوله . وليصبح وكأنه قد حاول إصلاح الأمر معهم ولكنه لم يستطع . واقترحت عليه العمل على الفصل بين العسكريين منهم والمدنيين وقبول استقالة أكرم والبيطار والاحتفاظ بحمدون وقنوت حتى تضعف هذه الخطوة تأثير هذه الاستقالة الجماعية مع إضعاف جبهة البعث عموما . ولكنه لم يوافقنى على هذا الرأى مستندا على أن البعثيين مكروهين فى سوريا ـ على حد تعبيره .

واجتمعت الحكومة المركزية فى مساء السبت ٢٦ ديسمبر ١٩٥٩ ولم يحضر اجتماعها كل من أكرم والبيطار . وعلمت من جمال أنه اجتمع مع حمدون ظهر نفس اليوم لمدة ساعتين ونصف الساعة . وأوضح له جمال أنه لم يكن ينوى قبول استقالته ولكن بعد تقديم قنوت وأكرم والبيطار استقالتهم فالموقف قد تغير . وسأله جمال عن الدوافع التى دفعتهم إلى تقديم هذه الاستقالات ، وأجابة حمدون بأنه لايعرف من هذا الأمر شيئا . وقد عبر لجمال عن إخلاصه للوحدة

العربية وللجمهورية وأنه سيدافع عنهـا طـالما هو على قيد الحياة ، ولكنه لا يمكنه الاستمرار فى العمل فى الوزارة بعد أن أصبحت كرامته فى الميزان بعد قرار عبد الحكيم بتشكيل تلك اللجنة وإعطائها اختصاص الوزير .

وتقـابل جمال مع قنوت وصـلاح البيطار كل على حـدة فى يوم الأحـد ٢٧ ديسـمبر . وأما مقـابلته لأكرم فقـد تمت فى اليوم التالى الإثنين ٢٨ ديسـمبر ، ثم أعلن عن قبوله لاستقالتهم فى يوم الأربعاء ٣٠ ديسمبر ١٩٥٩ .

« اللى مش عاجبه يمشى » :

وفى مساء يوم السـبت ٢ يناير ١٩٦٠ ، فى اجتماع الحكومة المركزية ، بدأ جمال الجلسة بقوله « إننى أحـب أن أخـبركم عن اسـتقالة الإخـوان الذين قدموا استقالتهم » . ثم بعد فترة صـمت إستطرد وذكر أنه هو بحكم الدسـتور المسئول الأول أمام الشـعب وليس هناك أحـد غيره مسئولا ، وهو الذى يختار الوزراء ليتعاونوا معه فى حدود السلطة التى يمنحهـا هو لهـم . ومن لا يعجبه هذا الوضـع « فيمشى » ـ هكذا جـاءت على لسـانة . وكان يهـدف من هذا القـول الرد على الوزراء السـوريين الذين يرددون أنهـم غير مشـتركين فى ممارسـة الحكم . والرد أيضـا على أكرم والآخـرين الذين يذكرون أن مجلس قيادة الثورة لا يزال قائما . وأن أعضائه تتفـق فيما بينهـا على المسـائل المختلفـة قبل الاجتماعات . وأن هذه الاجتماعات مع الوزراء ما هى إلا اجتماعات صورية فقط بغرض تغطية الشكل . ولينفى جمال هذا القـول منهـم ذكر « إنكم كثيرا ما تلاحـظون أننى أختلف مع البغدادى فى وجهات النظر ، فكيف نكون متفقين قبل الاجتماع كما يقـولون » . ثم ذكر أن هناك علاقة صـداقة قديمة مضى عليهـا أكثر من خمسـة عشر عاما بين أعضـاء مجلس قيادة الثورة ولا يمكن إغفـال هذا . وإذا كان هناك من يلاحـظ اجتماعنا سويا فى بعض المناسبات فإن هذا أمرا طبيعيا مع وجود تلك الصداقة .

وأشار أيضا فى حديثه إلى ما كان أكرم قد سبق واشـتكى منه ، وهو أن ليس لديه عمل . وأنه أى جمال قد اقترح عليه أن يحدد العمل الذى يراه مناسبا وهو مستعد لإصدار القرارات المنفذة له . وأن هذا الحديث قد حـدث بينه وبين أكرم وبحضـورى ، وأنه طلب من أكرم أن يجتمع بى للنظر فى أى عمل يرغب فى أن يؤديه . وهذا قد حـدث فعـلا ولكن أكرم لم يحـاول الاتصـال بى لبحث الأمر .

ويستطرد جمال فى حديثه قائلا للوزراء أن هناك مشاكل فى سوريا ، وحاولنا التغلب عليها . وقد شكلت لجنة لهذا الغرض ولكن لم تكن لديها سلطات ، وتعب أعضاؤها نتيجة وضع العراقيل فى طريقها خاصة من البعثيين ، ومن أكرم بالذات لأنه كان عضوا بها - ولأنها لجنة وليست فردا فلم تتمكن من تأدية ما هو مطلوب منها كاملا . وأنه لذلك قام بتعيين عبد الحكيم فى سوريا للتغلب على هذه المشكلة . كما تحدث أيضا عن المخالفات التى حدثت فى تنفيذ قانون الإصلاح الزراعى فى سوريا والأسباب التى دفعت عبد الحكيم إلى إصدار قرار تشكيل اللجنة الخاصة بتنفيذ القانون . وما تبع ذلك من استقالة حمدون وتضامن قنوت معه ثم استقالة أكرم والبيطار ومقابلته لهم .

وبعد ذلك رفعت الجلسة للاستراحة . وجلست مجموعتنا مع بعضها كما جرت العادة من قبل . ودار الحديث بيننا حول ما أثاره جمال فى الاجتماع . ولما قلت إنه كان عنيفا عندما قال إنها مسئوليته بحكم الدستور واللى عاجبه - عاجبه - واللى مش عاجبه يمشى مع السلامة - ذكر أنه رغب بذلك أن يفهم الوزراء السوريين أن موضوع المشاركة فى الحكم الذى يتحدثون عنه غير وارد وبعيد المنال .

مناقشه ساخنة بين جمال ووزير سورى :

وعاود المجلس الاجتماع لمناقشة سياسة الإسكان . وعرض على المجلس فى هذا الشأن مذكرتين ، إحداهما من أحمد عبد الكريم الوزير المركزى للوزارة وهو سورى . والآخر من محمد أبو نصير الوزير التنفيذى عن الإقليم المصرى . وتكلم أبو نصير عن المشروع المتقدم به واعترض عبد الكريم على بعض ما ورد فيه . ودارت حوله مناقشة طويلة . وكان جمال مجهدا ويود أن ينهى الاجتماع عند منتصف الليل ، لذا اقترح عليهما أن يتفقا سويا على مشروع واحد وأن يتقدما به بعد أسبوع فى الجلسة القادمة . ولكن عبد الكريم أبدى أنه لم يطلع على مشروع الوزارة التنفيذية إلا قبل الجلسة مباشرة ، وأن المشروع لم يوزع على الوزراء إلا ظهر نفس اليوم . واعترض بحكم مسئوليته كوزير مركزى وعلى نفس الوزارة على هذا الوضع . وأوضح أن المشروع المقدم منه قد أخذ شهرا فى دراسته واعداده من اللجان المختلفة ، وأنه قد إنتهى منه منذ ثلاثة شهور وأخطر

به الوزارة التنفيذية ، وأن الفنيين المسئولين بتلك الوزارة ووكيلها قد اشتركوا معه فى تلك الدراسات وإعداد المشروع . ولكن أبو نصير نفى علمه بهذا الأمر . وعلى ما يظهر أن هذا الإنكار منه ضايق أحمد عبد الكريم لأنه ردد بعض الكلمات ولكن بصوت خافت غير مسموع . ولم يعجب جمال هذا التصرف منه معتقدا أن هذه البرطمة ـ كما جاءت على لسانه ـ ردا من عبد الكريم عليه ولذا وجه حديثه إليه قائلا « إحنا مش تلامذة فى الفصل هنا ، حلوا مشاكلكم مع بعض » . وتصرف جمال على هذا النحو لأنه لم يتبين سبب ضيق عبد الكريم .

فقال عبد الكريم أن سيادتكم كلفتم أبو نصير فى الجلسة الماضية بتقديم مشروع رغم أعداده المشروع من مدة طويلة وأعتقدت أن لكم رغبة فى أعداد مشروع أخر غير مشروعى .

ولكن جمال أوضح أنه لم يقصد هذا ، ولم يكن فى ذهنه شيئا مما ذكر . وصرح لى جمال بعد الانتهاء من الاجتماع عن تخوفه من أن يكون عبد الكريم قد اعتقد حقيقة أنه قصد أن يكلف أبو نصير بإعداد مشروع آخر متجاهلا مشروعه . وقد توقعت أن يقوم عبد الكريم بتقديم استقالته بعد ذلك الذى حدث فى الاجتماع لمعرفتى أنه من الأشخاص الذين يحافظون على كرامتهم .

وفى اليوم التالى ـ الأحد ٣ يناير ١٩٦٠ ـ وفى أثناء مرافقتى لجمال فى زيارة المعرض الصناعى الزراعى ، علمت من على صبرى أن أحمد عبد الكريم قد تقدم باستقالته . وقام بإرسالها إلى على مع سكرتيره الخاص ، وقد تسلمها منه أثناء زيارتنا للمعرض .

استقالات جديدة :

وانتهت زيارتنا للمعرض بعد الساعة العاشرة مساء . ولم يكن جمال قد علم بعد بأمر هذه الاستقالة . ولم أشأ أن أخبره بها إشفاقا منى عليه لحالة الإعياء الشديدة التى كان عليها بعد أن أمضينا ما يقرب من العشر ساعات ونحن نتجول فى أنحاء المعرض المختلفة وكنت قد قرأت فى الصحف فى اليوم التالى ٤ يناير خبر استقالة الكلاس وزير الاقتصاد فى سوريا ، ووددت أن أعرف أسبابها فاتصلت بجمال تيلفونيا ولأطلب منه أيضا أن يتيح لى فرصه العمل على تسوية موضوع

استقالة أحمد عبد الكريم ـ فعلمت منه أنه بعد عودته إلى المنزل بعد زيارة المعرض وجد برقية من عبد الحكيم يبلغه فيها أن الكلاس قد تقابل معه بعد الظهر ـ الأحد ٣ يناير ـ وقدم إليه استقالته . ويقول جمال إنه قبلها فورا عندما اطلع على البرقية وأبلغها إلى الصحف . وذكر أنه سبق وطلب من عبد الحكيم سؤال الكلاس عما إذا كان يرغب هو الآخر كبعثى فى الاستقالة كباقى زملائه من الوزراء البعثيين أم لا ، ولكنه وكان قد نفى لعبد الحكيم عن وجود أية نية عنده للإستقالة ، واعتقد جمال أن أكرم الحورانى هو الذى وراء تقديم الكلاس استقالته . وأنه هو الذى قام بالضغط عليه لتقديمها خاصة وأن أكرم قد غادر القاهرة إلى دمشق بالطائرة صباح نفس اليوم الذى تقدم فيه الكلاس باستقالته .

ولما تحدثت إلى جمال عن استقالة أحمد عبد الكريم ، وجدته لم يكن قد علم بها بعد ـ وتساءل عن سبب تقديمه لها .

فأجبته بأنه ربما يكون السبب هو ما حدث أثناء اجتماع الحكومة المركزية . فذكر أنه لو كان قد اطلع عليها بعد عودته من المعرض لقبلها هى الأخرى مع استقالة الكلاس . ولكننى أثنيت على خلق وعمل عبد الكريم وطلبت منه أن يتيح لى فرصة لقائه والتحدث إليه لأسوى معه تلك المسألة .

والتقيت مع أحمد عبد الكريم فى منزلى . وحاولت إقناعه بأنه قد تسرع فى الإقدام على هذه الخطوة لأن الأسباب التى بنى عليها استقالته غير صحيحة . وقد بناها على أساس أن جمال شبهها بالتلامذة فى الفصل ، وذكر أن مسئولية الوزير لا يمكن أن يتحملها تلميذ . وربط بين حديث جمال هذا وبين ما كان قد سبق وذكره فى بداية الاجتماع عن مسئوليته الدستورية كرئيس واللى مش عاجبه يمشى . كما أبدى عبد الكريم عدم قدرته على التعاون مع أبو نصير ، وبين الضرر الذى نتج عن هذا ، وكذلك لأنه لم يعامل كباقى الوزراء المركزين فى القيام بشرح برنامج الوزارة فى الخطه ومناقشتها فى اجتماع الحكومة المركزيه وشعوره أيضا أنه فقد شخصيته وكيانه وأصبح بذلك غير قادر على القيام بالرسالة التى آمن بها وعمل لها من قبل الوحدة . ولكنه أكد إيمانه بالوحدة ومن أنه سيعمل دائما من أجل تدعيمها .

ودارت بينه وبينى مناقشة طويلة حول هذا اللبس الذى حدث وحسن نية جمال وأنه لم يكن يقصد تكليف أبو نصير ومتجاهل مشروعه كما يعتقد . وأن جمال اعتقد خطأ أن ما ردده بصوت منخفض كان ردا منه عليه شخصيا . وأنه كان مجهدا . وأكدت له أن جمال لو علم بهذه الاستقالة التى لا تزال عند على صبرى لبادر إلى الاجتماع به ليوضح له الموقف على حقيقته ، ولكن عبد الكريم ظل مصرا على موقفه من الاستقالة ، وقدرت أنه لو تقابل مع جمال لأمكن تسوية الموضوع لأن عبد الكريم سيشعر فى هذه الحال أن طلب جمال له ومصارحته بالحقيقة فيه رد اعتبار كاف خاصة بعد أن اتضح خطأ نقاط كثيرة . وتلك كانت هى الحقيقة .

وأبلغت جمال بما دار بين عبد الكريم وبينى وما يشعر به وطلبت منه مقابلته ، ووافق على الالتقاء به فى اليوم التالى ٥ يناير ، وسوى الخلاف بعد أن تقابلا وسحب عبد الكريم استقالته .

القبضة الحديدية :

وكان جمال قد أصدر قرارا فى يونيو ١٩٦٠ بتعيين ستمائة عضو لمجلس الأمة الجديد لدولة الوحدة ـ ربعمائة منهم يمثلون الأقليم الجنوبى (مصر) ـ والمائتين الآخرين يمثلون الإقليم الشمالى (سوريا) . كما أصدر فى نفس الشهر قرارا آخر أيضا بتشكيل اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومى من ثمانية عشر عضوا ، وستة منهم من السوريين . وكان من ضمن هؤلاء . الستة عبد الحميد السراج الذى كان قد سبق وعينه مشرفا على تنظيمات الاتحاد القومى فى الإقليم الشمالى . كما وأن جمال كان قد أصدر قرارا فى أكتوبر من نفس العام أيضا بتعيين السراج رئيسا للمجلس التنفيذى فى الإقليم الشمالى (سوريا) وذلك خلفا للمهندس نور الدين كحالة . وبعد صدور هذا القرار أعيد عبد الحكيم إلى القاهرة . وأصبح السراج بذلك هو المسيطر والمهيمن على أهم وأخطر الأجهزة فى سوريا . كما تجمعت بين يديه سلطات ضخمه مكنتة من زيادة قبضته الحديدية والبوليسية على الشعب السورى .

وكان الشعب هناك فى خلال تلك الفترة كثير الشكوى والتبرم من الأسلوب

البوليسى الذى يتبعه السراج فى إدارة دفة الأمور فى البلاد . وكانت الشائعات أيضا قد بدأت تنتشر وتتردد على أن هناك رغبة من شعب سوريا فى الانفصال أو أن ما يجرى بها سيؤدى فى النهاية إلى الانفصال عن الجمهورية العربية المتحدة . وكان ما يتردد هناك من شائعات يصل إلى جمال وعن تردى الوضع كذلك وعدم شعور أفراد الشعب السورى بالأمن فى ظل تلك الأوضاع . لكن جمال كان دائم الاطمئنان ومعتقدا أن شعبيته بين الجماهير السورية لها من القوة والوزن إلى حد أن تقف حائلا دون ما يعتقده الآخرون . وأن هذه الشعبية هى الكفيلة بضمان الاستقرار هناك . وكان دائم التعبير بهذا المعنى عندما يذكر أمامه هذا التدهور الجارى فى الإقليم الشمالى . ولم يكن على ما يظهر مقدرا مدى خطورة الحال وما وصل إليه هناك .

التأميم :

وجاء صيف عام ١٩٦١ ، وقد زاد الموقف تعقيدا فى سوريا وذلك بعد أن أعلنت قرارات التأميم فى ٢٣ يوليو . وكانت تلك القرارات قد شملت عددا كبيرا من الشركات الصناعية والتجارية فى مصر وكذا كل البنوك وشركات التأمين وشركات النقل العام والمقاولات والكهرباء . كما أصبحت الحكومة أيضا شريكة بالنصف فى رأس مال بعض الشركات الأخرى . أماملكية الأرض الزراعية فقد خفضت إلى مائة فدان بدلا من مائتين . وأصبح لا يجوز كذلك لأى فرد أن يستأجر أكثر من خمسين فدانا . وعمل على إعفاء الفلاحين المستفيدين من قانون الإصلاح الزراعى من دفع الفائدة السنوية المستحقة على باقى الأقساط المتبقية عليهم من ثمن الأرض الموزعة . وزيدت كذلك مدة دفع هذه الأقساط إلى أربعين عاما بدلا من ثلاثين التى كانت مقررة فى قانون الإصلاح الزراعى . وأصبح من حق العمال والمشتغلين فى الشركات والمؤسسات الصناعية والتجارية الحصول على نسبة ٢٥٪ من الأرباح لتعود عليهم بالنفع وفى شكل خدمات اجتماعية . وأصبح لهم الحق كذلك فى المساهمة فى إدارة تلك الشركات والمؤسسات بأن يمثلوا فى مجلس إدارتها بعضو مقابل سبعة أعضاء . وأن يتم ذلك عن طريق الانتخاب لمن يمثلونهم . وخفضت عدد ساعات العمل

اليومية إلى سبع ساعات بدل من ثمانية وذلك دون تخفيض فى الأجور. وقد زيدت أيضا نسبة الضرائب السنوية على الإيراد العام فأصبحت ٩٠٪ على كل ما يزيد عن ١٠٫٠٠٠ جنيه مصرى من الدخل السنوى. وأن لا يزيد مرتب أى فرد فى أية مؤسسة عن ٥٠٠٠ جنيه مصرى فى العام كحد أقصى.

وهذه القرارات التى صدرت فى ٢٣ يوليو ١٩٦١، أطلق عليها فيما بعد بالقرارات الاشتراكية، وكان قد سبق صدورها قرارات أخرى فى عام ١٩٦٠ بتأميم بنك مصر وشركاته الصناعية والتجارية أيضا. وتم أيضا تأميم شركات الأقطان التجارية وجميع شركات التجارة الخارجية فى يونيو ١٩٦١. هذا بالإضافة لما كان قد سبق مصادرته من ممتلكات الرعايا البريطانيين والفرنسيين واليهود على أثر اعتدائهم الثلاثى على مصر بعد تأميمنا لقناة السويس.

وهذه الإجراءات الأخيرة كانت قد وصفت فى حينها بالثورة الاجتماعية، وأنها مرحلة جديدة من مراحل الثورة بعد أن تم تثبيت استقلالنا وتحرير إرادتنا. وأن الغرض منها هو العمل على إعادة توزيع الثروة القومية بما يحقق عدالة اجتماعية للمواطنين ويوفر لهم حياة أفضل.

وكانت أغلب هذه البنوك وشركات التأمين والشركات الصناعية والتجارية وتجارة القطن والتجارة الخارجية يمتلكها ويسيطر عليها الأجانب أو المتمصرين. ولم يكن المصريون يملكون منها إلا القليل النادر. وكان المصريون يهتمون فى العادة بتملك الأراضى الزراعية والعقارات.

وهذه الإجراءات التى اتخذت قد استهدفت أيضا تحرير اقتصادنا من السيطرة الأجنبية ذلك بالإضافة إلى فائدتها الاقتصادية والاجتماعية على شعبنا ـ وكان قد هالنا هذه السيطرة الأجنبية عندما راجعنا بعد تأميم قناة السويس موقف هذه البنوك والشركات وجنسيتها وتبعيتها. وتبين منها أن الغرب كان فى مقدوره أن يحدث لاقتصادنا انهيارا كاملا، وأن يرغمنا على الاستسلام والخضوع له دون أن يستخدم القوة العسكرية ليحقق ما كان يرغب فيه، وكان لابد حتى نملك إرادتنا ونحرر أنفسنا أن نعمل على تحرير اقتصادنا من تلك السيطرة الأجنبية.

وعندما صدرت هذه القرارات الخاصة بالتأميم فى ٢٣ يوليو ١٩٦١ كانت قد

شملت أيضا بعض المؤسسات والشركات الصناعية والتجارية فى سوريا . وزيدت فيها أيضا الضرائب على الدخول السنوية . ولما كان السوريون هم أنفسهم الذين يملكون الأغلبية العظمى من تلك الشركات بخلاف الوضع فى مصر ، لذا كان وقع تلك القرارات سيئا عند فئة من الشعب ليست بالقليلة ، وزادت هذه الإجراءات من ضيقهم عما هم فيه .

وكان قد تبع اتخاذ تلك القرارات إعادة تنظيم السلطة التنفيذية فى الدولة . وأعلن جمال فى أغسطس من نفس العام ١٩٦١ عن قيام حكومة مركزية تتولى أمر الدولة الموحدة وذلك بغرض التغلب على صورة الإقليمية التى كانت تتزايد مظاهرها ودلالتها . وأعيد تشكيل الوزارة وقد شملت هذه التغييرات عبد الحميد السراج ، الذى عين نائبا لرئيس الجمهورية لشئون الأمن الداخلى ، وحدد مقر عمله فى القاهرة ، وكان جمال يهدف إلى إبعاده عن سوريا بعد أن ازدادت منه الشكوى ، وأمضى السراج ما يقرب من شهر فى القاهرة بعد صدور هذا القرار ، ولما وجد نفسه فيها دون أية سلطات أو حتى عمل يقوم به عاد إلى دمشق يوم الإثنين ١٨ سبتمبر ١٩٦١ ودون أن يستأذن من جمال أو يبلغه بسفره .

تصادم بين السراج وعبد الحكيم :

وعندما وصل إلى دمشق حدثت منه بعض المشاكل هناك وتصادم مع عبد الحكيم الذى كان قد عاود نشاطه فى سوريا ثانية بعد نقل السراج إلى القاهرة . ولما اشتد الخلاف بينهما استدعاهما جمال للحضور إلى القاهرة . ولما قدم إليها السراج تقدم بإستقالته وظل مصرا عليها حتى قبلها منه جمال يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦١ . وعاد السراج ثانية إلى دمشق بعد قبولها .

وفجأة حدث انقلاب عسكرى فى سوريا يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ أدى فى النهاية إلى انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة .

ولكن ما قصه هذا الانقلاب ـ كيف حدث ـ ومن هم قادته ـ وكيف تطور على هذه الصورة إلى حد الانفصال ـ هذا ما سأرجئه إلى باب خاص ، وسأذكره كما سجلته فى يومياتى أثناء تلك الأزمة .

الباب الثالث
ثورة الموصل
ودور
الجمهورية العربية المتحدة

١ ـ فتور علاقة عبد الكريم قاسم بعبد السلام عارف .
٢ ـ عزل قاسم لعبد السلام عارف .
٣ ـ محاكمة عارف .
٤ ـ سيطرة الشيوعيون على العراق
٥ ـ تحرك فى الجيش العراقى ضد قاسم .
٦ ـ طلب المساعدة من الجمهورية العربية المتحدة .
٧ ـ قيام ثورة بالموصل ضد قاسم .
٨ ـ تدهور الموقف بالموصل لصالح قاسم .
٩ ـ قتل الشواف قائد الثورة .
١٠ ـ هروب بعض الثوار الى سوريا .
١١ ـ مهاجمة جمال للشيوعيين وقاسم .
١٢ ـ مهاجمة فى محكمة الشعب العراقيه لجمال والجمهورية العربية المتحدة .
١٣ ـ فشل الثورة بالموصل .
١٤ ـ محاولة اثارة الشعب داخل الأراضى العراقية .
١٥ ـ مهاجمة خروشوف لجمال .
١٦ ـ مهاجمة جمال للاتحاد السوفيتى .
١٧ ـ تبادل جمال الرسائل مع خروشوف لتهدئة الموقف .
١٨ ـ تحسين علاقة الجمهورية العربية المتحدة مع دول المشرق العربى .
١٩ ـ وضع حجر الأساس لمشروع السد العالى .
٢٠ ـ موافقة الحكومة الروسية على تمويل باقى مراحل مشروع السد العالى .
٢١ ـ قيام عبد السلام عارف والبعثيون بانقلاب ضد قاسم .
٢٢ ـ مقتل قاسم وبعض أعوانه .

ثـــورة الموصـــــل
ودور
الجمهورية العربية المتحدة

لم يكن قد مضى شهور قليلة على قيام الثورة العراقية حتى بدأت العلاقات بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة تفتر ثم سرعان ما تطورت إلى توتر شديد بينهما الى أن أصبح العداء صريحا وعلنيا بين جمال وقاسم . وأخذ كل منهما يهاجم الآخر فى خطبه وعن طريق وسائل اعلامه أيضا . ولكن كيف تطورت تلك العلاقة إلى هذا الحد من العداء بعد موقف جمال والجمهورية العربية المتحدة من ثورة العراق ومساندتها لها عند قيامها ـ وما هى الظروف والأسباب التى أوصلتها إلى هذا الموقف العدائى .

وإنى اعتقد أن سردى للأحداث كما جرت مع المحافظة على تسلسلها التاريخى هى أفضل طريقة وأوضحها حتى يمكن تفهم الموقف على حقيقته ، ولتتضح الصورة كاملة من خلالها .

سبق أن ذكرت أن جمال عند عودته من موسكو بعد قيام ثورة العراق ، كان قد عاد الى دمشق ونزل بها وهو فى طريقه إلى القاهرة ، والتقى هناك بعبد السلام عارف وارتاح إليه . وفى هذا اللقاء بينهما أعرب عبد السلام عارف إلى جمال

عن رغبة الجمهورية العراقية فى الانضمام إلى الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة . وكان هذا الاتجاة على ما يظهر رغبة شخصية منه ولم يكن قد تم اتفاق عليها بينه وبين قاسم . وتحمس جمال لعبد السلام عارف وبدأ يعمل على إبراز أنه هو المفجر الحقيق لثورة العراق والرجل القوى هناك . واتخذت وسائل إعلامنا هذا الخط فى الكتابة عنه . وأحسست أن هذا ربما يتسبب عنه صدام بين قاسم وعارف متذكرا ما كان قد حدث بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر . وأن نفس الصورة يعاد تكرارها وربما ينتج عنها نفس ما حدث فى مصر من صدام وانشقاق . ولما تحدثت إلى جمال فى هذا الأمر وجدته مقتنعا بما يفعله وبحجة أن عبد السلام عارف متمشيا معنا فى سياستنا ـ كما جاءت على لسانه . وتجاهل جمال الشك الذى ربما ينتاب قاسم فى نوايانا وهو كان بطبعه شكاكا وحذرا .

وكان عبد السلام عارف قد بدأ يتصرف فى نفس الوقت تحت تأثير ما ينشر عنه فى وسائل إعلامنا على أنها حقيقة وأمر واقع . ولم يكن حريصا فى الحفاظ على علاقاته الشخصية بزملائه ضباط الجيش . وكان يسىء إليهم ويتصرف معهم بطريقة جعلتهم ينفضون من حوله . وكان قاسم يعلم هذا ويسمع عنه ويتابعه . وكانت علاقته بعبد السلام عارف قد بدأت تفتر كذلك والموقف أخذ يتأزم بينهما . ولكن قاسم صبر عليه حتى اطمأن على أنه قد فقد أغلب مؤازريه من زملائه الضباط فعمد إلى التخلص منه . وقام بعزله من منصبه ولم يكن قد مضى شهرين على قيام ثورة العراق . واستخدم قاسم طريقة الخداع فى التخلص منه ، فقد استدعاه إلى مكتبه وأعلن خبر هذا العزل له فى الإذاعة وهو لا يزال مجتمعا به ودون أن يعلمه . وعينه سفيرا للعراق فى ألمانيا الغربية .

حكم بالاعدام :

وسافر عبد السلام عارف إلى منصبه الجديد ولكنه عاد فجأة إلى بغداد دون استئذان ولم يكن قد مضى عليه شهرين هناك . وأراد قاسم أن يوقع به فأعلن أن عارف دخل عليه فى مكتبه وحاول اغتياله ، واتهمه أيضا بالتآمر ضد مصالح البلاد وأمنها . ثم حوكم وحكمت عليه المحكمة فى يناير ١٩٥٩ بالإعدام ولكن الحكم خفف إلى السجن الذى ظل فيه فترة إلى أن أفرج عنه قاسم .

وكان قاسم أيضا قد ازداد شكه فى أهداف جمال عندما اكتشف أن هناك كثيرين من عملاء السراج السريين قد تسللوا إلى الأراضى العراقية . ذلك بالإضافة إلى نشاط ملحقنا العسكرى هناك الذى طلب قاسم سحبه واعادته إلى القاهرة على أنه شخص غير مرغوب فيه . ووضع قاسم أيضا قيودا شديدة على تحركات واتصالات أعضاء سفارتنا هناك .

ولم يكن عارف هو المتحمس الوحيد فى العراق لقيام وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة وإنما كان من ضمن المتحمسين لها أيضا وفى أى شكل من أشكال الاتحاد أعضاء حزب البعث العراقى والوطنيون القوميون هناك .

وحاول قاسم مقاومة هذا التيار فعمد إلى التعاون مع الشيوعيين فى العراق بغرض التصدى لهذا الاتجاه . وسمح لهم فى عمل تشكيل شبه عسكرى أطلق عليه اسم الحرس الشعبى . وأعطى لأعضاء هذا التشكيل سلطة تفتيش واعتقال أى فرد يشك فى أنه يقوم بأى نشاط مضاد للدولة . وبهذه السلطة التى خولت لهم أصبحوا هم القوة المسيطرة داخل العراق . ولزيادة تلك السيطرة منهم على الشعب العراقى قاموا بإرهابه عن طريق الاعتقال والتعذيب وسحل خصومهم السياسيين فى شوارع بغداد وغيرها من المدن حتى ساد الذعر والخوف أغلبية الشعب العراقى من تلك الأعمال الإرهابية الدموية .

وجاء شهر فبراير ١٩٥٩ والعراق قد أصبحت تحت السيطرة التامة للشيوعيين بها . وكان قاسم نفسة يساندهم ويشد من أزرهم الأمر الذى دفع بعض الضباط الوطنيين من الجيش العراقى إلى التفكير فى التصدى لهذا الإرهاب والعمل على تخليص البلاد من سيطرة قاسم والشيوعيين معا . ولم يكن أمامهم من سبيل إلا محاولة القيام بانقلاب عسكرى ونقل السلطة من قاسم إليهم .

وفى ذلك الوقت ـ منذ بداية عام ١٩٥٩ ـ كانت قد بدأت تصل إلينا بعض المعلومات التى تفيد عن هذا الاتجاة من بعض الضباط القادة فى الجيش العراقى . وهم كانوا يسعون إلى الاتصال بالجمهورية العربية المتحدة بهدف طلب المساعدة والتأييد منها فى حالة تحركهم ضد قاسم .

وحل شهر مارس ١٩٥٩ ، وكان جمال فى ذلك الوقت فى سوريا فى زيارة لها مع ضيفه المرشال تيتو ، وكنت متواجدا بها أيضا . ولم يكن جمال قد عاد إلى القاهرة بعد سفر ضيفه فى يخته الخاص من ميناء اللاذقية عندما علمنا بتحرك بعض وحدات من الجيش العراقى فى مدينة الموصل ضد قاسم والشيوعيين . وقد أطلق على هذا التحرك فى ذلك الوقت ثورة الموصل أو الشواف نسبة إلى اسم قائد قوات الموصل الذى كان وراء هذا التحرك .

وكانت المعلومات عن هذا التحرك الذى حدث بالموصل وكذا تطور الأحداث بها تصل إلينا فى دمشق . وكنت قد عملت على تدوينها فى يومياتى كعادتى . وأرى حفاظا منى على التاريخ أن أوردها هنا كما جاءت بتلك اليوميات .

محاولات لعزل قاسم :

كنت مع جمال فى مدينة اللاذقية أثناء رحلته مع ضيفه المرشال تيتو عندما حضر إلينا هناك يوم الأثنين ٢ مارس ١٩٥٩ ملحقنا العسكرى فى العراق الضابط عبد المجيد فريد . وقام بإبلاغ جمال أن هناك تحركا فى الجيش العراقى بهدف القيام بانقلاب عسكرى ضد قاسم للقضاء عليه وعلى نظامه . وأنه موفد من قبل قائد هذا التحرك لمعرفة موقف الجمهورية العربية المتحدة من طلبهم فى المساعدة لتحقيق هذا الهدف . وأشار إلى أن هذا القائد هو الضابط رفعت الحاج سرى مدير المخابرات هناك .

وكان السراج قد سبق وأبلغ جمال كذلك أثناء تواجدنا فى مدينة حلب وقبل أن نتوجه منها إلى مدينة اللاذقية أن الزعيم حازم الطبقشلى قائد القوات العراقية فى كركوك شمال العراق قد أرسل إليه ضابطا من ضباط أركان حربه واسمه عبد العزيز وطلب هو الآخر مساعدته فى القيام بثورة ضد قاسم . وأنه فى حاجة إلى مده بقوات عسكرية من الجمهورية العربية المتحدة ذلك بالإضافة إلى بعض الأسلحة ومحطة إرسال متنقلة .

وقد وافق جمال على مدهم بما يحتاجونه من السلاح وعلى محطة الإرسال كذلك ، ولكنه أبدى تعذر إمدادهم بقوات عسكرية . واتفق على أن توضع هذه

الأسلحة ومحطة الإرسال المطلوبة فى نقطة قريبة من الحدود العراقية عند بلدة تل كوتشك السورية لتكون تحت تصرفهم الفورى عند تحركهم.

ولكن لم يتضح لنا من هذه الاتصالات مدى الملاقة بين ناظم الطبقشلى وقواته فى شمال العراق ورفعت الحاج سرى وقواته فى بغداد. كما وأن رفعت الحاج سرى لم يكن قد ذكر شيئا لعبد المجيد فريد عن وجود تعاون بينه وبين أى قوات أخرى. وقد لوحظ أيضا أن طلب كل منهما فى المساعدة يختلف عن طلب الآخر.

ومع تلك الصورة وجد أنه من الأوفق أن يأخذ كل من السراج وعبد المجيد فريد حذرهما وأن لا يفصحا لأى من الطرفين عن وجود اتصال بيننا وبين آخرين. وأن يظل اتصال كل منهما بنا سرا على الآخر.

وكان عبد المجيد فريد قد ذكر فى حديثه أنهم لا ينوون الدخول فى وحدة مع الجمهورية العربية المتحدة. واعتقدنا أنه يقصد أن ليس فى نيتهم التقدم بطلب قيامها فور نجاح الانقلاب المزعوم. ولكنه أكد لنا أن الوحدة ليست من أهدافهم.

وكنت قد علمت أيضا أن الضابط العراقى عبد الوهاب الشواف قائد لواء الموصل كان قد سبق وأرسل هو الآخر أركان حربه المسمى شكر إلى الحدود السورية. وتقابل هناك مع مندوب عن السراج. وقام بالإبلاغ عن المساعدات التى يطلبها الشواف والتى هو فى حاجة إليها من الجمهورية العربية المتحدة أيضا حيث كان ينوى القيام هو الآخر بانقلاب ضد قاسم، وكان ذلك قد تم فى منتصف شهر يناير ١٩٥٩.

وفى يوم الخميس ٥ مارس ١٩٥٩، أبلغنى جمال أن هناك معلومات قام بإرسالها عبد المجيد فريد وهى تفيد أن انقلاب رفعت الحاج سرى فى بغداد سيتم فى ليلة ٦ مارس. ولما سألته عما إذا كان هناك اتفاق بين قوات بغداد والقوات الأخرى الموجودة بالموصل على ذلك الانقلاب ـ أجابنى بالإيجاب. وعلمنا أيضا أن هناك قطارا خاصا سيغادر بغداد مساء نفس ذلك اليوم متوجها إلى الموصل، ويحمل عددا كبيرا من شيوعى بغداد للاحتفال بيوم السلام هناك الذى حدد له يوم الجمعة ٦ مارس.

ومضى يومى الجمعة والسبت ٦ و ٧ مارس - وكنا قد عدنا إلى دمشق دون أن تصلنا أية أخبار عن ذلك الانقلاب المزعوم.

ولكن فى صباح يوم الأحد ٨ مارس علمت من جمال أن الثورة قامت بعد منتصف ليلة السبت فى الموصل. وأن محطة الإرسال المتنقلة قد أرسلت إليهم وكذا بعض الأسلحة الخفيفة. وأجابنى بالإيجاب عندما استفسرت منه عما إذا كان هناك توقيت للتحرك متفق عليه بين قوات الموصل والقوات الموجودة فى بغداد. وذكر أنه من المفروض أن تكون قوات بغداد قد تحركت هى أيضا. ولكن حتى تلك اللحظة لم يكن قد وصل إلى علمنا شيئا عن تحركهم. وكان جمال دائم المحاولة فى الاستماع إلى إذاعة بغداد عسى أن يسمع شيئا يدل على ذلك.

وحتى الساعة الرابعة من بعد ظهر نفس اليوم - الأحد - لم يكن لدينا علم بما يجرى فى الموصل، ولا عن تحركات قوات بغداد غير ما أذيع من محطة إذاعتها فقط والتى أعلنت خبرا عن إحالة العقيد عبد الوهاب الشواف قائد قوات الموصل إلى التقاعد وتعيين الزعيم يونس محمد طاهر قائد اللواء الخامس بدلا منه. كما أعلنت بيانا إلى الضباط والجنود والأهالى كذلك يطلبون منهم فيه القبض على الشواف.

وتبين لنا أن محطة الإرسال التى أرسلت إلى الثائرين بالموصل كانت ضعيفة الإرسال، وأن إذاعتها غير مسموعة إلا لمسافات قصيرة لا تتعدى حدود منطقة الموصل نفسها. ورؤى لذلك استخدام محطة إرسال أخرى سرية لتذيع باسم ثوار الموصل. ووضعت تلك المحطة السرية فى منطقة الغوطة القريبة من مدينة دمشق. وأخذت تبث إذاعتها على أنها هى نفسها محطة إرسال الموصل. وقامت بإذاعة البيان الذى أصدره الشواف وبعض تعليقات أخرى ضد عبد الكريم قاسم.

وأما محطة بغداد فقد أذاعت عدة برقيات كلها تأييد لعبد الكريم قاسم من بعض وحدات الجيش العراقى. واستمرت تذيع أيضا عن طلب القبض على الشواف. وذكرت أنه يحاول الهرب متجها نحو الحدود السورية.

وأتضح لنا فى وقت متأخر من نفس اليوم أن قوات بغداد لم تتحرك . وأن قوات الموصل العسكرية قد اصطدمت مع الشيوعيين الذين وفدوا إلى المدينة من بغداد . وذكر أنها قضت عليهم ، كما اعتقلت عددا كبيرا من زعمائهم السياسيين .

موقف غامض :

وكان الموقف فى الموصل فى نهاية ذلك اليوم - الأحد - غير واضح لنا وعائم . وليس هناك أى اتصال بيننا وبين أى شخص فى المدينة . ولا تصلنا أية معلومات تفيد عما يجرى داخلها . وكان قاسم مسيطرا تماما على الوضع فى بغداد ولا يوجد بها أية تحركات عسكرية مضادة له .

وتساءلنا عن مكان وجود القوات الجوية العراقية ومن الذى يسيطر عليها ومدى طيران طائراتها ، وعلمنا أنها بالقرب من بغداد وخاضعة لسيطرة قاسم ، وأنها تستخدم نوعا من الطائرات المقاتلة المسماة بالفيورى ، وهذه الطائرات بها حاملات للقنابل بجانب رشاشاتها أيضا . ومدى طيرانها يمكنها من الوصول إلى الموصل والعودة ثانية إلى بغداد . وجاء تخوفنا من احتمال استخدام قاسم لها ضد قوات الموصل ، وتأثير ذلك على الروح المعنوية لتلك القوات . ولم يكن لدى الشواف عدد كاف من الطائرات للتصدى لها . واقترح إرسال طائرات قتال من سوريا إلى منطقة القامشلى أو دير الزور السورية حتى تكون قريبة من المنطقة الدائرة عليها القتال ولتبقى هناك كاحتياطى للظروف . ولكن جمال استبعد الاقتراح تخوفا من أنها لو استخدمت لكشفت عن الدور الذى تقوم به الجمهورية العربية المتحدة والذى نحاول إخفائه .

وفى الساعة السابعة والربع من مساء الأحد قامت محطة إذاعة دمشق بإذاعة خبر قيام ثورة فى الموصل وذلك أثناء إذاعتها لنشرة الأخبار . وأذيع كذلك بعض فقرات من بيان الشواف . وكان هذا هو أول خبر يذاع على العالم عن هذه الثورة وعن البيان . ولكن ما أذيع كان مقتضبا جدا ، والثوار كانوا فى حاجة إلى رفع معنوياتهم التى كانت قد بدأت تتدهور بعد الذى أذيع عن الشواف من محطة بغداد . ورئى لذلك أن يذاع جزء أكبر من بيان الشواف . وأن يكون هناك بعض التعليقات أيضا على ما يجرى فى الموصل ، ونداءات إلى الجيش والشعب

العراق لحثها على المشاركة والانضمام إلى الثورة . وأرسل جمال بيان الشواف كاملا إلى وكالة ا .ش .ا للأنباء فى بيروت والقاهرة لتعمل على نشره فى صحف اليوم التالى . كما أخطرت إذاعة كل من القاهرة ودمشق للقيام بإذاعة جزء أكبر من البيان . وقد حدده لها جمال بنفسه . وقامت محطة إذاعة القاهرة بتنفيذ ما طلب منها أثناء إذاعتها نشرة أخبار الساعة الثامنة والنصف مساء .

وكان الموقف لا يزال غامضا وغير واضح لنا حتى منتصف الليل ، ولا تصلنا أية معلومات تفيد بما يجرى فى الموصل وبغداد . وقررنا الذهاب إلى غرف نومنا والانتظار لما سيجد فى صباح اليوم التالى .

طائرات قاسم تُغير على الموصل :

وفى يوم الاثنين ٩ مارس وصل إلى علمنا أن طائرات قاسم قامت بالإغارة على الموصل فى صباح نفس اليوم ، وقذفت بقنابلها ورشاشاتها مواقع قيادة القوات بها . وأن الروح المعنوية بين القوات الثائرة فى تدهور ، وكثيرا من الضباط والجنود قد هربوا . وأن سبعة ضباط منهم قد وصلوا إلى الحدود السورية قادمين من الموصل . كما ذكروا أن الجنود الشيوعيون قاموا بقتل كثير من ضباطهم . وأن الحالة فى الموصل أصبحت فوضى كاملة . وقيل ان الثوار كان لديهم ثلاث طائرات ، وبدلا من الاحتفاظ بها لتقوم بالدفاع عن المدينة ومركز قيادة القوات بها فقد أرسلت إلى بغداد لقذف مبنى وزارة الدفاع غير مقدرين أن التفوق الجوى فى جانب قاسم وفى إمكانه التصدى لتلك الطائرات وإسقاطها قبل وصولها الى بغداد . وكذا احتمال قيام طياريها بالنزول بطائراتهم فى مطار بغداد تخلصا من ذلك الموقف الشائك الذى وضعوا فيه بعد أن أصبح الفشل واضحا لهم أكثر من النجاح . ذلك إلا إذا كانوا مؤمنين بما يقومون به وعلى استعداد للتضحية بأرواحهم فى سبيله .

وأبلغنا كذلك بأن الخط التيلفونى الذى كان يربط بلدة تل كوتشك السورية بمدينة الموصل قد قطع . وأصبحنا بذلك فى عزلة تامة عما يجرى فى المدينة وما يدور فيها . ونمى إلى علمنا أن المخفر العراقى القريب من الحدود السورية ومن

بلدة تل كوتشك قد احتل بواسطة بعض الشيوعيين المدنيين العراقيين . كما وأن الطريق الموصل بين الموصل وتل كوتشك قد أصبح كذلك تحت سيطرة قوات شيوعية مدنية من العراق . وقيل ان تلك القوة مسلحة بأسلحة خفيفة . وقد أعاقت تلك السيطرة منهم إرسالنا الجزء الأكبر من الأسلحة التى كان من المفروض أن ترسل إلى الثوار بالموصل . وأرسل ستون فدائيا سوريا إلى القامشلى بالطائرات للذهاب منها إلى تل كوتشك لمحاولة القضاء على تلك القوة العراقية التى احتلت المخفر ، ولتخليص الطريق أيضا من القوة العراقية التى سيطرت عليه . كما أمر جمال إرسال طائرات قتال إلى القامشلى أو دير الزور وذلك كإجراء احتياطى ولكنه لم يحدد لها الغرض المطلوب منها .

تدهور الموقف :

وكان جمال فى حالة ضيق شديد لتدهور الموقف السريع فى الموصل . واعتبر أن ما يجرى هناك معركة شخصية بينه وبين قاسم . وقد وصلتنا برقية من عبد المجيد فريد فى بغداد ، وذكر فيها أن الشيوعيين العراقيين يتظاهرون فى شوارع المدينة ويهتفون ضد الجمهورية العربية المتحدة وبسقوط جمال ، وقدر عددهم بالآلاف وذاكرا أنهم يتزايدون باستمرار . ولكنه لم يشر إلى وجود أى نشاط عسكرى فى بغداد مضاد لقاسم . وكل ماذكره أنه ليس هناك أى نشاط للذين كانوا يدعون أنهم مستعدون للقيام بثورة ، وقد قصد بذلك رفعت الحاج سرى . كما وصلت إلينا أيضا فى نفس اليوم برقية أخرى من سفارتنا ببغداد ذكر فيها أن وزير خارجية العراق قد طلب من موظفيها ضرورة مغادرة البلاد فى خلال أربع وعشرين ساعة .

وقامت إذاعة بغداد بإعلان أن الشواف قد قتل بيد ضباطه وجنوده . وتساءل جمال بعد وصول تلك المعلومات عما يمكن إذاعته . واتفق على أنه من المهم العمل على رفع الروح المعنوية للقوات الموجودة ببغداد ، ومحاولة إبعاد اليأس عنها لاعتقادنا أن بيدها مفتاح الموقف بعد تدهور الحالة فى الموصل . وقد أصبح الأمل معلقا فى تحرك قوات من بغداد ضد قاسم . ورئى أنه ربما يساعد فى تحقيق ذلك أن نعمل على تكذيب ما يذاع من محطة بغداد ، وأن نواصل إذاعة أن ثوار

الموصل لا يزالون مسيطرون على الموقف هناك . وان الشواف لا يزال حي يرزق ولم يقتل كما أذاعت بغداد ، عسى أن يحرك ذلك قوات بغداد ضد قاسم .

إذاعة الموصل فى الغوطه :

وقام جمال بإعداد ما سيذاع . وأذيع بعد ذلك بيان وكأنه على لسان الشواف من المحطة السرية بالغوطة . وقامت إذاعة القاهرة وكذا دمشق بذكر ما أذاعته بغداد عن مقتل الشواف وقذف مركز القيادة بالموصل بالطائرات . وما أذاعته أيضا المحطة السرية بالغوطة وعلى أنه صادر من الثوار . وذكرتا أن الشواف لم يقتل ، وأنه أذاع بيانا ثم قاما بذكره فى إذاعتيهما . واستمعنا إلى إذاعة لندن ، وجاء فى تعليقها على الموقف فى العراق أنه غير واضح . كما ذكرت ما كانت قد أذاعته بغداد وما أذاعته محطة الثوار السرية وعلى أنها بالموصل والتى هى فى الحقيقة بالغوطة . وأصبح الموقف نتيجة هذه الإذاعات المتضاربة غير واضح للمستمعين لتلك الإذاعات .

وأصبح هناك أمل فى أن تؤثر هذة الصورة على الموقف خاصة فيما يتخذه قاسم من تصرفات . وكان قد تبين لنا من إذاعة بغداد أنه هو الآخر غير ملم بحقيقة الموقف فى الموصل . ولم تكن هذه إلا محاولة منا لمد عمر ثورة الموصل - فمن يعلم - ؟ . وكان ذلك رغم شعورنا أن لا فائدة ترجى هناك .

وفى المساء لاحظنا أن إذاعة بغداد بدأت تذيع برنامجها العادى دون أن تعلن فيه عن أى برقيات تأييد لقاسم من مرسليها كما دأبت من قبل . كما أعلنت أيضا عن عودة سير القطارات بين بغداد والموصل بعد أن كانت قد توقفت . وفهم من ذلك أنهم يحاولون إبراز أن ما حدث فى الموصل قد انتهى . وأن السيطرة عادت إليهم . وأن الأمور هناك قد استقرت وعادت إلى حالتها الطبيعية السابقة . كما فاجأتنا أيضا إذاعة قاسم بأن محكمة الشعب فى بغداد ستعقد لمحاكمة كبه وزير المعارف الأسبق فى العراق وذلك فى الساعة السابعة مساء ، وكان قد سبق وأعلن فى ظهر نفس اليوم عن تأجيل تلك المحاكمة . واستنتج أن الغرض من ذلك هو محاولة استغلال انعقادها فى إبراز فوزهم وإعلان انتصارهم للشعب العراقى حتى تحبط من عزيمة خصومها .

وكانت جلسة المحكمة مذاعة مباشرة على الهواء . وسمعنا فيها من البذاءة ما لا حد له . وقد جاءت على لسان رئيسها المهداوى . وعلى لسان من حضروا لمشاهدة تلك المحاكمة أيضا . وقد وجهت هذة البذاءة والإهانات إلى الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها جمال . ولم تكن محاكمة للمتهم بالمعنى المفهوم ، وإنما كانت مسرحية كلها تهجم على جمال أكثر منها محاكمة للمتهم نفسه .

جمال يتألم :

وكان قد جاء على لسان المهداوى أثناء تهجمه أن محطة ثوار الموصل السرية تقع داخل الأراضى السورية . كما أذاعت ذلك أيضا كل من إذاعة لندن وإسرائيل فى مساء نفس اليوم . ولم يكن جمال قد استمع معنا إلى ما دار فى المحكمة ، وتساءل عما جاء بها . ولم نشأ ابلاغه بالحقيقة ولكنه أصر على معرفتها . وقدم إليه محمود الجيار أحد سكرتيريه مذكرة فيها فحوى ما دار فى المحكمة . وظهر الألم الشديد على وجهه بعد قراءتها . ولم يشأ أن نراه على تلك الصورة فاستأذن ودخل إلى غرفته . وظل بها فترة ثم عاد إلينا بعد أن سكنت نفسه وهدأ غضبه . وكان قد عاد ليشترك معنا فى مشاهدة فيلم سينمائى أحضر لنشاهدة فى قصر الضيافة .

وأثناء مشاهدة الفيلم أبلغنى جمال أن عبد الحكيم أرسل إلى سوريا سفينة وثلاث طائرات محملة بالأسلحة والذخيرة لنعزز بها النجاح الذى حققته ثورة الموصل . ذلك لأن عبد الحكيم كان قد اعتقد بصحة ما يذاع من محطة الثوار . وذكر جمال هذا وهو فى غاية التأثر والضيق الشديد . كما أنه كان متألما لمقتل الشواف . ولم يكن هذا هو شعوره فقط وإنما كان هذا شعورا عاما عند الجميع للمصير الذى آل إليه . وكنا فى حنق أيضا على الذين اتفق معهم ولكنهم تخلوا عنه كرفعت الحاج سرى وناظم الطبقشلى .

وكان قد تم الاتفاق صباح ذلك اليوم مع مصطفى حمدون على أن يذهب الى منطقة تل كوتشك ويعمل على إثارة عرب شمر وبعض القبائل الأخرى هناك على الحكومة العراقية بهدف محاولة مساندة ثوار الموصل . وطلب جمال منه عدم التصرف إلا بعد أن تتوفر لديه المعلومات الكافية عن الموقف هناك . وأن يبلغه بها وهو الذى سيقوم بتوجيهه إلى العمل المطلوب .

وجاء يوم الثلاثاء ١٠ مارس ، وكان أول يوم من شهر رمضان المبارك وتمنينا أن يكون خيرا على المسلمين وعلينا جميعا . وأن يحقق الله أملنا فى الوحدة الشاملة ، وفوز القومية العربية فى تلك المعركة التى كانت تدور رحاها ولا يعرف نتائجها إلا الله .

وأثناء تناولنا الإفطار فى أول يوم من أيام رمضان علمنا من السراج أن الشواف كان قد جرح أثناء وقوع الانقلاب فى الموصل ، وأنه نقل إلى المستشفى للعلاج ولكنه توفى هناك . كما ذكر أن طائرتين عراقيتين قامتا فى صباح اليوم بقذف ثلاث قرى من قرى عرب شمر الموجودة بالقرب من منطقة تل كوتشك . وأن احدى هذة القرى الثلاث تقع داخل الأراضى السورية . وقيل أن الأضرار التى أصيبت بها بسيطة . وأن الذى دفع القيادة العراقية إلى هذا التصرف هو اعتداء الفدائيون الذين سبق إرسالهم إلى تلك المنطقة على أفراد المخفر العراقى . وقد تمكن هؤلاء الفدائيون من انقاذ ضابط عراقى جريح اسمه محمد سعيد شهاب من بين أيدى أفراد هذا المخفر وذلك بعد أن أوقعوهم فى كمين أعدوه لهم . وكان هذا الضابط قد هرب من الموصل بعد أن أصيب بجروح أثناء القتال هناك . ولكنه توفى متأثرا بجراحة فى نفس اليوم الذى تم فيه إنقاذه .

جنازة شعبية :

وقد اقترح جمال أن يعمل له جنازة شعبية فى دمشق . وأن يحشد لها أكبر عدد ممكن من الأهالى لتشبيع جثمانه والهتاف ضد قاسم والعراق وذلك بقصد تعبئة الشعور العام ضد قاسم بالذات . وردا كذلك على الجنازة التى كانت ستقام فى بغداد يوم الأربعاء ١١ مارس لتشييع جثمان أحد الشيوعيين العراقيين من الذين قتلوا فى الموصل .

وحاولنا إقناع جمال بالعدول عن هذا الاقتراح خشية أن يصبح ذلك دليلا على ارتباط الجمهورية العربية المتحدة بما جرى فى الموصل . وأن يلصق بها الفشل الذى حدث هناك ، والضحايا التى ذهبت أرواحهم أثناء القتال . وتجنبا كذلك للوم الذى سيقع من الشعب العراقى على الجمهورية العربية المتحدة بل وعلى عاتق جمال شخصيا لتلك الخسائر ، ولكن جمال تمسك باقتراحه وعبر عن

اقتناعه به بمعنى جميل له وجاهتة ، وهو أن كل عربي يستشهد فى سبيل القومية العربية فوطنه البلاد العربية جمعاء ، وأنه شهيد الواجب . وأن تشييعنا لجثمان الشهيد محمد سعيد شهاب ما هو إلا اعتراف منا بتضحيته فى سبيل هذا الواجب النبيل .

واتفق على أن يتم إعداد تشييع جثمانه بعد صلاة الجمعة ١٣ مارس حتى تتاح الفرصة بذلك لأكبر عدد ممكن من المواطنين للاشتراك فيه .

وكان قد نمى إلى علمنا أيضا ونحن على مائدة الإفطار أن مصطفى حمدون قد أرسل ثلاث عربات جيب بها عرب من البادية إلى مدينة الموصل فى مساء اليوم السابق لتتقصى الأخبار هناك والحصول على معلومات . وكان من المفروض أن تعود ثانية فى صباح يوم أول رمضان ، ولكنها لم تكن قد عادت بعد أثناء تناولنا الإفطار فى المساء .

وقد قام جمال فى نفس الليلة باتخاذ العدة لإعداد ما يلزم من الدعاية لتغطية ذلك الفشل الذى حدث بالموصل وكتب عدة أخبار لتنشر فى الصحف . وكانت كلها تهدف إلى إثارة الشعب العراقى ضد قاسم ، وذلك عن طريق تجسيم الخسائر التى حدثت بالموصل ، ومحاولة إثارة العطف أيضا على الثوار بالتنديد بالإجراءات التى اتخذها قاسم هناك . وقد أدعى أنه قام بإعدام ستين ضابطا ، كما أعدم أيضا كل شخص مدنى شك فى أنه تعاون مع الثوار . وأن ذلك كله تم دون محاكمة . ولكننا تخوفنا من المبالغة فى هذا الأمر فربما يأتى بنتيجة غير ما نرجو ونتمنى ، وتجعل الشعب العراقى يحمل جمال مسئولية هذه الضحايا وما حدث هناك . أو أن يعرف الحقيقة وهى غير ما ذكرنا ، ويعلم أننا نغالى فيما ننشر من أخبار فيفقد ثقته فيما نعلنه . ولكن جمال ظل مقتنعا بما يفعله .

وكان واضحا غضب جمال وضيقة من كل من نجيب الربيعى رئيس مجلس السيادة بالعراق ورفعت الحاج سرى لأنهما لم ينفذا ما كانا قد وعدا به من اشتراكهما فى الثورة مع الشواف .

وقد خطب جمال فى جموع الطلبة الذين تظاهروا يوم الأربعاء ١١ مارس ، وندد فى خطابه بعبد الكريم قاسم وأسماه بقاسم العراق ، ومن أنهم عملاء

للاستعمار وشيوعيون يعملون لصالح الأجنبي وبوحي من الخارج . وذكر أن الشيوعيون عملاء لأنهم لا يؤمنون بحرية وطنهم . وأشار إلى الإهانات والإساءات التى مسته شخصيا ومست الجمهورية العربية المتحدة فى محكمة الشعب ليلة ٩ مارس ، وقال « لا يحق لنا أن نغضب لأن لنا رسالة ونحن قد آمنا بها » .

وأوضح فى هذا الخطاب أكثر من أية مرة سابقة موقفه من الشيوعية . كما هاجم الشيوعيين مهاجمة عنيفة خاصة العراقيين منهم . وكانت قبضة الشيوعيين العراقيين قد ازدادت على الشعب العراقى بعد أحداث الموصل . وساعدهم فى ذلك تنظيماتهم الشعبية التى سيطرت على الشارع هناك سيطرة كاملة وبسند أيضا من قاسم نفسه .

موقف عسير :

ومع تطور الموقف إلى هذه الصورة ـ تصورنا أن الاتحاد السوفيتى لابد سيبذل كل جهد ممكن من ناحيته لمساعدة الشيوعيين العراقيين والعمل على تدعيم موقفهم . وسيحاول أيضا أن يضعف من مركزنا ويتخذ من التصرفات ما يؤثر على اقتصادنا . وربما يتخذ فى هذا السبيل طرقا غير مباشرة ودون الإعلان عنها . وكان الغرب فى ذلك الوقت يعمل هو الآخر أيضا على إضعافنا وعزلنا عن باقى الدول العربية بعد أن امتد تأثير ونفوذ الجمهورية العربية المتحدة إلى شعوب كل المنطقة . وأصبح موقفنا من هذه الصراعات لا يمكن أن نحسد عليه . ولكننا كنا نؤمن إيمانا عميقا بأن هذه المعارك هى التى ستصهر شعبنا العربى وتبلور شخصيته وتدعم قوميته كذلك . وأن شعبنا إن وضح له الهدف وآمن به فسيكون مستعدا للتضحية فى سبيله . وكان هذا هو الذى يمدنا بقوة الصمود ويدفعنا إلى مواجهة كل التحديات . .

وكان مصطفى حمدون قد حضر من تل كوتشك يوم الاربعاء ١١ مارس وابلغنا عن المعلومات التى أمكن له جمعها عن الموقف فى الموصل . وقد حصل عليها من الضابط العراقى محمود عزيز المساعد الأيمن لعبد الوهاب الشواف ، ومن بعض ضباط عراقيين آخرين فارين من الموصل إلى سوريا . وقد التقى بهم فى تل كوتشك .

وتفيد تلك المعلومات أن خطة الانقلاب ضد قاسم كانت قد بنيت أساسا على أن يتحرك الشواف فى الموصل ، وأن يقوم ناظم الطبقشلى بتجميد قواته فى كركوك واربل شمال العراق ذلك لأنه لم يشأ الاشتراك فى العملية بحجة عدم اطمئنانه لجنوده لأن أغلبهم من الأكراد . وكان قد طالب بمده بثلاثة آلاف جندى من الجمهورية العربية المتحدة إن كان ولا بد من إشراكه . ولما كان هذا متعذرا بل وغير منطق وإلا يصبح غزوا من الجمهورية العربية المتحدة للعراق - لذا رئى الاكتفاء بتجميد موقف قواته من أحداث الموصل .

وكان الشواف أيضا قد اتفق مع رفعت الحاج سرى ببغداد على أن يقوم ومعه قوة من ثلثمائة ضابط وجندى بنسف محطة إذاعة بغداد ، والهجوم على وزارة الدفاع للاستيلاء عليها ، والقضاء على قاسم وأعوانه .

وكان قد تحدد موعد قيام الثورة ليلة ٦/٥ مارس بعد منتصف الليل ثم اضطر الشواف إلى تأجيلها حتى ليلة ٨/٧ مارس . وكان قد رأى تأجيلها حتى يتستر فى قيامه بها خلف ستار العمل على المحافظة على الأمن فى الموصل بعد أن يدعى أن الشيوعيين الذين وفدوا إليها من بغداد يوم ٦ مارس قد اصطدموا مع القوميين العرب بها مما هدد أمن المدينة . لذلك قام بالإيعاز إلى بعض القوميين بالموصل أن يحتكوا بالشيوعيين الوافدين على المدينة حتى تتاح له ذريعة إعلان حالة الطوارىء . وقام فعلا بإعلانها وبموافقة من بغداد أيضا على هذا الإجراء الذى ارتآه . وقام بإنزال قواته إلى المدينة ، واحتلت بعض المواقع فيها ، ومنع التجول بها . كما اعتقل خمسة عشر من الزعماء الشيوعيين ، وعدد مماثل لهم من القوميين العرب تغطية لنواياه . وتم نقلهم جميعا إلى إحدى المعسكرات خارج المدينة ثم أفرج عن الزعماء القوميين بعد وصولهم إلى المعسكر ، وظل متحفظا على الزعماء من الشيوعيين . وقام بتوزيع سبعمائة بندقية على الأفراد القوميين .

واستمرت الحالة طوال يوم ٨ مارس هادئة ، والشواف وزملائه مسيطرين على الموقف تماما . وزيادة فى الحيطة منهم فقد قاموا باعتقال أحد عشر ضابطا من الشيوعيين كذلك . ثم قام الشواف بعد ذلك بإعلان بيانهم من محطة الإرسال السرية التى أرسلت إليهم . ولكن ارسالها كان ضعيفا ، ولم يخرج عن دائرة

الموصل نفسها . ولم تحدث التأثير المطلوب ، هذا بخلاف محطة إذاعة بغداد التى بدأت تذيع فى نفس اليوم ومن الساعة الرابعة بعد الظهر عن تسريح العقيد الشواف وتعيين يونس محمد طاهر بدلا منه قائدا للواء الخامس ، وطلب القبض على الشواف حيا أو ميتا مقابل مكافأة لمن يقبض عليه مقدارها عشرة آلاف دينار عراقى . وقد اعتبره البيان المذاع عنه خائنا للوطن ، ومتعاونا مع الأجنبى والاستعمار . كما أن إذاعة بغداد كانت تذيع كذلك برقيات التأييد لقاسم من وحدات الجيش المختلفة حتى من ناظم الطبقشلى نفسه ، وقد تأكد لنا صحة ذلك فيما بعد . كما أعلنت برقيات تأييد أخرى أيضا من الهيئات الأهلية والنقابات المختلفة . ونتيجة تلك الصورة بدأت الروح المعنوية بين القوات الثائرة والأهالى القوميين تضعف خاصة بعد أن أتضح لهم أن أحدا لم يؤازرهم ممن كانوا قد اتفقوا معهم ، ولم تنسف كذلك محطة إذاعة بغداد كما كان متفقا من قبل بل أصبح صوتها هو المسموع دون صوت الثائرين . كما أن إذاعة بغداد لم تحاول أن تعلن عن قيام ثورة فى الموصل أو تمرد أو عصيان من قواتها ، وإنما ركزت فقط فى إذاعتها على الشواف وخيانته وهروبه وطلب القبض عليه من الجنود والأهالى .

وقد زاد أيضا من تدهور الروح المعنوية عند الثائرين موقف إذاعة كل من دمشق وصوت العرب بالقاهرة عندما أعلنتا عن قيام ثورة فى الموصل ، وبزعامة عبد الوهاب الشواف ، واقتصرتا فى إذاعيتها على جزء بسيط من البيان الذى أعلنه الشواف . وكانوا يأملون التأييد الكامل والواضح من الجمهورية العربية المتحدة ، وأن تقوم إذاعتها بمقاومة إذاعة بغداد لذلك اتصلوا بتل كوتشك وأبلغوا مندوبى السراج بها أن ما أذاعته المحطتين كان مهبطا لروحهم المعنوية .

قتل زعماء الشيوعيين :

وعندما رأى الثوار أن موقفهم أصبح ضعيفا وحرجا وأنهم وحيدون فى المعركة ، وليس هناك من يساندهم أو يشد أزرهم ـ لذا قرروا القيام بقتل الزعماء الشيوعيين المدنيين . وكذا الضباط المعتقلين . وقاموا باصطحابهم لتنفيذ تلك العملية فيهم . وبدأ الضابط محمود عزيز الساعد الأيمن للشواف بقتل زعيم

الشيوعيين فى الموصل . وهو محام اسمه كامل القازنجى . وقيل إنه قام بإدخالة إلى محل لإزالة الضرورة ثم أطلق عليه الرصاص من مسدسه . كما قتل ضابط شيوعى آخر اسمه عبد الله الشاوى قائد فوج المهندسين . ويقال إن هذا الضابط الشيوعى حاول إخراج مسدسه فعاجله أحد أقرباء محمود عزيز وهو ملازم برصاصة من مسدسه فقتله . وذكر أن هذا الملازم كان أحد الذين هربوا إلى سوريا . وذكر كذلك أن الشيوعيين عندما رأوا هذا المصير الذى سيصيبهم فقد أخذوا يستعطفونهم ويرجونهم فى عقد هدنة بينهما حتى يعملا على إيقاف تلك المذبحة التى كانت جارية بالموصل . وقد تأثر الثوار بهذا العرض منهم غير مقدرين خطورته عليهم بعد أن بدأت الكفة تميل لصالح الشيوعيين . ولكنهم لم يقطعوا برأى نهائى فيما عرض عليهم وانما أوقفوا ما كانوا قد بدأوا فى تنفيذه من قتل الزعماء الشيوعيين .

وقيل إنه فى صباح اليوم التالى أى ٩ مارس أرسلت بغداد طائرتين قامتا بقصف مراكز قيادة الثوار فزاد ذلك من إضعاف الروح المعنوية أيضا . وجرح الشواف من هذا القذف وكذا محمود عزيز جروحا خفيفة . وذهب الشواف إلى المستشفى العسكرى للعلاج تاركا مركز قيادته . وقد ذهب أيضا بدون حراسة ولكنه لم يعد لأنه كان قد قتل . ويستنتج أنه قتل بيد شيوعى وهو فى طريقه إلى المستشفى أو فى المستشفى ذاته . وهناك رواية أخرى تقول إن الذى قتله صول كردى . والأكراد كانوا متعصبين لقاسم لموقفه من قضيتهم . وكان من الواجب على الشواف اتخاذ الحيطة وعدم مغادرة مركز قيادته على تلك الصورة . وكان يمكنه استدعاء الطبيب إلى مكان وجوده لعلاجه بدلا من الذهاب بنفسة إلى المستشفى وبدون حراسة وفى وقت لا يسمح له بترك مركز قيادته .

ويقال إنه بعد أن قامت الطائرات بقصف مراكز قيادة الثوار فقد حدث هرج ومرج . وقام جنود وحدة المهندسين بالتمرد على ضباطهم ، ووصفوهم بالخونة ، وقتلوا عددا كبيرا منهم . وكأن هذا الذى حدث كان بداية لانقسام الجنود والضباط والأهالى المدنيين على بعضهم البعض ، فقاموا يتقاتلون دون شفقة أو رحمة ، فقتل من قتل وفر من أسعده الحظ وتمكن من الفرار .

كما أنه كان قد حدث فى نفس الوقت أن قام الشيوعيون المدنيون بقذف الموجودين داخل المعسكر بالنيران من خارج الأسوار. وقام محمود عزيز بالهروب من المعسكر عندما أحس بخطر استمرار بقائه فيه. واستقل سيارة روڤر عسكرية واقتحم بها الأسلاك الشائكة المحيطة بالمعسكر رغم استمرار إطلاق الرصاص عليه. وذهب إلى المدينة وتجول بها فوجدها فى هرج ومرج والناس تتقاتل مع بعضها البعض كالوحوش الضارية. وتأكد أن الثورة قد انتهت بالفشل فتوجه إلى الحدود السورية وتمكن من الوصول إلى تل كوتشك يوم ١٠ مارس.

كما ذكر أن جميع الضباط القوميين فى الموصل قد قتلوا. كما وأن عددا كبيرا من الشيوعيين قد قتل كذلك. وأن نسبة عدد القتلى من ضباط لواء الموصل لا تقل عن ٨٠٪ من قوتهم. وأن عدد القتلى من الجنود لا تقل أيضا عن ستمائة أو سبعمائة جندى. وربما يكون فى هذه الأرقام التى ذكرت مغالاه أو مبالغة، ولكن القتال كان لا يزال دائرا فى المدينة حتى تلك اللحظة التى كانوا يحدثوننا فيها عما جرى فى الموصل. وقيل إن كل الخلافات القديمة بين العرب والأكراد قد صحت من جديد فى ظل تلك الظروف. وان عائلة واحدة قد قامت بقتل سبعة عشر شيوعيا بمفردها. وأن فوجا أو كتيبة عسكرية كانت قد أرسلت من مدينة إربل إلى الموصل لمحاولة السيطرة على الموقف هناك. ولكن تلك القوة انقسمت على نفسها وهى فى الطريق وقاموا بالاقتتال وقتل بعضهم البعض.

وكان عدد الضباط العراقيين الفارين إلى الحدود السورية قد وصل حتى يوم ١١ مارس إلى سبعة عشر ضابطا بخلاف المدنيين. وكان الموقف حتى ذلك اليوم لا يزال غامضا، وغير معروف لنا حقيقة الوضع فى الموصل، ولا عدد القتلى، ولا الجرحى. وكانت حكومة العراق نفسها لا تحاول التدخل فيما يجرى بالمدينة وتاركة الفوضى تضرب أطنابها فيها. والذعر يسود الجميع هناك.

وكانت أجهزة الاستماع عندنا قد التقطت إشارة تليفونية من إحدى نقط أمن الحدود العراقية تخطر فيها سلطات العراق أن طائرة عراقية اضطرت إلى النزول قرب الحدود السورية العراقية، وحاول الطيار بعد نزولها الهروب نحو الحدود السورية ولكن الأهالى طاردوه فانتحر بمسدسه. ويعتقد أنه أحد الطيارين الذين

كانت قيادة الثورة بالموصل قد أرسلتهم إلى بغداد لقذف محطة إذاعتها بعد أن أغارت طائرات قاسم على مركز قياداتهم . وقيل إنها كانت قد أرسلت أربع طائرات لهذا الغرض. وأن الشواف لم يوافق على قذف وزارة الدفاع بالطائرات . ولم يكن أحد يعرف مصير تلك الطائرات التى أرسلت حتى يوم ١١ مارس .

إبعاد خالد محى الدين :

ولقد أصدر جمال قرارا يوم ١٢ مارس بإبعاد خالد محى الدين عن جريدة المساء التى كان يتولى رئاستها فى ذلك الحين لاعتقاده أنه كان متعاطفا مع الشيوعيين بالعراق . وذلك لأنه لم يلتزم بالتوجيهات الخاصة لوسائل إعلامنا والتى طلب منها أن تظل تردد أن ثوار الموصل لا يزالون يقاتلون رغم اندحارهم وهروب الكثيرين منهم .

وكان جمال قد خطب فى جمع من الطالبات يوم الخميس ١٢ مارس وركز فى كلمته على قاسم العراق على حد قوله . وأوضح فى كلمته أن ثورة الموصل لم تقم إلا لمقاومة إرهاب الشيوعيين للمواطنين بالعراق . وأن استمرار احتكاكهم بهم وإرهابهم لهم هو الذى دفع الشواف لأن يثور ضد هذا الإرهاب .

وكانت محطة إذاعة بغداد قد أعلنت فى مساء اليوم نفسه أن الجمهورية العربية المتحدة ستحتفل بتشييع جثمان محمد سعيد شهاب . وأطلقت عليه اسم الخائن . كما حملت أيضا على هذا الإجراء منا بكلمات نابية .

ولقد قمنا بتشييع جثمان الشهيد شهاب يوم الجمعة ١٣ مارس . واشترك فيها الكثير من اهالى دمشق والقرى المجاورة . وخطب جمال فى المشيعين .

وعقد جمال اجتماعا يوم الأحد ١٥ مارس . وقد حضره كل من أكرم الحورانى وعبد الحميد السراج ومصطفى حمدون وطعمة وأنا وتكلم جمال فيه عن أهمية المعركة الدائرة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة . وذكر أنه لابد لإحداهما من أن تقضى على الأخرى ، وهو لذلك يرى أن تنقل المعركة إلى أرض العراق نفسها بغرض إرهاق قاسم . وأن يتم ذلك عن طريق تشجيع بعض القبائل على

شن غارات لإقامة الفوضى فى أرض العراق . ويأمل أيضا أن يدفع هذا الموقف بعض ضباط الجيش العراقى إلى القيام بثورة أخرى ضد قاسم . أو أن يندفع أحد الأشخاص من العراقيين المتحمسين ويعتدى عليه .

خطة جديدة :

وكان مصطفى حمدون متحمسا للفكرة . ويرى أنه فى الامكان الاعتماد على مشايخ العرب . وليس علينا إلا أن نقوم بتوزيع السلاح عليهم ـ ذاكراً قبائل شمر والرمادى وغيرهما . وأما السراج فكان يرى أن العملية يجب أن تنظم ويخطط لها وأن يكون لها قيادة . وكنت أرى أن تحدد الأهداف المطلوبة حتى يمكن تحديد وسائل تحقيقها ووضع الخطط التى تضمن لنا النتائج . وكان جمال يرى ضرورة توزيع السلاح وبسرعة على قبائل شمر لاشتباكهم القائم مع حكومة قاسم والشيوعيين حتى يضمن بذلك استمرار المعركة . وذكر حمدون أنه كان قد قام بتوزيع ألف ومائتين بندقية على أفراد تلك القبيلة عندما كان فى تل كوتشك . وكان يرى ضرورة زيادة هذا العدد . أما جمال فكان يعتقد أنه من الضرورى استمرار مساندتهم حتى يتم اتصالنا بباقى العشائر والاتفاق معهم . وقد انتهى الاجتماع على أن يجتمع مصطفى حمدون مع السراج لوضع الترتيبات اللازمة والخطة المطلوبة لتنفيذ هذه العملية وعرض نتائج دراستهم على نفس المجموعة فى مساء الثلاثاء ١٧ مارس .

خروشوف يهاجم :

وكنا قد علمنا عن طريق وكالات الأنباء الخارجية فى مساء الاثنين ١٦ مارس أن خروشوف رئيس حكومة الاتحاد السوفيتى قد قام بمهاجمة جمال وسياسته حيال العراق فى خطاب له فى المؤتمر الحادى والعشرين للحزب الشيوعى . وانتقد أيضا ما كان جمال قد قاله عن الشيوعيين . وكان واضحا فى كلمة خروشوف أنه يقاوم صراحة الوحدة العربية ويشكك أيضا فى القومية العربية . وقد حمل على جمال نفسه حملة شعواء . وقال عنه إنه شاب انفعالى لا يستطيع أن يفرض إرادته على العالم العربى . وكان يحاول الفصل فى كلمته بين مهاجمته لجمال وبين علاقة الاتحاد السوفيتى بالجمهورية العربية المتحدة ،

وعلى أن تلك العلاقة بجمهوريتنا ستستمر كما كانت فى الماضى . ولم يكتف بهذا بل حاول أيضا إثارة الشعب السورى ولكن بطريقة ملتوية وذلك بقوله إن الوحدة التى تتم دون أن تكون الظروف السياسية والاقتصادية مهيأة لنجاحها فصيرها الفشل مع مرور الزمن لأن شعب أحد البلدان المتحدة يأخذه الشعور بفقدان استقلاله ، كما أن زعماءه السابقين يبعدون إلى المؤخرة . . . إلى آخر ما جاء فى كلمته .

وعندما اجتمعنا مع جمال لمناقشة هذا الموقف من خروشوف كان واضحا لنا أنه ـ أى خروشوف ـ قد رمى بكل ثقله فى مساندة الشيوعيين العراقيين . وأنه يحاول تثبيت أقدامهم فى العراق آملا أن تصبح هى رأس الكوبرى فى المنطقة التى ستيسر للاتحاد السوفيتى فى المستقبل العبور منها إلى البلدان العربية الأخرى ، وأنه بموقفه هذا قد أصبح على ما يظهر لا يهمه أن تنكشف نوايا موسكو بقدر ما يهمه تثبيت أقدام الشيوعيين فى العراق والدفاع عنهم . وكان من الضرورى أن نتناول فى مناقشاتنا موقف الاتحاد السوفيتى من الاتفاقية الاقتصادية المبرمة بين بلدينا ، وكذا القرض الذى تم توقيعه فى ديسمبر السابق والخاص بمشروع السد العالى ـ وهل ستعمل روسيا على إيقافهما أو التعويق فى تنفيذها . وتوصلنا إلى أنها لو اتخذت هذا السبيل فكأن الاتحاد السوفيتى يعلن عن نفسه أنه لا فرق بينه وبين الدول الاستعمارية الأخرى التى يندد بأسلوبها لأنه أصبح هو الآخر يتبع نفس الأسلوب وله أيضا أطماعه الاستعمارية . وأن ما يدعيه من مؤازرته للحركات التحررية ومساندة الدول الصغرى فى الحفاظ على استقلالها إنما هو ادعاء منه يخفى وراءه أطماعه ومآربه . ورأينا أنه لذلك ربما لا يسلك هذا الاتجاه ولا يعلنه . وأنه لابد سيلتزم بتنفيذ ما تعاقد عليه معنا حتى يبعد عن نفسه تلك الشبهة . وأن كل ما يمكنه عمله هو الإبطاء فى تنفيذ ما تم الاتفاق عليه معه حتى يضعف من ثقة الشعب فى الثورة عندما يشعر أنها لم تحقق له ما كانت تنادى به .

كما نوقش فى الاجتماع أيضا عما إذا كان من الضرورى أن يقوم جمال بالرد على ما جاء بخطاب خروشوف أم الأفضل لنا التغاضى عن ذلك منعا لزيادة التوتر والفرقة بين البلدين . وكان عبد الحكيم الذى حضر إلى دمشق يفضل

التغاضى وعدم الرد عليه خوفا من أن يمتنع الاتحاد السوفيتى عن تنفيذ ما تعاقدنا عليه معه خاصة فيما يتعلق بالسلاح . ولكن رئى ضرورة الرد على ما جاء بخطاب خروشوف . وأن نتعامل مع موسكو كما نتعامل مع أى دولة غربية أخرى عندما تقف نفس هذا الموقف منا والاستعداء علينا . وأن هذا يتفق مع شخصيتنا المستقلة وإرادتنا الحرة .

وقام جمال فى نفس اليوم بالرد على خروشوف ، ولكنه لم يتناول فى رده إلا بعض النقاط فقط دون باقى النقاط الأخرى التى كانت قد وردت فى كلمته .

واجتمعنا مساء يوم الأربعاء ١٨ مارس للاستماع إلى نتيجة الدراسة التى قام بها مصطفى حمدون والسراج والذى كان مقررا له يوم الثلاثاء من قبل . وكان قد حضر قبل أن يبدأ اجتماعنا مشايخ قبائل منطقة الجزيرة بسوريا المتاخمة للحدود العراقية لمقابلة جمال . ولم يستمر لقاءه معهم أكثر من ربع ساعة ، وكان عددهم تسعة .

تدريب العشائر :

وعرض السراج ومصطفى حمدون علينا الاتصال الذى تم بينهما وبين مشايخ الجزيرة والخطوات اللازم اتخاذها لتنفيذ خطة إثارة الشعب داخل الأراضى العراقية والتى حددت بمنطقتين ـ لواء الموصل فى الشمال ـ ولواء دليم فى الجنوب ـ واقترح انشاء قيادة مركزية ، وقيادة لكل من المنطقتين ، والعمل على تدريب أفراد العشائر على استخدام الأسلحة الصغيرة المختلفة تحت ستار تدريبهم على المقاومة الشعبية . وأن نعمل على توفير كافة الأسلحة اللازمة لهم وكذا السيارات الكافية حتى يمكنهم التنقل بسهولة داخل الأراضى العراقيه . وأن يرسل إليهم بعض الأفراد الفنيين اللازمين لتدريبهم على استخدام تلك الأسلحة والمتفجرات . وعلى أن تخفى هذه الأسلحة فى منطقة الرمادى لاستخدامها عندما يحين الوقت المناسب . واقترح أيضا لعدم لفت الأنظار أن يوقف تنفيذ أية عمليات صغيرة جارية . وأن يعاد النظر كذلك فى تنظيم المقاومة الشعبية عموما فى سوريا . وعلى أن يتم ذلك بسرعة مع اختيار الأفراد اللازمين للاشراف عليها خاصة على طول منطقة الحدود مع العراق . وذكر أن شابا عراقيا قد أبدى

استعداده فى التعاون معنا . وأن عمره لا يزيد عن ثلاثين عاما . وقيل انه زعيم عشيرة بدليم ، وأنه كان يقيم فى بيروت . كما ذكر أنه سبق وتولى قبل الثورة العراقية وزارة الاقتصاد هناك .

وانتهى الاجتماع على أن يقوم السراج وحمدون وطعمه بدراسة الموضوع ثانية بكامله مع وضع الخطة اللازمة للتنفيذ ، وعلى أن تعرض فى اجتماع يعقد يوم السبت ٢١ مارس .

ولما كنت قد سافرت إلى القاهرة يوم الخميس ١٩ مارس لمتابعة أعمال وزارة التخطيط ، وظللت بها لفترة ، لذا لا علم لى بما تم فى اجتماع يوم ٢١ مارس .

موقف سلبى :

وكنت قد استمعت يوم الأحد ٢٢ مارس إلى صورة صوتية لخطاب جمال من اذاعة القاهرة والذى كان قد ألقاه فى دمشق فى نفس اليوم . وقد حمل جمال فى هذا الخطاب على الاتحاد السوفيتى ، وحاول أن يكشف حقيقة موقفهم أثناء الاعتداء الثلاثى على مصر . وأعلن انهم لم يتدخلوا فى المعركة التى كانت دائرة معنا . وأن تحركهم جاء يوم ٦ نوفمبر ١٩٥٦ بإرسال ذلك الانذار المعروف بعد أن اتضح لهم أن القتال سيتوقف . وأشار كذلك إلى موقفهم السلبى عندما نزلت قوات مشاة الأسطول السادس الأمريكى على سواحل لبنان ، والقوات البريطانية فى شرق الأردن عام ١٩٥٨ عند قيام ثورة العراق وذلك رغم ذهابه اليهم فى موسكو وطلبه منهم اتخاذ موقف إيجابى إزاء هذه التحركات . وقد أراد جمال بهذا التصريح منه أن يضيع الأثر الذى كان لدى الشعب العربى عن موقف موسكو من قبل . وأن دورها كان سلبياً ولم تساندنا فى المعركتين بصورة فعالة كما يشاع .

وكانت إذاعة بغداد فى مساء الثلاثاء ٢٤ مارس قد أذاعت محاكمة الطيارين الذين اشتركوا مع الشواف فى ثورته . وقام المدعى العام أثناء إقامته الدعوى عليهم بحملة شعواء على جمال ومستخدما فى حملته كلمات نابية وقاسية . وذكر خطة الثوار كما سمعتها من قبل من بعض المشتركين فى الثورة ، ولابد أن يكون بعض المتهمين قد اعترفوا بالحقيقة أثناء التحقيق معهم .

ورغم موقف خروشوف من جمال أثناء تلك الأزمة إلا أن جمال كان حريصاً على تفادى زيادة الخصومة معه . وكانت الفرصة قد واتت جمال بعد أن استمرت الحرب الكلامية بينهما لمدة أسبوعين وذلك عندما التقى بالسفير السوفيتى فى القاهرة ـ مستر كيسيليف ـ قبل سفره إلى موسكو لحضور المؤتمر الحادى والعشرين للحزب الشيوعى . وحمّل جمال السفير رسالة شفوية منه إلى خروشوف أوضح فيها موقفه من الأزمة . وعاد السفير إلى القاهرة قبل نهاية أبريل ١٩٥٩ حاملا معه رسالة مطولة مكتوبة من خروشوف إلى جمال أوضح له فيها موقف الاتحاد السوفيتى من الجمهورية العربية المتحدة . ورد جمال برسالة أخرى منه على ما ورد فى رسالة خروشوف من نقاط ، وبذلك أوقفت الحملة التى استعرت بينهما لكن العلاقة بين البلدين ظلت فاترة إلى فترة ليست بالقصيرة .

تحرك جديد :

وكما كان الشك يساورنا من جانب الاتحاد السوفيتى لموقفه من شيوعى العراق ، كان الشك أيضاً ينتابنا من موقف انجلترا ، وعلى أنها هى الأخرى تلعب دورا معاديا لنا للأضرار التى كانت قد أصابت مصالحها وهيبتها فى المنطقة . وقد ساعد فى زيادة ذلك الشك عندنا استمرارها فى مد العراق بما تحتاجه من أسلحة رغم انسحابها بعد قيام الثورة فيها من حلف بغداد العسكرى التى كانت عضوا فيه . كما زاد منه أيضا محاولة الملك حسين فى تحسين علاقة بلاده مع العراق رغم موقفه العدائى المعروف من ثورتها عند قيامها . واعتقدنا أن انجلترا وراء هذا التحرك منه . وأنها تسعى إلى زيادة الفرقة بيننا وبين باقى دول المشرق العربى بغرض عزل الجمهورية العربية المتحدة عنها .

ولإحباط ما تسعى إليه انجلترا عمد جمال إلى تدعيم علاقاتنا مع كل من لبنان والسعودية والأردن . وعقد لذلك اجتماعا مع اللواء شهاب رئيس جمهورية لبنان فى مكان على الحدود المشتركة بين سوريا ولبنان . وعمل أيضاً على تحسين العلاقة مع الأردن والجمهورية العربية المتحدة . وأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى أغسطس ١٩٥٩ . وصفيت كذلك الخلافات التى كانت قائمة مع السعودية . والتقى جمال مع الملك سعود فى سبتمبر من نفس العام .

وكان قد تقرر قيام احتفال يوم ٩ يناير ١٩٦٠ بوضع الحجر الأساسى لمشروع السد العالى . وذكر لى جمال يوم الجمعة ٨ يناير أن صلاح سالم كان قد أبلغه أن موظفا بالسفارة الروسية اقترح عليه أن يقوم جمال بدعوة خروشوف لحضور هذا الحفل . وأن هذه الخطوة من جمال ستساعد على تحسين العلاقة بين البلدين بعد ذلك التوتر الذى حدث بينهما . ويقول جمال أنه أبلغ صلاح أنه يعلم أن خروشوف سيكون مشغولا خلال فترة هذه الاحتفالات . وقد سبق له أن دعاه لزيارة الجمهورية العربية المتحدة ، والدعوة لا زالت قائمة .

مثل صارخ للتدخل :

ويذكر جمال أنه فوجىء بعد ذلك بصلاح وهو يبلغه أن موظف السفارة الروسية قد حمَّله رسالة شفوية من خروشوف إلى جمال ـ وقدم إلىّ جمال رسالة مكتوبة للاطلاع عليها . وكانت تلك الرسالة مكتوبة بخط يد صلاح ، وهى نفس الرسالة الشفوية من خروشوف . وقد ذكر صلاح فى بدايتها أنها مترجمة وأنه يعتقد فى صحة ترجمتها . ومما جاء بها أن خروتشوف كان يود أن يقوم بزيارة الجمهورية العربية المتحدة والاشتراك بنفسه فى هذه الاحتفالات الخاصة ببدء تنفيذ مشروع السد العالى ولكنه لا يمكنه زيارتها وهى تحكم حكما استبداديا وليس فيها حريات ، والسجون فيها مملوءة بالأحرار والتقدميين ـ وجمل أخرى فى حدود هذه المعانى . وكانت تلك الرسالة مثلا صارخا للتدخل فى شئوننا الداخلية .

وبعد أن انتهيت من قراءتها سألنى جمال عن رأيى فيها ، فأبديت له امتعاضى من هذا التدخل السافر من خروشوف فى شئون ليس له أن يتدخل فيها . فأمن جمال على كلامى ذاكرا أنه لم ينم ثلاث ليال بعد أن تلقى هذه الرسالة عن طريق صلاح . واستنكر قبول صلاح استلام مثل هذه الرسالة . وصرح لى بأنه كان قد وافق على أن يقوم صلاح بالاتصال بموظفى السفارة الروسية بطريقة غير رسمية أسوة باتصال هيكل بالسفارة الأمريكية والبريطانية . وعلل جمال ذلك بأن هذه الاتصالات الغير رسمية تسهل الكثير من الأمور . وأنها تعطى له مرونة كبيرة فى إمكانية التراجع . وذكر أن هيكل هو الذى أعاد العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا وليست وزارة الخارجية المصرية .

ولما اقترحت عليه أن يقوم صلاح بإعادة تلك الرسالة ثانية إلى موظف السفارة، وأن يبلغه رفضه استلامه لها وهى على تلك الصورة - أبلغنى أن السفير الروسى قد علم باستلام جمال لها ذلك لأن جمال كان قد كلف حسين ذو الفقار صبرى نائب وزير الخارجية باستدعاء السفير والتحدث إليه بشدة فى أمر هذه الرسالة. ولكن السفير ادعى أنه لا يدرى شيئا عنها.

وذكر لى جمال أن وزير القوى الكهربائية السوفيتى والذى كان قد حضر إلى القاهرة ليشترك فى احتفالات السد قد قام بزيارته يوم الخميس ٧ يناير وسلم إليه رسالة مكتوبة من خروشوف، وقدمها جمال إلىّ للإطلاع عليها. وكان مرفق بالرسالة ترجمة لها باللغة العربية - وقد أشاد فيها خروشوف بالتعاون بين البلدين فى سبيل رخاء الشعب المصرى. كما أشاد فيها أيضا بجهود جمال فى سبيل تحقيق حياة أفضل للشعب العربى، ومن أنه يعمل فى المحافظة على استقلال الجمهورية العربية المتحدة، وكانت الرسالة فى عمومها تتنافى تماما مع تلك الرسالة الشفوية السابقة. وذكر جمال أنه كان ينوى بعد أن تلقى الرسالة الشفوية الأولى أن يقوم بمهاجمة الاتحاد السوفيتى فى خطابه الذى كان سيلقيه بمناسبة بدء العمل فى تنفيذ مشروع السد ولكن موقفه قد تغير بعد أن تلقى تلك الرسالة الأخيرة.

كما ذكر أيضا أنه يستنتج أن الروس لهم رغبة فى إقراضنا ما يلزمنا من النقد الأجنبى لتنفيذ المرحلة الثانية من مشروع السد العالى. وأن هذا قد وضح له أثناء مقابلته لوزير الكهرباء والسفير السوفيتى عندما تساءل الوزير عن المانع لدينا من تنفيذ المشروع على مرحلة واحدة بدلا من أن ينفذ على مراحل توفيرا للوقت والنفقات. وصرح لهما جمال أن العائق فى ذلك هو التمويل من النقد الأجنبى - واستفسر منهما عن مدى استعداد روسيا فى منحنا القرض اللازم لإتمام ذلك - وطلب منهما إبلاغ الحكومة السوفيتية. ويقول جمال أنه لاحظ سرورهما وارتياحهما عندما ذكر ذلك. وأن الوزير أجاب - أنه يعتقد أن ليس هناك مانع من جهة المبدأ.

خطاب من خروشوف:

ولم يكن قد وصل رد من الحكومة السوفيتية عندما ذكر جمال هذا الحديث.

ولكن بعد عدة أيام من افتتاح مشروع السد طلب الوزير السوفيتى مقابلة جمال . وقد تم لقائه فى ١٨ يناير ١٩٦٠ . وسلم الى جمال خطابا من خروشوف ضمنه موافقة الحكومة السوفيتية على تمويل باقى مراحل تنفيذ المشروع من النقد الأجنبى وبنفس شروط المرحلة الأولى من المشروع . وتم تبادل خطابين فى هذا الشأن . وكان المبلغ المطلوب يقدر بحوالى مائة مليون جنيه استرلينى إضافة إلى قرض المرحلة الأولى وقدره ثلاثة وثلاثين مليونا من الجنيهات .

وأعتقد أن هدف الاتحاد السوفيتى فى الإسراع بالموافقة على هذا التمويل هو بغرض قطع الطريق على الدكتور ايرهارد وزير الاقتصاد فى ألمانيا الغربية والذى كان سيصل إلى القاهرة فى زيارة رسمية لها مساء الأحد ٢٤ يناير ١٩٦٠ . وكانت الأخبار قد سبقته على أنه ينوى إبداء استعداد ألمانيا على المساهمة فى تمويل باقى مراحل المشروع . وكان السباق السياسى بين الشرق والغرب على أشده فى ذلك الحين لإقراضنا بما نحتاجه من النقد الأجنبى لتنفيذ المرحلة الثانية من المشروع .

ولكن كان قد نمى إلى علمنا أن المبلغ الذى تنوى ألمانيا الغربية تقديمه لا يتعدى ثلثمائة مليون مارك ألمانى أى ما يقرب، من خمسة وعشرين مليونا من الجنيهات فقط ، وهو مبلغ لم يكن يكفى تغطية تكاليف تلك المرحلة من النقد الأجنبى . كما وأن الفائدة السنوية المطلوبة أيضا كانت مرتفعة ولا تقل عن ٦٪ . وهى عاليه لو قورنت بفائدة القرض السوفيتى التى لا تزيد عن ٢,٥٪ سنويا ، والمطلوب تسديده على مدى اثنا عشر عاما ، ولا يبدأ السداد كذلك إلا بعد السنة الأولى من بداية تشغيل المشروع . وهذه ميزات لها قيمتها لم تكن متوفرة فى القرض الألمانى .

وقد رؤى أيضا أنه من الأفضل أن يستمر الاتحاد السوفيتى فى تولى مسئولية استكمال بناء السد العالى بعد أن تولى تنفيذ المرحلة الأولى منه حتى يصبح مسئولا مسئولية كاملة عن أمن وسلامة السد بعد اتمامه ، وحتى لا تصبح تلك المسئولية موزعة وغير واضحة إن قام بتنفيذه أكثر من جهة .

وهذه الخطوة التى خطاها خروشوف وحكومته كانت من العوامل التى

ساعدت فى تحسين العلاقة بين البلدين ، خاصة بعد أن فقد الشيوعيون العراقيون سيطرتهم فى العراق . وكان قاسم نفسه قد بدأ يبتعد عنهم ويقلل من مساندته لهم بعد أن فقدوا الكثير من شعبيتهم داخل العراق .

مقتل قاسم والمهداوى :

وقد استمرت علاقاتنا بقاسم يشوبها الفتور والشك . وظل هو يحكم العراق مستفيدا من ذلك الصراع الذى كان قائما بين الشيوعيين والقوميين بها . واستمر الحال كذلك إلى أن قام عبد السلام عارف بانقلاب ضد قاسم فى فبراير ١٩٦٣ وبمساندة من البعثيين العراقيين . وقد أطيح بقاسم فى هذا الانقلاب . وقام الثوار الجدد بقتله هو وبعض من زملائه ، ومن ضمنهم المهداوى رئيس محكمة الثورة بالعراق ، ودون محاكمة أيضا .

وبدأت بذلك مرحلة أخرى جديدة فى العلاقة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة (مصر) . وأما سوريا فكان قد سبق وتم انفصالها عن الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، كما سيأتى ذكره .

ولم يكن قد مضى شهر على قيام هذا الانقلاب فى العراق حتى لحقه انقلاب آخر فى سوريا أطاح أيضا بهؤلاء الذين عملوا على انفصالها عن مصر .

الباب الرابع
الانفصال

١ ـ خلاف بين عبد الحكيم والسراج .
٢ ـ استقالة السراج وقبولها .
٣ ـ انقلاب عسكرى فى سوريا .
٤ ـ بيان من جمال .
٥ ـ الاعداد لارسال قوات عسكرية إلى سوريا .
٦ ـ أسماء قادة الانقلاب .
٧ ـ مطالب قادة الانقلاب من عبد الحكيم .
٨ ـ الموقف فى سوريا صباح يوم الانقلاب .
٩ ـ ترحيل الوزراء العسكريين السوريين إلى القاهرة .
١٠ ـ بيان قادة الانقلاب رقم ٩ ومضمونه .
١١ ـ مغادرة عبد الحكيم سوريا إلى القاهرة .
١٢ ـ بيان ثان من جمال .
١٣ ـ تحرك قواتنا إلى سوريا ثم إيقافه .
١٤ ـ تدهور الموقف فى سوريا .
١٥ ـ أخطاء الوحدة .
١٦ ـ حلول مقترحة من جمال .
١٧ ـ مشروع خطاب منى إلى جمال .
١٨ ـ بيان من جمال إلى الشعب بعد الانفصال .

الانفصال

ما من شك أن كل عربى وطنى يحلم باليوم الذى يرى فيه العالم العربى وقد توحد وأصبح دولة عربية واحدة فيها القوة والمنعة . ولقد كانت وحدة مصر وسوريا وقيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ أول خطوة على هذا الطريق . وكان الأمل بعد قيامها قد بدأ يداعب الكثيرون من الوطنيين العرب ، وأن ما تم من وحدة بين البلدين ما هى إلا خطوة أولى على الطريق الذى طالما تمنوه . واعتقد الكثيرون منهم أنه سرعان ما ستتلو هذه الخطوة خطوات أخرى على نفس الطريق . وأن شمل العرب الذى كان قد تمزق بفعل المستعمر سيبدأ فى الالتئام من جديد ، وأن مجدهم القديم الذى كان قد زال من سنوات طوال سيخطو أولى خطواته لإعادة هذا المجد التليد . ولكن هذا الأمل سرعان ما بعد وتبدد ، ولم يكن قد مضى أكثر من ثلاث سنين على قيام وحدة عربية بين بلدين شقيقين .

وما حدث كان صدمة أليمة على نفس كل وطنى عربى . ولقد تساءل كل منهم عن الأسباب التى أدت إلى فشل تلك الوحدة التى كانت بداية أمل طال انتظارهم له ـ كما تساءل عن من هم وراء هذا الانفصال وكيف حدث .

وكنت قد دونت ما كان يجرى يوما بعد يوم أثناء تلك المأساة الأليمة على قلب كل عربى ، وسيجد من يهمه أن يعيش تلك الأحداث كما عشناها الإجابة على تلك التساؤلات من خلال ما جاء بيومياتى التى تقول :

كنت أحتفل فى منزلى بعيد ميلادى مع أولادى وأسرتى يوم الأربعاء ٢٠ سبتمبر ١٩٦١ عندما اتصل بى مدير مكتبى لشئون المعلومات وأبلغنى أنه علم من نائب مدير المخابرات العامة أن المشير عامر قد وصل إلى القاهرة صباح نفس اليوم من دمشق فى الساعة الثالثة وقد صحب معه عبد الحميد السراج . وأن ذلك قد تم بناء عن أمر من الرئيس جمال بعد أن أخبره المشير أن لديه وقائع ثابتة ضد تصرفات للسراج فى سوريا . وكان السراج قد سافر من القاهرة إلى دمشق قبل ذلك اليوم بيومين .

أمن المواطن فى سوريا :

وكنت أعتقد أن السراج قد قرر السفر إلى دمشق ودون استئذان عندما قرأ فى الصحف وسمع ما جاء فى الإذاعة عن تلك القرارات التى كان قد أصدرها عبد الحكيم هناك والخاصة بإعادة انتخاب المجالس التنفيذية للاتحاد القومى فى محافظات الاقليم الشمالى (سوريا) . وكان عبد الحكيم قد قام بإصدار تلك القرارات بعد أن أصبح مشرفا عاما على الاتحاد القومى هناك . وكان معروفا أن السراج هو فى الأصل المشرف على الاتحاد القومى فى سوريا ، ولم يكن قد صدر بعد أى قرار يلغى قرار هذا التعيين . كما وأن عبد الحكيم كان قد أصدر قرارا آخرا أيضا يؤمن فيه الأهالى فى سوريا على حرياتهم ، ويطمئنهم كذلك على أنه لن تتخذ أية إجراءات تمس حرياتهم سواء بالحبس أو الاعتقال إلا بعد إجراء تحقيق فيما هو منسوب اليهم من النيابة العامة . وقد أكد صدور هذا القرار وبالصيغة التى صدر بها أن الحريات فى سوريا لم تكن متوفرة من قبل ، الأمر الذى يدين السراج لأنه معلوم أنه هو الذى كان مسئولا عن هذا الوضع هناك .

وكان من الطبيعى بعد صدور هذا القرار أن يتخذ عبد الحكيم من الإجراءات الإدارية ما يطمئنه على سلامة تنفيذه ـ لذا أصدر أوامره بنقل بعض من ضباط المكتب الثانى (المخابرات) فى سوريا ممن كانوا يعملون مع السراج

من قبل عندما كان وزيرا للداخلية هناك . وهو أى السراج كان دائم الاعتماد عليهم فى تنفيذ أوامره ، بل وكانت لهم الحرية التامة فى التصرف ، الأمر الذى نتج عنه أضرارا بالغة هددت أمن الناس هناك .

وكان ظنى أن هذه هى الأسباب المباشرة وراء سفر السراج إلى دمشق . ولم يكن لدى علم بما أشار إليه مدير مكتبى فى حديثه معى عن الوقائع الثابتة ضد السراج والتى عاد بسببها إلى القاهرة مع عبد الحكيم ، وكل ما خطر فى ذهنى عندما أبلغت بالخبر أن السراج ربما يكون قد تصرف هناك تصرفا فيه شئ من التهور وغير حكيم . وقد ورد هذا الخاطر لى عندما ذكر مدير مكتبى من ضمن ما ذكر أن المشير عبد الحكيم عامر قد أصدر أوامره بانزال بعض من وحدات الجيش إلى مدينة دمشق لحراسة المنشئات العامة بها والمحافظة على الأمن هناك ولكنه لم يكن يعرف الدافع وراء اتخاذ عبد الحكيم هذا الاجراء . ولابد أن يكون هناك من الأسباب القوية التى تبرر هذا التصرف منه لعلمه أنه سيكون له صدى واسع فى الداخل والخارج على السواء .

وكنت قد تحدثت إلى جمال تليفونيا يوم السبت ٢٣ سبتمبر عن الاشاعات التى كانت ترددها صحف بيروت وتذكرها إذاعات لندن وباريس وإسرائيل حول وجود خلاف بين عبد الحكيم والسراج وعن استدعائه لهما . فذكر أن هذا الخلاف بينهما قد نزل إلى الشارع - على حد قوله - فى سوريا . وأن السراج يكرر ما كان قد حدث أيام أزمة محمد نجيب بإعلانه هذا الخلاف . وأنه أى السراج كان قد سافر إلى سوريا بعد إعلان قرارات عبد الحكيم ، وقام بدعوة اللجنة التنفيذية للاتحاد القومى هناك إلى الاجتماع ، وتحدث اليهم عن أنه ذهب إلى القاهرة ليتولى مهام منصبه الجديد بعد تعيينه نائبا لرئيس الجمهورية لشئون الأمن الداخلى ، ولكن اتضح له أن لا سلطان له على أحد وليست له أية صلاحيات . كما وجد نفسه يذهب إلى مكتبه كل يوم فى الحكومة المركزية ولكن دون أن يجد لنفسه ما يعمله . وذكر لهم كذلك أنه طلب من عباس رضوان وزير الداخلية للاقليم المصرى أن يعرض عليه أعمال وزارته ولكنه لم يره بعد ذلك . وكلما كان يحاول الاتصال به يقال له أنه ليس بمكتبه . وتناقش معهم فى القرار الذى أصدره عبد الحكيم والخاص بالغاء اللجان التنفيذية للاتحاد القومى فى

سوريا ، ودفعهم إلى اتخاذ قرار آخر يلغى به قرار عبد الحكيم . وبحجة أن هذا القرار الذى أصدره يخالف قرارهم السابق والذى يجب عليهم التمسك به .

ضباط السراج يرفضون :

ويقول جمال أن هذا التصرف من السراج دفع أيضا ضباط المكتب الثانى إلى رفض تنفيذ أمر النقل الصادر إليهم من عبد الحكيم . بل وأشهروا مسدساتهم على الشخص الذى أوفده إليهم لإبلاغهم بالقرار ، واعتصموا كذلك داخل مبنى وزارة الداخلية هناك .

وذكر جمال أنه قام بمقابلة عبد الحكيم ثم السراج . كما قابل كذلك العسكريون من الوزراء السوريين وهما طعمة العودة الله وأحمد الحنيدى وتكلم معهما حول هذا الخلاف . وأن عبد الحكيم أكد له أن أوامره بخصوص قرار المحافظة على الحريات الذى أصدره كانت بعدم التصريح بنشره . وقد أمر جمال بمحاكمة من صرح بنشر هذا القرار . كما ذكر أن السراج كان قد رفض العودة إلى القاهرة مع عبد الحكيم ولم يتحرك معه إلا بعد أن هدده الحنيدى باستخدام العنف معه . وأن طعمة والحنيدى ذكرا لجمال أن السراج كان قد قال لهما أنه يمكنه اخراج المشير (عبد الحكيم) من سوريا بالبندورة أى بالطماطم .

السراج يبكى :

وعلمت من جمال كذلك أن السراج كان مصرا على ضرورة إلغاء قرار نقل ضباط المكتب الثانى ، وقد أخذ يبكى أثناء اجتماعه به . وبعد أن انصرف من عنده قام بإرسال استقالته . ولكن جمال ذكر لى أنه سيقوم بمقابلته ثانية فى يوم الإثنين ٢٥ سبتمبر ليحاول إقناعه بسحبها ذلك لأنه أى جمال يهمه الاحتفاظ به ـ على حد قوله . ولم يجد جمال مفرا من قبولها وإعلانها فى مساء نفس اليوم . أما عبد الحكيم فقد عاد إلى سوريا ظهر نفس اليوم .

وكنت أستمع إلى محطة اذاعة القاهرة صباح الخميس ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وفوجئت بالمذيع يعلن أن الرئيس جمال سيلقى بيانا على شعب الجمهورية العربية المتحدة . وتبادر إلى ذهنى فورا أن حدثا لابد يكون قد وقع فى سوريا وله خطورته .

انقلاب فى سوريا:

وفى نفس تلك اللحظة دق التليفون فى منزلى. وكان المتكلم سامى شرف مدير مكتب جمال للمعلومات. وقام بإبلاغى أن الرئيس يرغب منى ومن باقى الزملاء أعضاء مجلس الثورة السابقين التوجه إلى منزله وذاكرا أنه قد حدث انقلاب عسكرى فى سوريا. وأن جمال قد ذهب إلى دار الاذاعة ليلقى بيانا على الشعب من هناك. ولما سألته عن المعلومات التى وصلت إليهم عن هذا الإنقلاب أفادنى بأنه وقع فى الساعة الرابعة صباحا. وأن قوات الإنقلاب قامت بمحاصرة مبنى القيادة العسكرية بدمشق. كما استولت على دار الإذاعة هناك، وحاصرت الموانئ والمطارات وأغلقت مداخل دمشق. كما أن عبد الحكيم والوزراء هناك محاصرون داخل مبنى القيادة العسكرية. وقد قام مجلس قيادة الإنقلاب بإصدار أربعة بيانات حتى تلك اللحظة، ذكر سامى مضمونها. كما طلب المجلس من عبد الحكيم سحب الضباط المصريين الموجودين هناك والعمل على ترحيلهم فورا إلى القاهرة، وعلى أن يقوم هو كذلك بمغادرة دمشق.

وكنت قد استمعت إلى بيان جمال، وكان التأثر باديا على صوته. وكنت أعلم أن ما يحدث فى سوريا حتى لو فشل سيؤثر عليه تأثيرا كبيرا وعلى معنوياته بالذات، لأنه كان يعتقد أن شعبيته من القوة بحيث تمنع أى شخص أن يقدم على مثل هذا العمل الذى يجرى فى سوريا.

وذهبت إلى منزل جمال لألتقى به بعد أن يعود من دار الإذاعة. ولم يكن قد حضر بعد عند وصولى. وطلبت من سامى هناك أن يطلعنى على تطورات الموقف فى سوريا. فذكر أن المشير كان قد اتصل بالرئيس قبل منتصف ليلة الأربعاء ٢٧ سبتمبر بحوالى ساعة وأبلغه أن كل شئ هادئ تماما هناك. ولكن فى الساعة الرابعة من صباح الخميس ٢٨ سبتمبر عاد واتصل بجمال وأبلغه عن وقوع الانقلاب، وطلب منه أن يتصرف حسبما يتراءى له وتقديره للموقف إن لم يتمكن من معاودة الاتصال به ثانية بعد نصف ساعة. وقد ظل الاتصال التليفونى قائما مع عبد الحكيم من مبنى القيادة العسكرية بدمشق إلى أن اقتحم بعض القائمين بالانقلاب الغرفة التى بها الجهاز. وكان سامى قد ذكر أن القوة

التى قامت بهذا الانقلاب تتكون من كتيبة مشاة وكتيبة مدرعات من القوات المرابطة فى معسكر قطنه الذى يقع غرب دمشق وعلى بعد حوالى ٤٠ كيلو مترا منها . ولم يكن الموقف واضحا وليس هناك أية معلومات عن موقف باقى وحدات الجيش السورى . وطلبت منه إعداد بعض الأفراد للذهاب إلى بيروت فى أسرع وقت والتسلل منها إلى سوريا لتوافينا من هناك بالمعلومات الضرورية حتى لا نعمل فى الظلام .

وقام هو بالاتصال بعبد المجيد فريد مدير مكتب جمال للشئون الإدارية وطلب منه الاستعداد لهذه المأمورية مع توفير أجهزة لاسلكية خفيفة يمكن للشخص حملها . وعلى أن تتخذ إجراءات سفر من سيوفدون فى هذه المأمورية للسفر على الطائرة التى كانت ستغادر القاهرة فى الساعة الثانية من بعد ظهر نفس اليوم إلى بيروت .

أوامر بالاستعداد :

وأبلغنى سامى كذلك أن جمال قد أصدر أوامره باعداد أفراد الصاعقة والمظليين وكذا القوات الجوية ، وعلى أن تكون جاهزة للتحرك عندما تصدر إليها الأوامر بذلك . مع إعداد ثلاثة مدمرات بحرية أيضا .

وكان جمال قد توجه إلى مبنى القيادة العسكرية بعد أن غادر دار الإذاعة ولم يعد إلى منزله كما كان منتظرا . وقد رافقه كل من كمال الدين حسين وزكريا وحسين الشافعى . وتوجهت مع حسن ابراهيم ـ الذى وصل إلى منزل جمال ـ إلى مبنى القيادة للاجتماع بهم . ثم حضر أنور السادات بعد قليل من وصولنا . ثم علمنا أن الوزراء السوريون الموجودون بالقاهرة مجتمعين سويا فى فندق شبرد ، فطلب منهم الحضور إلى مبنى القيادة .

وفى أثناء هذه الفترة ـ فترة الصباح ـ حضر إلى مبنى القيادة الفريق على عامر رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ومحمد صدقى محمود قائد القوات الجوية وبعض ضباط آخرين من الجيش . وتكلم إليهم جمال وطلب منهم إعداد أنفسهم لإرسال أفراد من الصاعقة والمظليين إلى سوريا . وعلى أن يتم إنزالهم فى مطار الدمير . وأن تكون هذه العملية عملية إنزال لهم من الجو . وطلب منهم

عدم القيام بتنفيذها إلا بأمر منه شخصيا . ولما كان مطار الدمير قريب من دمشق وبه قوات جوية سورية ، وإنزال أية قوة به من الجو لا تحمل معها إلا الأسلحة الخفيفة أمر له خطورته لأنه من السهل القضاء على تلك القوة التى سيتم إنزالها فيه ، خاصة وأن قوات الانقلاب كانت لها السيطرة الكاملة على ذلك المطار بالإضافة إلى وجود قوات لها أيضا فى دمشق القريبة من المطار نفسه ـ لذا اقترح على جمال إنزال تلك القوة التى أمر بها فى مطار اللاذقية بدلا من مطار الدمير لخلوه من أية قوات سورية . وكذا لتعمل تلك القوة على تأمين ذلك المطار مع تأمين ميناء اللاذقية البحرى أيضا حتى يمكن لنا استخدامه فى إنزال قوات مصرية به ترسل من مصر إلى هناك عن طريق البحر . ولم يعترض جمال على الاقتراح ووافق على بحث إمكانية إتمام عملية الدمير أو اللاذقية . كما أصدر تعليماته أيضا بإعداد الثلاث مدمرات للتحرك عندما يأمر بذلك . وقيل له أن سليمان عزت قائد القوات البحرية فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة . وأنه قد سبق وأفاد بأنه يمكنه تحريك هذه المدمرات ابتداء من الساعة الثامنة من مساء نفس اليوم .

وحضر بعد ذلك الوزراء السوريون وأبلغوا بتطورات الموقف ـ وتساءلوا عن أسماء الضباط الذين قادوا الانقلاب . فذكروا لهم وهم العميد عبد الغنى دهمان والعميد موفق عصافه والمقدم هشام عبده ربه والمقدم عبد الكريم النحلاوى المعين مديرا لمكتب عبد الحكيم وكاتم أسرار الحربية أيضا ـ وكذا المقدم حيدر الكزبرى والمقدم منيب هندى . وأخذ بعض الوزراء منهم يذكرون لنا معلوماتهم عن شخصيات قادة الانقلاب . ودار الحديث بيننا عن تطورات الموقف هناك وما ينتظر من نتائج .

وكان جمال قد تحمس لفكرة ارسال قوات عسكرية بحرا إلى ميناء اللاذقية بعد تأمينه ثم سفره شخصيا إلى هناك . وأن ذلك إن تم فقد يتغير الموقف تماما لصالحنا .

وقد انتقل جمال إلى الغرفة التى بها جهاز اللاسلكى عندما أُخبر أن عبد الحكيم يود التحدث اليه . وغاب لفترة وجيزة ثم عاد إلينا . وأبلغنا أن عبد الحكيم ذكر له عند بدأ الحديث معه عن أن قادة الانقلاب موجودين بجواره

وهو يتحدث إليه - وأنه يتفاوض معهم ، وهم لهم بعض الطلبات ، وهو سيحاول التفاهم معهم حولها - وأنهم عاقلون .

وذكر جمال أنه أراد أن يؤثر على معنوياتهم - على حد قوله - ولذلك رد عليه بقوله أنه من جهة المبدأ لا يقبل التفاوض معهم ، وأنه يعد نفسه ويتخذ الترتيبات للسفر بشخصه إلى سوريا . كما ذكر لنا أن قادة الانقلاب طلبوا من عبد الحكيم ترحيل كبار الضباط المصريين الموجودين هناك فى قيادة الجيش الأول السورى إلى القاهرة - وهم اللواء أنور القاضى رئيس هيئة أركان حرب الجيش الأول ، وأحمد علوى مساعده وأحمد زكى ، والأسطنبولى وهو من ضباط المخابرات ، وأن عبد الحكيم وافقهم على هذا المطلب منهم . وقد استقل هؤلاء الضباط الطائرة فى الساعة الثامنة والنصف صباحا ومن المنتظر وصولهم إلى القاهرة حوالى الساعة الحادية عشر قبل الظهر . واعتقد أن عبد الحكيم قد وافقهم على هذا المطلب منهم على أمل أن يساعد ذلك على حل الموقف ، ولكنه نسى أن استجابته لهم يشجعهم على التقدم بمطالب أخرى ، ويشعرهم بضعف مركزه وقوة موقفهم . وكان من الأفضل له أن يتركهم يرحلونهم إلى القاهرة بالقوة دون الخضوع لهم .

وبعد فترة حضر أنور القاضى وزملائه ، وانتقل بهم جمال إلى غرفة أخرى ، وظللنا نحن فى مكتب عبد الحكيم نستمع إلى ما يذاع من محطة إذاعة دمشق وحلب .

تأمين مطار اللاذقية :

وكان واضحا ميوعة الموقف فى دمشق . أما فى حلب فالموقف بها كان مناهضا للانقلاب ، وإذاعتها تعبر عن هذا الاتجاه . وحاولنا الاتصال بأحد من المسئولين العسكريين بمدينة اللاذقية للتعرف منه على الموقف بها . وأمكن الاتصال بقائد القوات البحرية هناك واسمه زيتونه . وعلما منه أن الحالة مستقرة بالمدينة ، وليس هناك ما يقلق إلا موقف اللواء العاشر بها لاشتراك قائده مع باقى قادة الانقلاب . وطُلب من زيتونه أن يعمل على تأمين مطار اللاذقية ثم إبلاغنا . وبعد فترة أفاد أن المطار قد أصبح مؤمنا مما شجع على السير فى تنفيذ العمليات التى سبق وأمر بها جمال .

ثم حضر جمال إلينا بعد أن اجتمع باللواء القاضى وزملائه . وعلمنا منه أن عبد الحكيم اتصل به أثناء اجتماعه بهم وأبلغه أن قادة الانقلاب قاموا بترحيل الوزراء العسكريين من السوريين أيضا إلى القاهرة ، وأنهم فى طريقهم إلينا . وهؤلاء الوزراء هم أكرم ديرى وطعمة العودة الله وأحمد الحنيدى . وأن أكرم ديرى قد أصيب فى ساقه بطلقة نارية أثناء مشاحنة جرت بينه وبين أحد قادة الانقلاب ـ والإصابة سطحية .

وأدهشنا هذا التصرف منهم لعدم وضوح الغرض منه ـ واعتقدنا أنهم ربما يرغبون فى إبعادهم حتى لا تتواجد فى سوريا قيادات مضادة لهم ورأوا أنه من الأفضل لهم ترحيلهم عن استمرار بقائهم هناك حتى ولو فى السجن . ولأن بقاءهم فى سوريا ربما يشجع ويعطى أملا ودافعا للآخرين فى مناهضة الانقلاب والتصدى له إن كان هناك مناهضون .

البيان رقم ٩ :

وكانت دهشتنا أكبر عندما فوجئنا حوالى الساعة الواحدة من بعد ظهر نفس اليوم ـ ٢٨ سبتمبر ـ بإذاعة بيان من قادة الانقلاب ـ وقد أطلق عليه بيان رقم ٩ ـ وما ورد فيه كان هو سبب هذه الدهشة . فقد جاء به « أنه قد عرضت قضايا الجيش وأهدافه على المشير عبد الحكيم عامر الذى تفهم أمور الجيش على حقيقتها واتخذ الإجراءات المناسبة لحلها . وقد عادت الأمور العسكرية إلى مجراها الطبيعى » .

وما جاء بهذا البيان كان يختلف اختلافا كليا عن ذلك الذى ذكر فى بيانهم رقم ٢ والذى يوضح حقيقة نواياهم . واعتقدنا أنهم يهدفون بإعلان هذا البيان إلى كسب الوقت وخداع قوى أخرى يعلمون أنها تناهضهم وتنوى التحرك لمقاومتهم . وهم يودون أفهامهم أن الأمور قد استتبت وعادت إلى مجراها الطبيعى حتى تتاح لهم فرصة تدعيم مركزهم .

واعتقدنا أيضا أنهم ربما قد أحسوا بضعف مركزهم ورغبوا لذلك فى الانسحاب مع الاحتفاظ بماء الوجه . وأنهم تساوموا مع عبد الحكيم على أساس هذا التقدير منهم . ولكن جاء التساؤل ـ كيف يمكنهم الاطمئنان على سلامتهم

بعد هذا الذى حدث منهم وهم يعلمون أن من يقدم على مثل هذا العمل الذى قاموا به لابد له من السير فيه حتى نهايته فإما نجاح أو موت أو هروب وليس هناك من طريق آخر. واعتقدنا أن اطمئنانهم ربما نتج عن وعد من عبد الحكيم إليهم يضمن لهم فيه أمنهم وسلامتهم.

وأصبح الأمر غير واضح لنا بعد إعلانهم هذا البيان رقم ٩ - هل هو كما جال فى فكرنا محاولة منهم للانسحاب مع الاحتفاظ بماء الوجه أو هو لكسب الوقت وخداع قوات أخرى مناهضة لهم. وكان الموقف على أساس تلك الصورة يستدعى منا ضرورة التحرك السريع فى إرسال قوات الصاعقة والمظليين وإسقاطهم فى مطار اللاذقية للعمل على تأمينه وتأمين الميناء البحرى بالمدينة كذلك. وعلى أن يتم تنفيذ ذلك قبل أن ترسل الطائرات الحربية من مصر إلى المطار هناك لتقوم بتغطية وحماية قواتنا العسكرية التى ستنقل عن طريق البحر إلى اللاذقية. وكان الهدف أساسا من إرسال قوات عسكرية مصرية إلى سوريا هو معنوى ونفسانى وليس بغرض الدخول فى معركة عسكرية مع القوات السورية إلا إذا اضطررنا إلى ذلك. وكان الاعتقاد أن وصول قواتنا إلى اللاذقية ثم التقدم منها نحو حلب ثم دمشق سيشجع كل الوحدات السورية المناهضة للانقلاب والمترددة منها أيضا إلى التحرك والتصدى للانفصاليين. وأن الشعب السورى مع وجود تلك القوة المصرية سيشعر بالطمأنينة وربما هذا يدفعه أيضا إلى التحرك.

ولقد رؤى العمل على الاتصال بعبد الحكيم لنستوضح منه حقيقة هذا البيان وما جاء فيه. ولما اتصل به جمال علم منه أن ما جاء بالبيان غير صحيح. وأن قادة الانقلاب كانوا قد طلبوا منه أن يلقى بيانا بهذا المعنى الذى ذكر فى بيانهم، ولما رفض ذلك اقترحوا أن يقوم بإلقائه مساعدة هناك اللواء فيصل - وهو ضابط سورى - ولكنه امتنع هو الآخر عن القيام بهذا الدور.

أوامر بالتحرك:

وبعد هذا الذى ذكره عبد الحكيم اعتقدنا أن موقف قادة الانقلاب لابد وأن يكون ضعيفا. وتحت تأثير هذا الاعتقاد تقرر العمل بسرعة. فاجتمع جمال بقادة

الجيش وأصدر أوامره إليهم بتحريك قوات المظليين والصاعقة على أن يتم إسقاطهم عند الغروب فى منطقة مطار اللاذقية . وأن تتحرك الثلاث مدمرات فى الساعة الثامنة مساء لتصل إلى ميناء اللاذقية فى اليوم التالى ٢٩ سبتمبر الساعة الرابعة بعد الظهر . كما تم اتخاذ إجراء إرسال لواءين مشاة بأسلحتهم والأسلحة الأخرى المساعدة وكذا لواء مدرع عن طريق البحر . وأن يجرى الاستيلاء على جميع بواخر النقل العربية لاستخدامها فى نقلهم . وعلى أن يبدأ إبحار تلك القوة فى مساء اليوم الثانى حتى يتم وصولها إلى اللاذقية بعد ٢٨ ساعة من بدء إبحارها .

ولكننا فوجئنا حوالى الساعة السادسة من بعد الظهر بخبر أذيع من إذاعة دمشق عن سفر عبد الحكيم إلى القاهرة بالطائرة . وأنه قد غادر دمشق فعلا فى الساعة الخامسة والثلث مساء . وقدرنا أن الموقف هناك بعد سفره لابد سيتدهور بسرعة لصالح الانفصاليين . وأن سفره سيكون له تأثيره المعنوى السىء على أية قوات أو هيئات كانت تنوى التحرك والتصدى للانقلاب . وأن المترددين سيسارعون فى إعلان تأييدهم وربما انضمامهم للإنفصاليين لشعورهم أن الأمر قد انتهى لصالحهم مما اضطر عبد الحكيم إلى مغادرة سوريا . وتلك هى العادة دائما فى مثل هذه الأمور وتحت مثل هذه الظروف لأن الغالبية العظمى تنظر إلى مصالحها وهى مرتبطة بمن فى يده الأمر . وهى تقف إلى جانبه بهدف حماية تلك المصالح أو بغرض الاستغلال .

وقام جمال فى حوالى الساعة السابعة مساء بإلقاء بيان ثان من منزله فى منشية البكرى . وكان يهدف منه أن يوضح أن ما جاء بالبيان رقم ٩ غير صحيح . كما وأنه أيضا لا يقبل المساومة . وهو مصر فى القضاء على الانقلاب . وكان يأمل أن يكون لهذا الذى أعلنه أثره المعنوى على قادة الانقلاب وعلى المناهضين لهم بتشجيعهم فى الثبات على موقفهم .

عودة عبد الحكيم :

ووصل عبد الحكيم إلى مطار ألماظة الحربى حوالى الساعة الثامنة والربع مساء وتوجه منه مباشرة إلى منزل جمال حيث كنا متواجدين .

وفى حوالى الساعة العاشرة مساء أذاعت محطة حلب انضمام أفراد مركز التدريب بالمدينة وكذا كتيبة من المدرعات إلى الانقلاب . كما أصبحت محطة الإذاعة نفسها أيضا تحت إشراف الانفصاليين . وأعلن منها انضمام وتأييد أعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد القومى بحلب إلى الانفصاليين كذلك .

وكان موقف مدينة حلب وإذاعتها قبل السيطرة عليها عاملا مشجعا للمناهضين للانقلاب ولنا كذلك . وقدرنا أن العدوى بعد هذا الموقف فى حلب لابد ستسرى بسرعة بين المترددين والانتهازيين وسيعلنون تأييدهم للانقلاب . وأن ذلك بالطبيعة سيؤثر على معنويات المناهضين للانقلاب إن كان هناك مناهضون وخشينا أن يسوء الموقف أيضا فى اللاذقية ـ وحدث ما توقعناه . فقد توقفت عن الرد علينا محطة الإرسال هناك والتى كنا نقوم عن طريقها بالاتصال بالضابط زيتونه .

ثم أعلنت اللاذقية هى الأخرى تأييدها للانقلاب عند منتصف الليل تقريبا .

وفى أثناء هذا التدهور السريع للموقف كانت قوات الصاعقة والمظليين فى طريقها إلى اللاذقية . وقد بدأ تحركها الساعة الثامنة والنصف مساء متأخرة عن موعد قيامها المحدد بأكثر من أربع ساعات . كما أن قطع الأسطول البحرى الثلاث كانت قد تحركت هى الأخرى . وكان الموقف الذى بنى على أساسه تحريك هذه القوات قد تغير تماما . واستمرار تنفيذ خطتنا بعد أن تغير إلى تلك الصورة كان يتطلب منا ضرورة استخدام القوة العسكرية فى تأمين إنزال قواتنا هناك حيث أنه من المتوقع أن تتصدى لهذا الإنزال القوات العسكرية المؤيدة للانقلاب وفى إمكانها إعاقته ومهاجمة قواتنا بالمدفعية والطائرات . ولم يكن فى مقدورنا حماية قواتنا من هذا الهجوم لعدم توافر طائرات لدينا بعيدة المدى حتى يمكن لنا تغطية هذا الإنزال . وهذا الصدام العسكرى بيننا ستكون نتائجه فى الغالب لصالح القوات السورية . وربما تصاب قواتنا بخسائر جسيمة ودون أن تحقق الغرض الذى من أجله قد أرسلت . والأمر سينتهى بهزيمة عسكرية لنا سيكون لها صداها الواسع فى العالم العربى وفى الخارج أيضا .

إيقاف العملية :

ولما رأى جمال ذلك أصدر قراره بإيقاف تلك العملية التى كان قد بدأ فى تنفيذها . وعندما أصدر ذلك الأمر كان الفوج الأول من الطائرات قد وصل إلى اللاذقية وقام باسقاط ما يحمله من جنود المظليين والصاعقة .

وكان عددهم ثمانية ضباط ومائة وعشرون جنديا . أما باقى الأفواج من الطائرات فقد عادت ثانية قبل أن تستكمل المهمة التى كانت قد أوفدت من أجلها بعد أن صدرت إليهم الأوامر بإلغائها . كما عادت قطع الأسطول أيضا تنفيذا للأوامر الجديدة .

وقد تمكنا من الاتصال لاسلكيا بالقوة التى تم إسقاطها . وطلب من قائدها تسليم أنفسهم لقائد القوة البحرية فى اللاذقية والمسمى زيتونه ، وعلى أن يتجنبوا أيضا الاشتباك مع أية قوة إلا عند الضرورة القصوى وللدفاع عن النفس فقط .

وكانت الساعة قد قربت من الواحدة صباحا من يوم ٢٩ سبتمبر عندما تم إصدار تلك الأوامر الجديدة وبدأ فى تنفيذها .

واجتمعنا بعد ذلك بالوزراء السوريين . وشرح لهم جمال الموقف وما اتخذ من قرارات . وأحسوا أن الأمر قد انتهى . وكان وقعه عليهم كوقع الصاعقة . وحاول البعض منهم إقناع جمال أن الأمر يستحق المجازفة حتى لو وقع الصدام والاشتباك العسكرى . ولكن جمال ظل مصرا على موقفه بحجة أن الأمر فى هذه الحالة سيصبح وكأنه غزوا عسكريا وهو ما لا يرضى به . ولما زاد إصرارهم ، وضغطهم عليه صرح لهم بحقيقة الموقف العسكرى والصعوبة فى إنزال قواتنا فى اللاذقية دون توفير الحماية الجوية اللازمة لها . وأن العمليات العسكرية فى هذه الحالة غير مضمونة النجاح . وقال فى حديثه إليهم « لو حدث وأغرقت لنا باخرتين مثلا ، وخسرنا المعركة فسننزل إلى الحضيض ونصبح دولة كدولة اليمن » .

وأخذ كل من الوزراء السوريين بعد ذلك يشرح الأسباب التى أدت إلى تدهور الحالة داخل سوريا والتى تسبب عنها استياء الشعب هناك . وكانت أغلب تلك الأسباب تدور حول أعمال المخابرات ومباحث البوليس بها . وكذا القرارات الاشتراكية التى كانت قد صدرت فى يوليو ١٩٦١ . كما أن وجود الحكومة بالقاهرة جعل سوريا تفقد شخصيتها .

ولما قاربت الساعة الثانية والنصف صباحا غادرنا منزل جمال وكأننا فى حلم ، وما حدث ليس بحقيقة ، والأمر قد انتهى فى ساعات قليلة . وتذكرت حماس الشعب السورى وإيمانه بالوحدة . وكيف استقبل جمال عندما زرنا دمشق فى أول مرة عام ١٩٥٨ بعد الاستفتاء على الوحدة ورئاسة جمال للجمهورية . وكيف كان يستقبله بالهتاف والتصفيق والرقص طوال تلك السنوات الثلاث .

وقد مر كل ذلك فى ذهنى وكأنه شريط سينمائى ولكنه لم يستغرق إلا لحظات . وأحسست أن ما حدث كأنه كابوس ثقيل . وأن أملنا فى وحدة عربية شاملة قد انهار فجأة ، وفى ساعات محدودة . وما حدث سيكون له تأثيره وعاملا مؤخرا دائما لإتمام هذه الوحدة التى هى أمل كل عربى مؤمن بوطنه وبعروبته .

اخطاء :

ولا شك أن هناك أخطاء تسبب عنها تدهور فى قوة الوحدة وكان يمكن تداركها وعلاجها خاصة تصرفات السراج فى سوريا والطرق البوليسية التى كان يتبعها وتذمر الشعب السورى منها حتى أطلق عليه اسم السلطان عبد الحميد .

وكان جمال يعلم ما يفعله السراج وضيق الشعب السورى وشكواه من هذه الأفعال . ولكن جمال كانت له طريقته الخاصة فى معالجة مثل هذه الأمور . وكان يعتقد أنه بالصبر ومع الوقت يمكن حلها ـ هكذا كان يردد دائما عندما تواجهه بعض المشاكل . ولكن هناك بعض الأمور إن لم تعالج فورا فغالبا ما يترتب عنها أضرار بالغة .

وكان هناك أيضا خطأ آخر جسيم ساهم فيما حدث فى سوريا وهو طريقة إدارة دفة الجيش وأموره . وعبد الحكيم كان عادة يترك الأمور لمساعديه . وهم كانوا

يتخذون ما يرون من قرارات . وأغلب مساعديه قل أن يحسنوا التصرف . وقد أدى تصرف البعض منهم فى سوريا إلى جرح كرامة وكبرياء كثير من الضباط السوريين . وكثيرا ما كنا نسمع قصصا تؤكد هذا المعنى وكانت تبلغ إلى جمال .

وقصة عبد الكريم النحلاوى مدير مكتب عبد الحكيم وكاتم أسرار الجيش فى سوريا وهو أحد قادة الانقلاب إن لم يكن أهمهم تؤكد هذا المعنى الذى سبق . فقد عمد إلى إجراء حركة تنقلات بين ضباط الجيش السورى ووحداته تم له فيها نقل أغلب الضباط المتفقون على القيام بالانقلاب إلى قيادة الوحدات الهامة فى المناطق المختلفة وذلك حتى يضمن نجاح الانقلاب . كما أوفد أيضا الضباط السوريون المؤمنون بالوحدة إلى بعثات بالخارج زيادة منه فى الحيطة .

وقد تم له كل هذا دون أن يشك فى نياته عبد الحكيم أو أحد من معاونيه . بل أن مؤامرة الانقلاب نفسها كان قد سبق وعلم بأمرها وذلك قبل حدوثها بثلاثة شهور . وذكر أثناءها أسماء ثلاثة من قادتها وكان النحلاوى نفسه أحدهم . ولكن عبد الحكيم استبعد الأمر لثقته فى النحلاوى ولم يحاول التأكد من صحة هذه المعلومات أو يجرى تحقيقا فيها . وقد أثير معه هذا الموقف منه بعد عودته مباشرة من سوريا بعد الانقلاب فى منزل جمال . فذكر أن النحلاوى غبى وقد استغل فى هذه العملية .

وليس بخاف أيضا ما كان يذكر عن مدير مكتبه فى مصر البكباشى شمس بدران . والطريقة التى كان يتعامل بها مع الضباط من ذوى الرتب الكبيرة إلى أن أصبح هذا موضع تعليق دائم ليس بين الضباط فقط بل وبين المدنيين كذلك . ولم يحاول عبد الحكيم إبعاده عن منصبه أو حتى إيقافه عند حده رغم ضيق الضباط من هذه الأفعال إلى درجة أثارت حفيظتهم منه .

وأنه لمن الغريب أن يعلم جمال كل هذا كما كان يعرف أخطاء السراج ولم يحاول معالجة تلك الموضوعات ووضع حد لها رغم استمرارها وتكرارها .

أسلوب جمال فى الحكم :

ولا يفوتنى كذلك أن أذكر أن من ضمن الأسباب التى أوصلت الحال إلى ما وصل إليه هو أسلوب جمال فى الحكم . فالشعب لم يكن له دور إيجابى فى

السياسة التى ترسم له . وكان هذا الوضع له خطورته فى سوريا ومصر على السواء . ولم يكن هناك تنظيم سياسى اللهم إلا تنظيم الاتحاد القومى . وهو نفسه كان تنظيما فاشلا ولا يشارك فى وضع السياسة العامة للبلاد . وحتى قراراته نفسها أن اتخذ قرارا لم يكن ملزما لأحد . ومجلس الأمة سلطة الرقابة الشعبية على أجهزة الدولة كان قد أصبح أضحوكة الجميع . ولم يكن يباشر صلاحياته بل وصوته لم يكن مسموعا على الإطلاق - والصحافة لم تكن تقوم بدورها الطبيعى فى إبداء الرأى الحر ومناقشة ما كان يجرى من أخطاء وإنما اقتصر دورها فى الغالب على التمجيد والتهليل للحاكم . وأصبح السباق بين الكتاب فيها على التقرب إليه عن طريق الزلفى والنفاق . وكانت هناك محاباه زائدة لضباط الجيش الذين تركوا خدمته . فقد أصبح لهم الأولوية الأولى فى شغل المناصب الرئيسية فى الشركات أو التعيين فى سفارتنا بالخارج . والشعب كان ينظر إلى ما يجرى من حوله ولا يملك من أمره شيئا إلا أن يعلق على ما يجرى كعادته بنكاته وقفشاته لينفس بها عن نفسه وعما يعتمل فى صدره من آلام وحسرة ، ومتخذا لنفسه موقفا سلبيا من تلك المجريات حتى أصبح فى جانب والحاكم فى جانب آخر وبعيدا عنه .

تلك كانت هى حقيقة الوضع وليس ما كنا نقرأه فى الصحافة أو نسمعه فى الإذاعة من أغان كلها مدح وثناء وتمجيد فى حكمة الحاكم وقدرته وعدالته . ولم تكن أيضا ما كنا نلمسه فى الاجتماعات الشعبية وما يردده الآلاف من جماهير الشعب التى جمعت لأداء الدور المطلوب منها . وكان كل ما يجرى من صور حولنا لا تمثل الواقع الأليم إنما تمثل نفاقا للحاكم وخداعا للشعب ذاته .

هذا ما كان قد جال بخاطرى بعد أن عدت إلى منزلى صباح ٢٩ سبتمبر بعد أن عشت صدمة الانفصال المفاجئة والسريعة ، فسطرته فى يومياتى ولم يكن إلا تعبيرا عما فى نفسى وربما ضيق من الحال الذى كنا قد وصلنا إليه .

ثم جاء يوم الجمعة ٢٩ سبتمبر . وقام جمال بإلقاء خطاب من ميدان الجمهورية . وذكر فيه كيف تمت الوحدة والصعوبات التى واجهتنا فى سوريا بعد قيامها . وحمل على الانقلاب والقائمين عليه ذاكرا أنه قد تم بالغدر والخيانة .

وأن الرجعية وأعوان الاستعمار وراء هذا الانقلاب . وقص على السامعين ما كان قد تم من إرسال قوات بحرية وجوية من مصر إلى اللاذقية ولكنه عاد وأصدر أوامره بعودتها ثانية بعد أن كانت قد تحركت فعلا ، وبرر هذا التصرف منه بأنه لم يرغب فى أن يقاتل العربى أخيه العربى . وأشار فى كلمته أيضا إلى المكاسب التى حققها الشعب السورى من قيام الوحدة مع مصر وطالبه بالمحافظة عليها .

واتصل بى جمال تليفونيا يوم السبت ٣٠ سبتمبر وطلب منى مقابلته فى اليوم التالى للتحدث فى الموقف وعن المستقبل أيضا ومبديا شكوكه وتخوفه من أن ما حدث فى سوريا ربما يشجع بعض ضباط من الجيش فى مصر على القيام بمثل ما قام به الجيش السورى . ولما أيدته فى هذه الشكوك ذكر أنه اجتمع مع عبد الحكيم ووضعا خطة أمن تفاديا للمفاجأة .

وعندما التقيت به يوم الأحد أول أكتوبر دار الحديث حول الوضع فى سوريا ، وموقف الجيش فى مصر ، وكذا موقف عبد الحكيم من تلك الأحداث الأخيرة . وحضر كمال الدين حسين الجزء الأخير من حديثنا ولم يكن على موعد مع جمال .

توتر فى سوريا :

وقد دار الحديث فى البداية حول ما كان يجرى فى سوريا بعد اعلان الانفصال ، واضطرار الحكومة بها إلى اغلاق جامعتى دمشق وحلب إزاء تلك المظاهرات التى يقوم بها الطلبة ضد الحركة الانفصالية . واستنتجنا من تكرار البيانات التى كانت تعلنها قيادة الانقلاب وتؤكد فيها للعمال استمرار احتفاظهم بالمكاسب التى حققت لهم أثناء الوحدة أن هناك اضطراب بين صفوف العمال أيضا . وكانت قد التقطت كذلك إشارة لاسلكية من قائد القوات السورية بحلب إلى قائد قوات دمشق يطلب منه فيها إرسال قوات مساعدة إليه حتى يتمكن من مقاومة ضغط المتظاهرين هناك بحلب ، ووصف الحالة على أنها خطيرة . وكانت قد وصلت معلومات تفيد أن الشرطة العسكرية قد انضمت هى أيضا إلى المتظاهرين .

وقد أعطت هذه المعلومات مؤشرا على أن الحالة فى سوريا غير مستقرة . وأن

الزمام هناك ربما يفلت فى أية لحظة من سيطرة قادة الانقلاب عليها . ورؤى أنه من المستحسن أن نعد أنفسنا لمواجهة هذا الموقف إذا ما تدهورت الحالة فى حلب . وأنه يمكن مع تلك الظروف إرسال قوات من الصاعقة والمظليين إلى هناك لتشد أزر المناهضين للانقلاب . وقام جمال واتصل بعبد الحكيم تليفونيا وطلب منه إعداد القوة اللازمة للتحرك فورا عند إصدار الأوامر لها .

ألم يحز فى نفس جمال :

ثم تطرق الحديث بيننا بعد ذلك عن الموقف فى الجيش المصرى . وذكر لى جمال مضمون خطة الأمن التى تم وضعها بالاتفاق مع عبد الحكيم . ورأيت أن أخبره بما كنت قد سمعته عن شمس بدران وتصرفاته داخل الجيش الأمر الذى أثار حفيظة كثير من الضباط ، وأصبحت حديث المدنيين كذلك . ولكنه رد بقوله أنه يعلم كل شئ وأنه قد طلب منى مقابلته لنتكلم على حد تعبيره - فى كل هذا . وذاكرا أن هناك أخطاء وأنه عندما فكر شعر أنه المسئول الأول عنها ، وأننا مسئولون كذلك . وأنه قد فكر فى أن يتنحى عن الرئاسة وأن يتولاها واحد منا ولكنه رأى أن هذا سيعتبر تخليا منه عن المسئولية وهو لا يرضى لنفسه هذه الصورة . وقال « أنا طبعا جرحت جرحا داميا نتيجة هذه العملية ، ولو أننى لا أظهر هذا الألم الذى يحز فى نفسى » . واستطرد قائلا « أنا سأتكلم كأنى أفكر بصوت عال » .

وبدأ بقوله « أنا عارف كل الأخطاء ولكنى لم أعالجها كما يجب - والسبب هو الحساسية » .

استقالة عبد الحكيم :

وسألنى « هل تعرف أن عبد الحكيم كان قد تقدم باستقالته فى يوليو الماضى » . ولما أجبته بالنفى شرح لى أسباب تقديمه لتلك الاستقالة . وذاكرا أنها كانت ناتجة عن الحساسية ، وأن تلك الحساسية عند عبد الحكيم قد بدأت وزادت بعد معركة السويس عام ١٩٥٦ . وذكر أن السبب الذى جعله يقدم على تلك الاستقالة ذلك الحديث الذى كان قد دار فى قصر الطاهرة يوم أن أقيم العشاء لمكاريوس أثناء زيارته للقاهرة .

والحـديث فى هذا اليوم كان يدور حـول الحملة الإعلامية التى كنا قد بدأناها ضد الاتحاد السوفيتى لموقف وسائل إعلامه من موضوع فرج الله الحلو ومهاجمتها لنا . وكان عبد الحكيم قد ذكر أثناء ذلك الحديث أننا فى حاجة إليهـم . وعلى أثر هذا القول منه تساءل جمال عما إذا كان جيشـنا مستعد وقادر على محـاربة إسرائيل وهزيمتهـا . وقد أجـاب عبد الحكيم أن هذا يتوقف على عوامل مختلفـة . ويذكر جمال أن ذلك الحـديث كان أحـد الأسباب التى دفعـت عبد الحكيم إلى تقديم استقالته بالإضافة إلى حديث آخر كان قد تضايق منه أيضا وذلك يوم أن أقام جمال عشاء لسيكوتورى فى منزله ، وكنت قد أثرت فى أثناء انتظارنا لحضور الضيف مشروع محطة كهرباء جنوب القاهرة والتوسع بها . والعـرض المقـدم من الاتحاد السوفيتى ومدة تنفيذه ـ وكانت أربع سـنوات . وقارنت بين هذا العـرض والعـرض المقـدم من ألمانيا الغــربية ـ وكان أرخص فى التكاليف ومدة التنفيذ ثلاثين شهرا فقط . وكنا فى شدة الحاجة إلى القوى الكهربائية لمقابلة احتياجات المشروعات الصناعية . والمدة المقـترحة من الاتحـاد السـوفيتى لتنفيذ المشروع لم تكن تحقـق توفير تلك الاحتياجـات فى الوقت المناســب . وقد طلبت يوم ذلك العشاء رأى جمال لأن التوسع فى تلك المحـطة كان عبد الحكيم قد ارتبط عليه مع الاتحاد السوفيتس أثناء زيارته الأخـيرة لموسكو . ومع هذه الظروف التى ذكرتهـا وافق جمال على التحلل من هذا الارتباط . وعلى أن نتفق مع الروس على القيام بتنفيذ مشروع آخر بدلا من هذا المشروع ومقترحا محـطة دمنهـور الكهـربائية . وقد تضايق عبد الحكيم من هذا الذى حدث ـ على حد قول جمال .

ويسـتمر جمال فى حـديثه قائلا « إن عبد الحكيم لم يكن حســاسا هكذا من قبل . ولكن تلك الحسـاسية لازمته بعـد معـركة السـويس . وأنت تعلم أنه أمر بتسلل رجال الصاعقة إلى بورسعيد رغم اعتراضى على هذه العملية لأن المعركة كانت قد انتهت بعد صدور قرار هيئة الأمم بإيقـاف القتال . وأصـبح الموضـوع موضوع سياسة . وكنت أخشى تأخر انسحاب القـوات البريطانية من بورسـعيد نتيجة أعمال رجال الصاعقة هناك . ولكن على العموم موضوع الاستقالة سـوى فى الإسكندرية بعد أن تقابلت مع عبد الحكيم » .

ثم يستطرد ويقول ولكن بعد الذى حصل فى سوريا وتقاعس قيادات الجيش وتأخيرها فى تنفيذ الأوامر ـ وترتب عنه تدهور الموقف ـ فكرت فى أن لابد من عمل شئ ـ ورأيت أن تصبح قائدا للطيران ، وكمال الدين حسين قائدا للمشاة ، وعبد الحكيم يظل قائدا عاما . وأنا عارف أنكما على استعداد لعمل أى شئ يطلب منكما » .

وبعد أن أكدت له المعنى الذى قصده عن استعدادنا لتولى أى عمل يطلب منا اعترضت على الحل الذى يقترحه . وذاكرا أنه حل غير عملى وسيترتب عنه خلافات بيننا ستنتج من قيادات كل منا وعلاقاتها بالقيادات الأخرى ، وتصادم تلك القيادات مع بعضها ستنعكس على كل منا فى علاقتنا ببعضنا وبسببها سيتأزم الموقف بيننا . وسيجد نفسه مواجها مشاكل من هذا النوع كل يوم لو أخذ بما يقترحه . فذكر أنه عندما عرض الأمر على كمال رأى نفس ما رأيت .

عبد الحكيم يطلب تغييره :

وقال أنه تقابل مع عبد الحكيم فى اليوم السابق . وأنه تكلم معه بصراحة تامة . وأن أعصاب عبد الحكيم تعبانه . وأنه بنفسه قد طلب منه العمل على تغييره بشخص آخر ليتولى منصب القائد العام للجيش . وقد برر له عبد الحكيم ذلك بأن مصلحة العمل تستدعى مثل هذه التغييرات من حين لآخر لأن الإنسان غالبا ما يمل العمل إذا استمر فيه لفترة طويلة . وأنه قد مضى عليه عشر سنوات كقائد عام . وهو قد أصبح بعد الذى حدث فى سوريا لا يمكنه الاستمرار فى تحمل نفس المسئولية ـ ولا يمكنه أيضا مواجهة الضباط ولا الجنود . وأنه لم ينم ولم يأكل من يوم ٢٨ سبتمبر أى من يوم وقوع الانقلاب حتى يوم لقائه مع جمال .

وقد طلب عبد الحكيم أيضا من جمال أن يأخذ رأى باقى الزملاء فيما اقترحه عليه . وذكر جمال أنه لهذا السبب قد اتصل بى كما اتصل بكمال الدين حسين فى اليوم السابق .

وكان كمال قد حضر هذا الجزء الأخير من الحديث . وطلب منا جمال أن

نبعد الحساسية والعاطفة وأن ننظر إلى المصلحة العامة . وذكر أنه لا يرغب فى أن يصبح عبد الحكيم هو كبش الفداء لما حدث . كما تكلم عن تعيين عبد الحكيم فى عمل آخر بعيدا عن الجيش ، وأن يحل كمال محله فى تولى منصب القائد العام . ولكن كمال خشى أن يعتبره الجيش مفروضا عليه ، وتوضع لذلك فى طريقه العقبات والمشاكل .

واقترح أن يتولى جمال بنفسه هذه المسئولية ولو لفتلأة بسيطة إلى أن تستقر الأوضاع فى الجيش ثم يحل محله كمال بعد ذلك . ولكن جمال لم يوافق على هذا الاقتراح . وكنت قد أيدت كمال فيما اقترحه ، وأن ذلك سيمهد له الطريق فى الجيش . ولم يذكر لنا جمال أسباب عدم قبوله للاقتراح .

جراج الفاشلين :

وقد ذكر لنا جمال أيضا أنه من ضمن الاقتراحات التى فكر فيها هو إعادة كل من عباس رضوان وتوفيق عبد الفتاح إلى العمل كأركانات حرب فى القيادة العسكرية فى نفس الوضع الذى كانا يشغلانه فى السابق قبل أن يصبحا وزراء . ولكننا استبعدنا هذا الاقتراح لأنه لم يكن عمليا . واقترحت عليه أن يعمل على تغيير القيادات العسكرية ، وأن يكون مديرى مكتب القائد العام من ذوى الرتب العالية فى الجيش ـ من رتبة اللواء ـ حتى لا تتكرر الأخطاء التى حدثت من شمس بدران . ولكنه قال « تتذكر موقف عبد الحكيم من هذه العملية بعد معركة السويس وإصراره على بقائهم ـ وهو عنيد ـ وحتى عندما ضغطت عليه فى وقتها لتغيير صدقى محمود قائد الطيران لفشله أثناء العمليات فى حرب السويس وانتقاد الضباط له ، فقد أصر على تعيينه وزيرا ـ وأنا طبعا رفضت لأن الوزارة ليست بجراج للفاشلين . وهذه المحاولة معه لن تجدى » .

ثم حضر بعد ذلك زكريا ، ولم يكن على موعد مع جمال ، ودار الحديث بيننا بعد حضوره حول الأحداث الجارية فى سوريا ولم نتطرق ثانية إلى الموضوع الذى كنا نتكلم فيه . ثم انصرفنا لأن كمال كان مسافرا إلى طنطا لافتتاح معرض إنتاج بها . واتفق على أن يصحب معه فى هذه الزيارة الأستاذ فريد زين الدين أحد الوزراء السوريين .

وكنت فى يوم الثلاثاء ٣ أكتوبر ١٩٦١ قد رأيت أنه من واجبى بعد تلك الأحداث المؤلمة التى حدثت فى سوريا والتطورات التى كانت تجرى هناك أن أكتب خطابا شخصيا إلى جمال أبين له فيه رأيى فى الطريق الواجب علينا اتخاذه حيال تلك الأحداث ، ومستعرضا فيه أيضا الأخطاء الرئيسية التى كانت من ضمن أسباب ما حدث فى سوريا ، ومؤملا أن نعمل على تلافيها فى المستقبل .

خطاب إلى جمال :

وكتبت إليه الخطاب التالى :

عزيزى جمال

بعد التحية .

أكتب إليك اليوم كصديق ، تربطنا صلة الصداقة والجهاد من أجل الكفاح فى سبيل رفع شأن أمتنا . وقد أردت أن يكون خطابى هذا إليكم خطابا شخصيا وليس بصفتى الرسمية ، وأردت منه أن أعبر عما فى نفسى بوضوح طاردا الحساسية بيننا جانبا ولو إلى حين فى هذه الظروف الصعبة التى تمر بها اليوم أمتنا العربية .

وإيمانى بوطنيتكم وكقائد فيه من الصفات ما يحقق النصر لأمتنا ، ومع احترامى وتقديرى لك ، وإيمانا منى بواجبى كوطنى يحب بلاده ـ كل هذا دفعنى إلى مخاطبتكم بما يجول فى خاطرى .

عزيزى جمال .

مما لا شك فيه أن الحدث الذى وقع فى سوريا يجعل كل وطنى متحمس لوطنه وعروبته من أن يفكر ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة عله يمكنه تحديد الطريق الذى يجب أن تسير عليه أمتنا فى المستقبل وذلك حتى نقلل الخسائر بقدر الإمكان وندفع عجلة التقدم إلى الأمام لنسترد ما فقدناه فى أقل وقت مستطاع ، وحتى يمكن لنا أن نستمر قدما إلى الأمام لتحقيق الأهداف التى آمنا بها ونعمل من أجلها .

ومن أجل تحقيق ذلك يجب علينا أولا أن نفكر فى الأخطاء الحقيقية التى كانت وراء ما وصلنا إليه من نتائج . وأن نكون صرحاء مع أنفسنا وواقعيين

أيضا ـ وتحديدها تحديدا واضحا ينير لنا الطريق ـ طريق الصواب ـ فنعرف إلى أين يجب أن نسير. والابتعاد عن الواقع يدفعنا إلى تكرار نفس الأخطاء وربما يترتب عنها نتائج تباعد بيننا وبين تحقيق أهدافنا.

وإيمانا منى بالله وبوطنى وواجبى فى مثل هذه الظروف يدفعنى إلى مصارحتكم إرضاء لضميرى وأملا فى النهوض بوطننا العزيز والسير به فى طريق العزة والسيادة والرفاهية تحت قيادتكم، ولعلنا نستفيد من أخطائنا.

وأرى أن أبدأ بتحديد النتائج التى ربما تترتب على ما جرى فى الإقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة.

أولا: أعتقد أنه بمرور الزمن ـ طال أو قصر ـ فالإقليم الشمالى سينفصل عن جمهوريتنا، وتوالى الأحداث هناك تدل على أن هذا الأمر واقع لا محالة، وليس لنا حيلة فيه، إلا أننا ربما نزيد من الشقة بيننا وبينه باستمرارنا فى مهاجمة الأوضاع هناك بما نعتقد أنه يزعزع قواعد النظام فيه ويؤلب الشعب على من يتحكمون فى مصائره اليوم. ولكن هذا الموقف منا سيدفع الحاكم هناك إلى التعصب ضدنا ويجعله يعمل دائما فى البعد عن أى خطاء حتى لا نأخذه عليه ـ وسيتخذ لنفسه طريقا يرضى به الشعب ليدعم مركزه، وآملا فى ان ينحاز إلى جانبه وأن يتعصب معه ضدنا وبذلك تزداد الشقة بينه وبيننا.

ثانيا: إن استمرار مهاجمتنا لما يجرى هناك يدفعهم إلى مهاجمة أسلوب الحكم أثناء الوحدة معهم، والتطاول عليك بألفاظ لا يصح أن نفسح لها المجال لأنها بجانب أنها مؤلمة على النفس فلا تنسى كذلك أنك كنت رئيسا وزعيما وقائدا لهم وتطاولهم عليك يضعف من هيبتكم فى الداخل والخارج زيادة عن شماتة الشامتين.

وعلى ضوء ذلك أعتقد أنه من صالحنا مؤقتا أن نرضى بالأمر الواقع إذا كان هذا الانفصال ناتج عن رغبة الشعب السورى وإرادته ـ ولنتركه هو يحدد لنفسه طريق مستقبله متمنين له التوفيق. وإن وفق كان هذا مدعاة لسرورنا فهم أخوة لنا فى الوطن العربى الكبير. وإن فشلوا فسيترحمون على أيام الوحدة ومتمنيين

عودتها ، وليس من المستبعد المطالبة بها من جديد فتعود أقوى مما كانت وتسير فى طريقها أسرع مما كانت تسير لأننا سنكون قد استفدنا من أخطائنا .

ثالثا : يجب أن نضع فى أذهاننا أن هذه النكسة ستبعد بيننا وبين الوحدة الشاملة والتى كانت أملا لنا بل وستجعل من كان يأمل فيها ومتحمسا لها مترددا اليوم بعد الذى حدث فى سوريا . وسيزداد هذا التردد منهم لو أعطينا الفرصة للنظام القائم فى سوريا من مهاجمة أسلوب الحكم أثناء الوحدة . ولا تنسى أن زعامتكم وقوتكم الداخلية والدولية قد استمدت من النجاح المطرد فى الميادين المختلفة . ورصيدكم منها هو الذى دفع الشعب العربى إلى الإيمان بكم كزعيم للقومية العربية وللوحدة الشاملة . لذا يجب علينا أن نسعى لإحراز النجاح لنعوض تلك الخسائر ، ، وأن نحافظ على الهيبة ونستمر فى المناداة بالقومية العربية والوحدة الشاملة . وأن نقدر العقبات والمسئوليات التى ستقف فى طريقنا ، ولا يجب أن يفت هذا فى عضدنا أمام تلك الأهداف الجسام .

رابعا : يجب أن نستفيد من أخطائنا فهى التى ستنير لنا طريق المستقبل - وعلينا أن نحددها بوضوح .

وفى هذا الخطاب سأحاول من جانبى أن أحدد هذه الأخطاء كما ألمسها .

من المعروف أن الشعوب عادة لا تحكم بالماديات فقط وإنما هناك نواح أخرى معنوية ونفسية وروحانية لها أهميتها ويجب على الحاكم أن يضعها دائما موضع الاعتبار لأنها تقف على نفس مستوى الماديات إن لم تزد .

ولا يمكن لحاكم أن يحكم شعبا بالعمل على تنفيذ عدة مشروعات له تزيد من دخله فقط ، ولكن عليه أن يشركه معه إشراكا فعليا فيما يرسم له ويحدد مستقبله . والحاكم إن لم يشركه فى ذلك يصبح كرب الأسرة الذى يكد ويكدح فى سبيل جمع المال لأسرته دون إشراكها فيما يعمل أو يقرر وهم ربما ينعمون بما جمعه من مال ولكنك تجدهم غير سعداء بما هم فيه وغير متحمسين لما يجرى من حولهم من شئون الأسرة . كما تجدهم أيضا سلبيون أثناء الأزمات التى تواجهها .

ونفس تلك الحالة تنطبق أيضا على الحاكم والمحكومين إن كانوا بعيدين عن المشاركة الفعلية فى تقرير مصيرهم ورسم خطة مستقبلهم .

وإذا نظرنا إلى الوضع القائم فى جمهوريتنا على أساس هذا المبدأ الرئيسى نجد أن الشعب يكن لرئيسه الاحترام والتقدير ويلمس مجهوده ومسعاه ويفخر بما حققه له من انتصارات، ونال منه المهابة والاحترام، ولكن فى نفس الوقت نراه غير متحمس كما يجب أن يكون التحمس لما يجرى فى بلاده. وليس هناك من سبب غير أنه لم يكن له دور إيجابى فيما يجرى. كما أنه أيضا يرى بجانب هذه الانتصارات التى يفخر بها أخطاء وأخطار ،ولكنه لا يرى ولا يسمع أن هناك من يعمل أو يسعى إلى مقاومتها. وعليه يرسب فى ذهنه أن الحاكم غير مستعد لتقبل النقد أو الكشف عن تلك الأخطاء، ويزداد اعتقاده أن أمنه وحريته ومستقبله سيتهدد إن هو أفصح عما يراه من أخطاء. ولذا يختار لنفسه السلبية طريقا متجنبا بها نتائج إيجابيته وما سيصيبه منها على ما يعتقد أو يشاع. ووقوف الشعب موقفا سلبيا مما يجرى حوله يحمل بين طياته خطر وأى خطر. فهو يكبت فى نفسه ويزداد هذا الكبت يوما بعد يوم إلى أن تجئ اللحظة التى ينفجر فيها وينطلق كالمارد من الزجاجة التى ظل حبيسا بها سنوات طوال. أو يأخذ موقف اللامبالاة من الحاكم والتخلى عنه وقت أن يحتاج إليه.

وربما نتساءل ـ وهل الوضع فى جمهوريتنا على هذه الصورة التى ذكرت. والرد أن الشواهد فيها تدفع المواطن على أن يعتقد ذلك لأنه يرى أن وسائله فى المشاركة فى الحكم لا تقوم بدورها كما يجب أن يكون. فمجلس الأمة من المفروض أن يعبر عن رغبات الشعب، وأن يكون له دور فى كل ما يتصل بالسياسة العامة فى البلاد ـ يناقشها ويبدى رأيه فيها ـ وله دور فى مراقبة أعمال السلطة التنفيذية ويكشف ما يقع منها من أخطاء ويحاسب المسئولين عنها. ولكن الشعب يرى أن هذا المجلس لا يقوم بالدور الذى يجب أن يقوم به. والحاكم لا يعطى أهمية لوجوده كممثل للشعب وحلقة الاتصال بينهما. كما وأن الشعب

يرى فى الاتحاد القومى كتنظيم سياسى أنه لم يحقق الغرض الذى من أجله وجد. ولم يقم بأى دور إيجابى من يوم إنشائه حتى اليوم مثله فى ذلك مثل التنظيم السابق له ـ هيئة التحرير.

ويشاهد أيضاً أن الصحافة لا تعبر عن الرأى الحر الصريح البناء وإنما تردد ما تعتقد أنه يرضى القائمين على الأمر فى البلاد .

والشعب يخلص من ذلك أن وسائله فى المشاركة وفى تقرير مصيره ومستقبله ووسائل التعبير عنه قد أصبحت كلها فى نظره سلبية ولا تقوم بدورها كما يجب بل وقد أصبح القائمون على أمرها أنفسهم سلبيون كذلك .

أضف إلى هذا ما يراه الشعب من أن هناك فئة قليلة محظوظة تنال ما تريد وترغب لا لميزة يتميزون بها على غيرهم ولكن ليس إلا لقربهم أو صلتهم بالحاكم أو من هم مقربون منهم ـ الأمر الذى جعل المواطنون يشكون فى مبدأ تكافؤ الفرص الذى هو أحد أسس العدالة الاجتماعية ـ والذى طالما ننادى به . وهذه الفئة القليلة المميزة لن يرضيها ولن يكفيها ما تحصل عليه من ميزات وستظل تطالب بالمزيد وستنقلب حاقدة إن لم يحقق لها أطماعها وأغراضها . أما الباقى من المواطنين فينظرون إلى هذا الأمر بعين عدم الرضى والقبول ويشعرون بالظلم . والمحصلة فى النهاية حقد من الأقلية المميزة وشعور بالظلم من غالبية المواطنين . وأفراد الشعب يرضيهم كل الرضى أن يشعروا أن ليس هناك تمييز بين أبناء الوطن الواحد . وأن الكل سواسية فى المعاملة وفى إتاحة فرص العمل .

ويزيد على ذلك ما يراه أفراد الشعب ويسمعونه عن أخطاء تقع وتتكرر وليس هناك من محاسبة لمرتكبيها وكأن الأمر لا يعنى المسئولين . ومعلوم أن نتائج هذه الأخطاء تقع أساساً فى النهاية على كاهل أفراد الشعب نفسه ويتحمل هو نتائجها .

هذه على ما أعتقد هى الأخطاء الأساسية التى ألمسها ـ وقد أردت أن أضعها بين يديك . وربما أكون مخطئاً فى تقديرى ولكنه على كل حال هناك أخطاء لابد من البحث والتنقيب عنها والعمل على معالجتها لتدارك الأمر .

وإيمانى وشعورى بواجبى يحتمان علىّ أن أنقل إليكم صورة ما ألمسه ، إيماناً منى بقدرتكم على معالجتها ، كما أنى مقدر أيضاً أنكم لابد ستقدرون الدوافع التى دفعتنى إلى الكتابة اليكم ومتمنيا لك دوام التوفيق .

البغدادى

١٩٦١/١٠/٣

وكنت قد أطلعت حسن ابراهيم على هذا الخطاب قبل أن أقوم بإرساله إلى جمال واتفق معى على ما جاء به . ولكنه أبدى تخوفه من أن يسئ جمال فهم قصدى من إرسال هذا الخطاب اليه خاصة فى تلك الظروف وربما يفسر الأمر تفسيراً بعيداً عن القصد الذى قصدته منه . وأن هذا ربما يدفعه إلى التشدد وعدم الأخذ بما جاء فيه رغم محاولتى ابراز حسن نيتى واعتمادى على وطنيته فى تفهم الدوافع وراء إرسال ذلك الخطاب . ورأيت بعد مناقشة الأمر معه تأجيل ارساله إلى وقت آخر أكثر مناسبة .

وفى يوم الأربعاء ٤ أكتوبر رأيت أنه ربما يكون من الأفضل الالتقاء مع جمال والتحدث اليه فى تلك النقاط التى سطرتها فى خطابى والذى كنت قد نويت أن أرسله إليه . وتقابلنا فى المساء فى منزله . وتطرق الحديث بيننا إلى الأحداث الجارية بسوريا . وذكر ما دار بينه وبين الوزراء السوريين عندما التقى بهم فى اليوم السابق . وقد أكدوا له إصرارهم على استمرار ارتباطهم به وكأن الوحدة لا زالت قائمة رغم تصريحه لهم أن كل فرد منهم حر سواء فى العودة إلى سوريا أو البقاء فى مصر مع استمرار من يبقى منهم فى التعاون معنا . ولكنهم اعتذروا له عن الاستمرار فى العمل كوزراء لأن الأمر سيصبح غير منطقى ولا يتمشى مع طبيعة الأمور وطلبوا منه أن يعفيهم من ذلك .

وذكر جمال أنه لما فكر فى مشكلة سوريا اتضح له أن انفصال الأقليم الشمالى قد وقع ـ وأنه إن لم يتم اليوم فسيتم غدا ـ وانهم فى سوريا ينظرون إلى نظرتهم إلى شبح متربص بهم ويتحين الفرصة للانقضاض عليهم ، وأنهم لهذا السبب سيظلون يهاجمونه .

فقلت له ـ لا تنسى أنك كنت رئيسهم واستمرار تطاولهم عليك له تأثيره على هيبتكم هنا بالداخل ـ وهم يحاولون الدفاع عن أنفسهم بهذا التطاول منهم لاستمرارنا فى مهاجمة الأوضاع هناك . وأيضاً سيتوخوا الحرص فى تجنب الوقوع فى خطأ درءاً لهذا الهجوم منا بل وسيدفعهم حرصهم إلى توحيد صفوفهم .

هيكل فى السينما :

قال ـ بالنسبة للناس هنا فروحهم طيبة ـ وهيكل ذهب إلى السينما لمشاهدة

فيلم عن مؤتمر بلجراد للتعرف على رد الفعل عند المشاهدين عندما تظهر صورتى فى المؤتمر . ويقول هيكل أن السينما قد ضجت بالتصفيق عندما ظهرت صورتى ومن أول لحظة ـ وهو كان متخوفا من النتيجة عندما ذهب إليها .

قلت : الناس هنا تشعر وكأنها طعنت من صديق رغم الخدمات والتضحيات ، وهم متأثرون لهذا السبب . وما أسمعه يدل على أنهم أصبحوا غير متحفظين فى أحاديثهم لشعورهم أن أسطورة المخابرات غير صحيحة بعد أن وقع الانقلاب فى سوريا دون علمها .

قال : ربما يكون هذا صحيحاً ، ولكنه فى مجال ضيق ومحدود .

قلت : ألا ترى أنه من المستحسن دعوة مجلس الأمة إلى الانعقاد لمناقشة ما جرى من أمر الوحدة ـ وأخذ قرار بما يتراءى له لأنه هو أول من دعى إلى القيام بهذه الوحدة .

قال : هل تعرف أن أعضاء مجلس الأمة السوريين قد أيدوا الانقلاب ـ وكيف يدعى إلى الاجتماع بهذه الصورة .

قلت : الدعوة لها أهميتها ولو من جهة الشكل . ومن أيد الانقلاب منهم سيتغيب عن الحضور .

قال : أنا على العموم رأيت بعد التفكير أنه من المستحسن أن ألقى بياناً ـ مساء باكر الساعة السابعة . وعلينا أن نجتمع ظهراً قبل إلقائه لمناقشته لأنه موضوع هام .

وذكر لى مضمون البيان الذى يتلخص فى النقاط الآتية :

كيف تمت الوحدة ، وما تم أثناءها من انجازات ، والمكاسب الداخلية والخارجية ـ والمساعدات المالية من مصر لسوريا ـ والمصريون الذين كانوا فى سوريا كلهم من الموظفين أو الضباط فقط ، ومرتباتهم كانت تدفع من ميزانية مصر ـ لن نقطع علاقتنا الدبلوماسية بأية دولة تعترف بسوريا فيما عدا سليل الخيانة والغدر ويقصد بذلك الملك حسين ملك الأردن ـ وكذا كاى شيك (فرموزا) رئيس جمهورية بدون شعب ـ لن نحارب سوريا اقتصادياً ـ والتعليمات

ستصدر لمندوبنا فى هيئة الأمم المتحدة بعدم الاعتراض على عضوية سوريا بها وكذا فى الجامعة العربية لن نعترض على عضويتها بها أيضاً ـ وكل ما نطلبه من سوريا هو أن تؤكد وجود احتياطها من الذهب فى البنك المركزى بدمشق لنفى ما تردد هناك من أنه سحب إلى مصر. وكذا الاعلان عن عدد المعتقلين السياسيين الذين وجدوا فى السجون هناك بعد قيام الانقلاب وعددهم خمسة وتسعون معتقلا منهم سبعون شيوعياً.

إسم مصر :

وقال جمال أيضاً أننا سنحتفظ باسم الجمهورية العربية المتحدة وعلم الجمهورية. ولما قلت واسم مصر أقدم اسم فى التاريخ يلغى، ذكر أننا سنحتفظ به أيضاً كما هو حادث فى الولايات المتحدة ويطلق عليها أمريكا والاتحاد السوفيتى ويسمى أيضاً روسيا والمملكة المتحدة ويطلق عليها انجلترا.

قلت : هل يمكن أن تذكر فى البيان عن إعادة انتخاب مجلس الأمة.

قال : إن هذه الخطوة تأتى فيما بعد حتى لا نربط أنفسنا بها من الآن، ونحن لا نعرف الظروف وما سيجد منها.

ومستطرداً وأنا قررت عدم النظر فى أية اقتراحات حالياً إلى أن نفصل أنفسنا عن المشكلة التى نمر بها، ثم نعود ونتفرغ للعمل الداخلى وبناء بلدنا ـ ونعيد تشكيل الحكومة.

قلت : ونعمل على تشكليل قاعدة شعبية يمكن أن نعتمد عليها.

وأمن جمال على ذلك وقال أنه شكل لجنة من كمال الدين حسين وعلى صبرى، وكمال رفعت للنظر فى أسماء الأشخاص الذين يمكن لنا الاعتماد عليهم. وكذا تحديد أسماء أعداء النظام. وأنه كان قد اجتمع بهم فى اليوم السابق وتكلم معهم عن الغرض من تشكيل هذه اللجنة ومهمتها.

النحلاوى يطلب الحضور للقاهرة :

وعدنا بعد ذلك إلى الحديث ثانية عما يجرى فى سوريا وتأييد السياسيين

القدامى بها للانقلاب . وموقف اكرم الحورانى وصلاح البيطار وما جـاء فى بيانهما بعد الانقـلاب عن التسـلط والسـيطرة أثناء الوحـدة . وقارن جمال بين موقفهما وموقف رشـدى الكخيا الذى ربط تأييده للانقـلاب بقيام حياة نيابية فى البلاد . وصرح لى جمال أن عبد الكريم النحلاوى أحد زعماء الانقلاب أرسل إليه رسولاً وأبدى رغبته فى الحضور الى القاهرة ليتحدث مع جمال فى الصلح لأنهم على حد قوله منقسمون على أنفسـهم ـ ويقصـد بذلك قادة الانقـلاب فى سـوريا . ولكن جمال لم يوافق على تلك الرغبة منه رغم ضـغط عبد الحكيم عليه . وذكر موقف عبد الحكيم أيضاً من الوحدة وضـغطه عليه لقبولهـا . وأنه كان يرى أن نبدأ أولاً باتحاد على أن تتم الوحدة بعد مضى خمس سنوات من قيام هذا الاتحاد .

قلت : لو سمح بعودة الأحـزاب فى سـوريا بصـورتها القـديمة كما يعلنوا الآن فسيترتب عنه انقسام داخلى فى البلاد ، وسـيكون له تأثيره داخـل الجيش ـ وربما يعود إلى ما كان عليه قبل الوحدة ويفـرض إرادته على الحكومات هناك ـ وتعـود ثانية حالة عدم الاستقرار التى من الممكن أن تدفع السوريين إلى المطالبة بعـودة الوحدة ثانية ـ وتعود أقوى مما كانت بعد أن نكون قد استفدنا من أخطائنا .

وجاء رده بأنه لن يقدم على هذه الخطوة ثانية وقائلاً « إبقوا أعملوها أنتم » .

قلت : على العموم يجب عليك أن تسـتمر فى المناداة بالوحـدة والقـومية العربية . وأمن جمال على ذلك ثم انصرفت . ولم أشـأ أن أذكر ما كنت قد عزمت أمرى عليه بعد ما قال أنه لن ينظر فى أى اقتراح إلا بعد أن نفصل أنفسنا عن تلك المشكلة . وفضلت الانتظار إلى فرصة أخرى أكثر مناسبة .

وفى اليوم التالى الخميس ٥ أكتوبر اجتمعنا فى منزل جمال لمراجعـة البيان الذى أعده . وحضر كل من كمال وحسين الشافعى وعبد الحكيم وأنور وزكريا . وشرح جمال رأيه فى الموقف والبيان الذى ينوى إلقائه فى المساء وذكر مضمونه ثم قرأه علينا ورأينا إجراء بعض التعديلات فى أجزاء منه .

وبعد انتهائنا من مراجعة البيان حضر الوزراء السوريون ونور الدين كحـاله نائب الرئيس ، وذكر لهم جمال ما سبق وأن ذكره لنا وقرأ البيان عليهم أيضاً .

مشهد مؤثر :

وفى نهاية الاجتماع وقبل انصرافنا وكانت الساعة قد قربت من الرابعة بعد الظهر أشار الأستاذ نهاد قاسم وزير العدل السورى إلى موقف جمال من الأزمة التى حدثت ـ وكيف أن جمال قد انتصر على نفسه ـ وأنه بذلك حول الهزيمة إلى نصر ـ على حد قوله ـ وأكد إيمانه به وبزعامته ، واغرورقت عيناه بالدموع . وكان كلامه عاطفى وصادر من القلب فأثرت كلمته فينا جميعاً . وأحسسنا أن الأسرة التى ارتبطت ببعضها فترة من الزمن قد انفصم عراها وانفصل كل منها عن الآخر رغما عن إرادته . وأخذ كل منا يحتضن زملائه السوريين بشعور أخوى وكأننا لن نرى بعضا بعد ذلك رغم ترديد كل منا إلى الآخر وهو يحتضنه أن الارتباط قائم والعلاقة مستمرة والأخوة باقية . وكان مشهداً مؤثراً حقاً ويستحق التسجيل لهذا الشعور الأخوى المتبادل بين المصرى وأخيه السورى أو بالأحرى بين العربى السورى والعربى المصرى .

وفى مساء نفس اليوم الساعة السابعة أذاع جمال البيان .

الباب الخامس

إعادة التنظيم

١ ـ اقتراح جمال بتولى كمال قيادة الجيش .
٢ ـ اقتراحات بإعادة التنظيم الداخلى فى مصر .
٣ ـ استمرار عبد الحكيم قائدا عاما .
٤ ـ اقتراح جمال قيام مجالس ثورية .
٥ ـ العدول عن اقتراح جمال .
٦ ـ التنظيم الجديد .
٧ ـ اللجنة التحضيرية .
٨ ـ المنشور أو المنفيستو (الميثاق الوطنى)
٩ ـ المؤتمر العام .
١٠ ـ فترة انتقال .
١١ ـ الحراسة والاعتقال .
١٢ ـ اجتماعات للوزارة الجديدة
١٣ ـ قيام اللجنة التحضرية ومؤتمر قوى الشعب الوطنية
١٤ ـ إقرار الميثاق وتقريره .

إعادة التنظيم

مما لا شك فيه أن انفصال سوريا وتلك الأحداث السريعة والمتتابعة كان له تأثيره المباشر على فكر القيادة السياسية فى مصر وبالتالى على الوضع الداخلى فيها .

وقد ترتب عن هذا الانفصال بعض المشاكل الأمر الذى اضطر تلك القيادة إلى اتخاذ بعض الإجراءات . ولقد اتخذ البعض منها بغرض حماية مسيرة الثورة وتأمين أهدافها والبعض الآخر تنظيمى .

وقد سبق اتخاذ تلك الإجراءات اجتماعات ومناقشات بين الزملاء أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين والذين كانوا لا يزالون فى موضع المسئولية عندما وقع ذلك الحدث . وهذه المناقشات بعضها فردية بين جمال وبين البعض منهم والأخرى منها كانت جماعية .

ولما كانت تلك المناقشات وما أتخذ من إجراءات لها أهميتها لما ترتب عنها من نتائج ، ولأنها أيضاً تبين الخلفية الفكرية لما اتخذ من تصرفات ، لذا أعتقد أنه من المهم بل من المفيد كذلك أن أذكرها بتفاصيلها كما سجلتها فى يومياتى فى حينها .

كان جمال قد اتصل بى تليفونياً يوم الأحد ٨ أكتوبر ١٩٦١ وطلب أن نلتقى فى منزله مساء نفس اليوم . وعندما التقيت به دار الحديث بيننا حول الموقف الداخلى فى مصر بعد انفصال سوريا . وقال « إننا متفقون على ضرورة إعادة التنظيم ـ ولكن البند الأول فيه هو الجيش . ولا يمكن لى أن أبدأ باتخاذ أى إجراء قبل أن نحل مشكلة الجيش » .

ثم تكلم عن حالة عبد الحكيم النفسية ، وتعب أعصابه ، وأنه فقد الثقة بنفسه ، وأصبح غير قادر على القيادة ، ولا يمكنه مواجهة الضباط ولا الجنود . وذكر أنه ـ أى جمال ـ قام بعمل بعض الاتصالات مع بعض من الضباط ، وعرف منهم ما يتردد داخل الجيش عن شمس بدران ، والشئون العامة للقوات المسلحة ، وعن اللواء عبد العزيز مصطفى وكيل وزارة الحربية . وأن كل ما يقال مركز أساساً حول القيادة فى الجيش وتصرفاتها ، وأنه لابد من معالجة الأمر ولكنه يلمس الحساسية الموجودة بيننا . ومن الضرورى إيجاد حل . ومستطرداً وإذا لم نحل نحن هذه المشاكل فمن الذى سيحلها .

وقام جمال بإعادة ذكر الاقتراح الذى سبق وذكره لى وهو الخاص بنقل عبد الحكيم إلى عمل آخر بعيداً عن الجيش ، وعلى أن يتولى كمال الدين حسين قيادته بدلاً منه ، وخوف كمال من أن بعض العناصر فيه سترى أن من مصلحتها بقاء عبد الحكيم واستمراره كقائد عام ، وربما تضع لذلك فى طريقه المشاكل والصعاب . وكان كمال قد اقترح على جمال أن يتولى هو بنفسه قيادة الجيش ، ولو لفترة على أن يقوم كمال من بعده بتولى قيادته ، ولكن جمال رفض الموافقة على ذلك الاقتراح. وكنت قد أيدت كمال فيما ارتآه .

وجمال كان يرى أن نواجه الواقع ـ على حد قوله ـ وهذا حقيق . ولكن الحساسية والخوف من سوء الظن وسابق تجربتنا المريرة فى هذا الأمر كانت تتغلب علينا وتجعلنا منحفظين عند مناقشة مثل هذه الأمور ـ خاصة علاقة جمال مع عبد الحكيم . ولما سألت جمال عما إذا كان قد أقنع عبد الحكيم بتولى عمل آخر بعيداً عن الجيش خشية أن يصر على عدم تولى أى عمل غيره ـ سألنى عن العمل الذى أراه مناسباً له . فذكرت أن وزارة الإدارة المحلية ربما تكون هى

أنسب عمل يتولاه . وأمن جمال على هذا الرأى قائلا أنه سيتكلم معه ويخبره بموافقته على تولى كمال قيادة الجيش بدلاً منه . كما ذكر أن عبد الحكيم قد اتصل به وسأله عما إذا كان قد تحدث إلى الزملاء فى اقتراحه أم لا وأنه أبلغه أنه لم يتحدث إلا مع كمال وأنور وأنا .

وعاد الحديث بيننا بعد ذلك عن إعادة التنظيم ، وعمل استفتاء شعبى على دستور ١٩٥٦ بعد سقوط دستور الدولة الموحدة لانفصال سوريا ، وعلى العمل أيضاً على إعادة تنظيم الاتحاد القومى - وعمل انتخابات لمجلس الأمة بعد سنة - واستبعاد كل من مستهم القوانين الاشتراكية الأخيرة من عضوية الاتحاد القومى . واقترحت عليه أن يكون هناك فى انتخابات مجلس الأمة مرشحون عن الاتحاد القومى مع ترك حرية الترشيح لأى فرد من خارجه . وتكلمت عن أهمية قيام المجلس بدوره ومزاولة مسئولياته وواجباته . وأن فى ذلك تقوية للنظام نفسه ، مع ترك الحرية للصحافة فى النقد البناء وكشف الأخطاء ما دمنا نبغى المصلحة العامة وليس لنا مصلحة فى حماية أحد من المنحرفين .

واتفق معى جمال فى هذا الرأى وتكلم عن الشللية والمحسوبية الموجودة فى بعض الوزارات . وأيدته فى ملاحظته وأن الشعب إذا أحس بعدم توافر تكافؤ الفرص فقد الثقة والطمأنينة ، وأنها من أسس الاشتراكية والعدالة الاجتماعية . فقال « أنت تعلم أننى مؤمن بهذا - ويجب أن نستبعد بعض الوزراء - وحدد أسماءهم - لأنهم ممن يحتضنون بعض الأفراد ، ويفضلونهم على غيرهم من الموظفين . »

إسأل هيكل :

وذكرت له ما كنت قد سمعته عن المحسوبيات التى جرت فى التعيينات فى الشركات التى كانت قد أممت . وذكر لى أنه يرى أن يعود زكريا ثانية ليتولى وزارة الداخلية بدلا من عباس رضوان . وأن يتولى حسين الشافعى الإصلاح الزراعى لأهميته من الناحية الاجتماعية . ويتولى عباس رضوان النيابة الإدارية وأن يستمر فى نفس الوقت على اتصال بالجيش بصفته الشخصية لمعرفته بالكثير من الضباط وذلك بغرض الأمن فيه . واقترح أن أتولى الإشراف على

المؤسسات العامة بجانب مسئولية التخطيط والمتابعة ، ولما قلت أنه من المهم إحساس المسئولين فى تلك المؤسسات بقدرتى على محاسبتهم ـ قال « تصرف معهم كيفما شئت » . فقلت أن ما يهمنى هو أن أشعر بوجود الثقة بينه وبينى ، وطلبت منه أن يتكلم معى فى أى شىء يسمعه ، وأن لا يحبسه فى نفسه . وكنت أقصد من حديثى عن الثقة بيننا أن أذكره بتجربتى معه فى الماضى . ولقد حاول أن يؤكد لى توافر هذه الثقة منه . وأن ما حدث بيننا فى الماضى كان نتيجة أخطاء ، ممن يعملون معنا ـ على حد قوله . وذاكراً « أنت لا تعرف مقدار ثقتى ورأيى فيك ، ويمكنك أن تسأل هيكل ماذا قلت له عنك . وأنا طبعاً عرفتك على حقيقتك سنة ١٩٥٦ أيام أزمة السويس ، وكنت تتصرف بصورة طبيعية ، وأنا لا أنسى لك هذا الموقف » . وحاول أن يؤكد لى هذا المعنى الذى ذكره فأشار إلى الخلاف الذى كان قد حدث بيننا عام ١٩٥٨ وأنه أصر على التمسك بى رغم إصرارى على الاستقالة .

وهذه الاستقالة التى أشار إليها كنت قد تقدمت بها على أثر خطاب دورى منه كان قد قام بإرساله الى جميع نواب الرئيس والوزراء وكان قد جاء فيه « قد لاحظت فى الأيام الأخيرة الجرى وراء الصحف والصحفيين وتوزيع نشرات عليهم تهدف إلى دعايات شخصية والتسابق فى نسبة الأعمال للأشخاص » .

وكنت قد ذكرت فى استقالتى ردا على ما جاء بهذه الرسالة « حاشا لله ـ إننا لا نجرى وراء الصحف والصحفيين ، وأن نفسى وعزى تأبى علىّ هذا . وأنكم لتعلمون أن كرامتى هى أغلى من أى شىء فى الحياة وعليها تتوقف حياتى كلها بل وسعادتى فى تلك الحياة ، ولم نخرج جنباً إلى جنب ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلا للدفاع عن هذه الكرامة والقتال فى سبيل حريتنا ـ ولقد استهان كل فرد منا بالحياة فى ذلك اليوم ، وأننى ما زلت أستهين بها حتى الآن لنفس الأسباب ، وأننى أومن تمام الايمان أن الثورة لا يمكن أن تحقق أهدافها التى سعينا جميعاً الى تحقيقها إلا إذا توفرت الثقة المتبادلة بيننا وروح التعاون الكاملة حتى يمكن لها أن تسير فى الطريق الذى رسمه الله لها . ولكننى أشعر أن هذه الثقة لم تصبح بالقوة

التى كنت أتمنى أن تكون عليها - لذا أرجو أن تعفينى من تلك المسئوليات التى أوكلتها إلىّ ، متمنياً لك ولزملائك فى الكفاح النجاح والتوفيق دائما لما فيه خير الوطن والعرب .

وتفضلوا بقبول احترامى ،

البغدادى
١٩٥٨/٨/٢٤

وكان كمال الدين حسين عندما تسلم نفس الخطاب قد سافر إليه فى برج العرب وأعاده إليه ، ومحتجا على أن يوجه إليه خطابا بمثل هذه الصيغة .

وبعد إثارة ما كان قد حدث بيننا فى الماضى عاد الحديث ثانية إلى موضوع إعادة التنظيم وهو ما كنا نتناوله فى حديثنا . وذكر أنه يرى أن يشكل مجلس دفاع أعلى . واقترحت أن يشكل أيضاً مجلس أعلى للتخطيط ، وأن يقوم هو بالاجتماع بهذه المجالس وبمجلس الوزراء من حين لآخر . وأنه يظلم نفسه بتحمل كل تلك المسئوليات بمفرده ، وأن أى نجاح سيتحقق سيعود عليه بحكم أنه يرأس النظام . فقال « وهذا لا يمنع ايضا من أن ينسب إلى أى فشل يحدث - وهاهم فى سوريا يهاجموننى ويحملوننى مسئولية برامج وزارة التربية والتعليم » .

فقلت - ولكن الناس يطمئنها أن تعلم أن المسائل تناقش وأن ما نصل إليه من قرارات قد نتج بعد تبادل الرأى .

فقال - أن طبيعة التنظيم السابق كانت تحول دون هذه الاجتماعات - وكيف أجتمع بهم وهناك مجلس تنفيذى لسوريا وآخر لمصر وحكومة مركزية .

فقلت : أنه من المستحسن أن يبنى التنظيم على أساس اللامركزية فى التنفيذ . وأن نشعر الشعب بالمشاركة بإعطاء سلطات للمجالس المحلية على المستويات المختلفة لمناقشة المسائل التى لها اتصال بمصالحهم . وأن يصدروا هم القرارات اللازمة لها . وأن يقوموا بتنفيذ بعض المشروعات فى مناطقهم . وان يصدروا هم القرارات اللازمة لها ففى ذلك تربية سياسية لهم .

فقال : هذه كلها مشاكل ولابد من البت فيها ، ولكن لايمكن أن أبت فى واحدة منها قبل أن نبت فى البند الأول وهو الجيش ، وسأتصل بك يوم الأربعاء بعد ما أكون قد اتصلت بعبد الحكيم لأننى سأقابله يوم الثلاثاء .

وفى صباح يوم الأربعاء ١١ أكتوبر اتصل بى جمال لنلتقى فى مساء نفس اليوم . ولقد وجدته عند مقابلته بادىء النشاط وبخلاف الأيام السابقة منذ الانفصال . ولما سألته عن صحته أشار إلى أنها على أحسن مايكون ومستطردا فى القول لأنى رسيت ووجدته عند مقابلته بادئ النشاط بخلاف الأيام السابقة منذ الانفصال . ولما سألته عن صحته أشار إلى أنها على أحسن مايكون ومستطردا فى القول لأنى رسيت ووجدت الحل للمشكلة .

وبدأ يتحدث عن مقابلته لعبد الحكيم فى اليوم السابق ، واقتراحه عليه أن يتولى وزارة الحربية ، وعلى أن يكون هناك قيادة عسكرية مشتركة من قادة الأسلحة الثلاثة ـ الجيش والطيران والبحرية ، وعلى أن يلغى منصب القائد العام ولا يصبح بذلك هناك قائدا عاما للقوات المسلحة ، ولكن عبد الحكيم اعترض على الاقتراح بحجة أن هناك ضررا سيقع عليه من تنفيذه . فذكره جمال بموقفه من القيادات العسكرية التى كانت قد أخطأت أثناء معركة السويس وتمسكه بهم رغم أن المصلحة العامة كانت تتطلب ضرورة العمل على تغييرهم بقيادات أخرى بدلاً منهم . ويقول جمال ولكن عبد الحكيم هذه المرة أبدى استعداده إلى إجراء التعديلات المطلوبة منه فى القيادات العسكرية ، واعتبر جمال أن هذا حلاً موفقاً ، وأن يكتفى به مع استمرار عبد الحكيم قائداً عاماً للجيش ، وتنازل عن تمسكه السابق فى ضرورة إبعاده عنه .

ثم تكلم جمال عن الحل الذى وصل إليه للمشكلة التى كنا نواجهها بعد انفصال سوريا . وذكر أننا سنجتمع مع باقى الزملاء يوم الجمعة ١٣ أكتوبر لمناقشة ذلك الحل ، ولكن ما هو هذا الحل الذى وصل إليه .

الحل :

ولقد بدأ جمال فى ذكر الحل بقوله « إن البلد كلها إشاعات ، من يقول إن عبد الحكيم محددة إقامته ، ومن يقول أن البغدادى زعلان ، ومن يقول أننى مريض جداً إلى آخر تلك الإشاعات » . وهذا صحيح ولقد سمعتها أيضاً . ثم

يستطرد فى القول ويقول « إن الرجعيون والحزبيون قد نشطوا جداً فى هذه الأيام ، وهل تعرف أن فؤاد سراج الدين عندما ذهب للتعزية فى وفاة المرحوم حجازى وقف له جميع المعزين هناك عند دخوله عليهم ـ لابد أن يكون هذا قد رتب من قبل مع بعض المقربين إليه ، وعلى أن يبدأوا هم بالوقوف فيندفع وراءهم باقى المعزين بالوقوف كذلك » .

ويستطرد قائلاً « الصورة التى نحن عليها اليوم هى نفس صورة سنة ١٩٥٤ أيام أزمة محمد نجيب ، والأسلوب الذى اتبع فى سوريا من الرجعيين والرأسماليين وترديد الإشاعات هو نفس الأسلوب المتبع حالياً فى مصر . والهدف هو تحقيق ما حقق فى سوريا . وثورتنا ثورة بورجوازية وقد جمدت من سنة ١٩٥٦ ، وانعزلنا وانغمس كل منا فى الروتين ، وآن الأوان أن نحولها إلى ثورة جماهيرية . وكما قال لينين لابد من القضاء على الرجعيين والرأسماليين ونزع سلاحهم بمصادرة ممتلكاتهم لأنه حاول فى بداية الثورة البلشفية التعاون معهم ولكنه فشل ولم يفلح واضطر إلى القضاء عليهم . وكنت أعتقد أنه مخطىء ولكن قد تبين لى الآن أنه كان على صواب وأنا المخطىء . وليس أمامنا من حل غير القضاء عليهم وذلك باعتقالهم جميعا ووضعهم فى منطقة الوادى الجديد ، وتجميد أموالهم وذلك عن طريق تحويل سندات الأراضى والشركات التى أخذت وأممت منهم إلى الدين العام وعدم صرف الفائدة لهم . وعمل مجلس ثورة جديد من خمسين عضواً لأن الناس فى انتظار ثورة فلنقم نحن بها ، والناس عايزة (Shock) هزة حتى تفوق ، والمجلس الجديد سيتكون منا ومن الوزراء ومن أشخاص آخرين ارتبطوا بنا من بداية الثورة ، لأنه عندما تعلق لنا المشانق ستعلق لهم أيضاً . ونعطى اختصاص رئيس الجمهورية لمجلس الثورة الجديد ، ونعمل مجالس ثورية فى كل قرية وفى كل مصنع ، ونبدأ نعمل بروح ثورية ، ونرفع الناس التى ستعمل معنا إلى مستوانا لنزيد عدد أعضاء مجلس الثورة الجديد بعد سنة إلى مائة عضو ثم إلى مائة وخمسين ثم إلى مائتين عضواً حتى يصبح فى النهاية مجلس الثورة مثل اللجنة المركزية للحزب الشيوعى ، وكل فرد فى هذه الحالة سيسعى للوصول إلى عضوية مجلس الثورة ، وسأقوم بإلقاء بيان أوضح للشعب فيه هذه الصورة » .

ومستطرداً « طبعاً أنت فوجئت بهذا الحل لأن كل الناس بتقترح إعادة تنظيم الاتحاد القومى ومجلس الأمة وإعطاء حريات ، وانا اعتقد أن هذه ليست بحلول مجدية . وأنت تتذكر سنة ١٩٥٣ لما عملنا محكمة الثورة وكانت الإشاعات فى ذلك الوقت كما هى الآن فعملنا المحكمة وقضينا على نشاط الرجعيين والانتهازيين » .

قلت « إن أى ثورة حتى تنجح لابد من تجاوب الشعب معها ، وسنة ١٩٥٣ كان هذا الشرط متوافراً ، ولأننا أثبتنا أنه كانت هناك فعلاً مؤامرات تدبر ، وكشفنا حقيقة الزعماء السياسيين ففقد الشعب ثقته فيهم ، ولكن الصورة اليوم تختلف فالقرارات الاشتراكية الأخيرة لن تظهر نتائجها إلا بعد فترة طويلة ، والعمال والفلاحون غير متفهمين لفوائدها عليهم . وكثيرون من محدودى الدخل قد تأثروا من هذه القرارات لأن الكثير منهم كان يتعامل مع الطبقة ذات الدخول العالية ، وهم لذلك غير متحمسين اليوم لهذه القرارات ـ فكيف يمكن ضمان تجاوب الشعب معنا » .

تيتو اعتقل ٢٢,٠٠٠ :

قال : هل تعلم أن تيتو فى سنة ١٩٥٠ اعتقل ٢٢,٠٠٠ شخصاً أثناء أزمته مع الاتحاد السوفيتى . ولا تنسى أن العمال والفلاحين والجنود والموظفين والطبقة المتوسطة كلها ستتجاوب معنا لأنى سأشرح لهم فى البيان الفائدة التى ستعود عليهم . ولابد لنا أن نهتم بالجنود حتى لا ينساقوا فى أية عملية . والذى قضى على ثورة الشواف هم الجنود وليس عبد الكريم قاسم . وذلك لأنه اهتم بالجنود وعمل منهم لجان داخل وحدات الجيش عندما كان يتعاون مع الشيوعيين .

ولما تساءلت عن متى يتم تشكيل تلك اللجان الثورية التى أشار إليها . ذكر بعد شهرين أو ثلاثة .

ثم قال : هل تعرف أن لينين قام بثورته بحوالى ألف شخص فقط وهم الذين كانوا يمثلون الحزب الشيوعى فى ذلك الوقت .

قلت : إن ثورة لينين قد نجحت لأن الشعب الروسى كان مستعبداً وقد أمل خيراً فى الثورة . كما أن جنود الجيش كانوا قد عادوا مهزومين أمام الجيش

الألماني ودفعهم سخطهم على قياداتهم إلى الانضمام إلى الثوار من الشيوعيين انتقاماً لما حل بهم ، ونفس الظروف الداخلية هناك كانت كلها تساعد على الإنفجار.

وكنت قد رأيت التحفظ بالنسبة للاقتراح الذى ذكره ، وفضلت ألا أتسرع فى إبداء رأيى لخطورته ولأنه يحتاج منى إلى وقت للتفكير فيه . وقد شعر جمال على ما يظهر بعدم تحمسى لاقتراحه فعرض علىّ أن نخرج إلى حديقة منزله الخلفية لمشاهدتها بعد التوسع الذى جرى بها بعد نقل سلاح الإشارة من مكانه والذى كان يقع خلف حديقة منزله مباشرة قبل هذا التوسع.

وفى أثناء تجوالنا فى الحديقة قال « إننى أرى استبعاد القيسونى وحسن عباس زكى من وزارتى الخزانة والاقتصاد ، وأن نجعل التخطيط وهاتين الوزارتين مجموعة واحدة - وأن تتولاها . وسألنى عن نزيه ضيف وأحمد زندو وأحمد فرج فمدحتهم له . واقترح أن يتولى نزيه وزارة الخزانة وأحمد زندو وزارة الاقتصاد وأحمد فرج - التخطيط - وعلى أن يكونوا معاونين لى وتحت رئاستى . وأن أتولى هذه المجموعة من الوزارات لأنها - على حد قوله - لها أهميتها القصوى ولها سلطات واسعة وتحتاج إلى تطوير.

ثم أبلغ إلينا أن حسين الشافعى قد وصل وكان على موعد مع جمال . وجلست معهما بعض الوقت نتحدث عن الاشاعات الدائرة والتى يتناقلها الناس ، وتكلم حسين عن خطابه فى الجامع الأزهر الذى ألقاه بمناسبة مولد سيدنا الحسين . ثم استأذنت فى الانصراف لأتيح فرصة لجمال ليتحدث إليه .

ولما عدت إلى منزلى كان اقتراح جمال لا يزال يشغل بالى . وحاولت أن أنام بعد أن قد سطرت الحديث الذى دار بيننا كعادتى ولكن النوم كان قد بعد عنى لانشغال فكرى باقتراحه . وأخذت أقلبه على جوانبه المختلفة مسطراً فى يومياتى ما دار حوله فى ذهنى فى تلك الليلة .

وليس هناك داع لأن أشغل القارىء بتفصيلات كنت قد دونتها فى يومياتى حول هذا الاقتراح ورأيى فيه . ولكننى كنت خلصت فى النهاية على أن جمال يحاول افتعال ثورة بايجاد مثل هذه المجالس البعيدة كل البعد عن صفة الثورية .

وانه يريد أن يتبع ما أتبعه الحزب الشيوعى عندما قامت الثورة البلشقية فى روسيا بعد الحرب العظمى الأولى . وكان الحزب قد أقام مجالس ثورية له فى القرى والمصانع . ولكن الأمر عندنا يختلف تمام الاختلاف . ولا يمكن تطبيق ما حدث فى روسيا فى مصر . وليس هناك من مبرر لاتخاذ هذه الاجراءات الاستثنائية وتلك التغييرات الجذرية . وضرر إقامة هذه المجالس بهذه الصورة المقترحة سيكون أكثر من نفعها ولن يكون لها أى دور فعال .

كما أنى كنت قد أعددت بعض النقاط كاقتراح لحل الموقف قبل التقائى مع جمال . وكنت قد نويت التحدث اليه فيها . ولكنه عندما تقدم باقتراحه وجدته يسير فى طريق غير الطريق الذى كنت أسير فيه ـ لذا لم أشأ أن أثير معه ما كنت قد أعددته . وفضلت تأجيل عرضها إلى يوم الجمعة الذى حدد للقائنا مع باقى الزملاء وذلك حتى أتيح لنفسى فرصة التفكير فى اقتراحه وإعادة النظر فى اقتراحى أيضا ، وكنت قد سطرت اقتراحاتى فى يومياتى ، وليس هناك من داع كذلك لشغل القارىء بها وبتفاصيلها . وهى كانت تتركز أساساً فى دفع الحياة إلى المؤسسات السياسية والأجهزة التنفيذية القائمة واعطاء دور ايجابى لها وكيفية تنفيد ذلك .

وكان جمال قد اتصل بى وقدم موعد اجتماعنا إلى يوم الخميس بدلاً من يوم الجمعة . وحضر هذا الاجتماع كل من كمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين .

وبعد أن تحدثنا عما يدور من إشاعات بدأنا فى مناقشة الموقف . ولقد بدأها جمال بمقدمة عن أهداف الغرب فى المنطقة . وأن الحاجز الدفاعى لهم فى الشرق دون عمق كاف . وأن الوضع السياسى فى كل من إيران وتركيا غير مستقر . وكان لا بد للغرب والأمر كذلك من أن يعمل على فصل سوريا عن مصر . كما وأنهم لا بد متفقون مع عبد الكريم قاسم أو أنهم سيتفقون معه حتى يضمنوا العمق المطلوب إلى السعودية لتأمين موارد البترول بها .

كما تكلم كذلك عن أهداف الشرق فى المنطقة وهى نفس أهداف الغرب ـ محاولة السيطرة عليها عن طريق العمل على إيجاد حكومات موالية لهم وتأتمر

بأمرهم . وذكر أن السبب فى هذا الصراع بين الغرب والشرق حول منطقتنا هو لأن الحرب آتية لا محالة .

وأشار فى حديثه إلى الأزمة التى كانت قد حدثت فى أندونيسيا ، والثورة التى قامت فى سومطره ، والمساعدة التى أرسلناها إلى سوكارنو فى ذلك الحين لأن جمال - على حد قوله - كان يعتقد أن نجاح الغرب فى تلك العملية فى أندونيسيا سيشجعه على تنفيذ عملية مماثلة لها فى بلدنا . كما ذكر أن تيتو قد أرسل إليه خطاباً بعد انفصال سوريا عبر له فيه عن وقوفه بجانبنا ومساندته لنا ، وشرح له فيه تقديره للموقف . وأن تيتو يعتقد أن الخطوة التالية بعد دمشق ستكون هى القاهرة . وأن الغرب إذا نجح فى هذا المخطط فإن بلجراد ستكون هى الخطوة التى ستتلو القاهرة .

كما أن تيتو ذكر له فى خطابه أيضاً امتناع الولايات المتحدة عن منح يوغوسلافيا المساعدة الاقتصادية . كما وأن الروس قد تشددوا معه كذلك . وأن هدف الكتلتين أصبح هو القضاء على حكومات الدول غير المنحازة ، وكل منهما تسعى إلى إيجاد حكومات بها يمكنها الاعتماد عليها وتكون موالية لها .

لنعمل ثورة جديدة :

وانتقل جمال بعد ذلك فى حديثه على أن الرجعيين والانتهازيين وكذا الشيوعيين يتعاونون مع الكتلتين ذلك لأن الرجعية - على حد قوله - بدأت تحارب دفاعا عن مصيرها وبقائها فى المنطقة . وأن الثورة بدأت سنة ١٩٥٢ بثورة سياسية ، والرجعية كانت تسير تحت جناحها فى ذلك الوقت طالما أنها محتفظة بالميزات الخاصة بها . ولكن فى يوليو ١٩٦١ بدأت الثورة الاجتماعية بصدور القرارات الاشتراكية وأحسست الرجعية بذلك أن الميزات التى كانت محتفظة بها من يوم قيام الثورة سيقضى عليها . وكان لا بد لها من أن تقاتل حفاظاً عليها . وذكر أن المعركة ستكون مريرة بينهم وبيننا . وأنهم يحاولون انتهاز فرصة اهتزازنا من صدمة الحوادث التى جرت فى سوريا ، وعن طريق إطلاق الشائعات وترديدها ونشرها يحاولون التأثير علينا حتى نتخذ الطريق الذى يرون أنه يحقق غرضهم . فيتكلمون عن الحريات وعن مجلس الأمة والضمانات إلى آخر ذلك

مما يرددونه بغرض تحقيق هذه الأغراض وبالتالى نمهد لهم الطريق للعودة . وهم يعملون بجد ونشاط ولهم اتصالاتهم . ومن معنا أو من نعمل من أجلهم وهم العمال والفلاحون والجنود والطبقة المتوسطة غير متفهمين للمكاسب التى حققناها لهم أو نسعى لتحقيقها . وليس هناك من تنظيم أو رابطة تربطهم . والإشاعات التى يرددها ويروِّجها الرجعيون قد أثرت فيهم وأصبحوا هم يرددونها كذلك . حتى أصبح الأمر وكأن النظام على وشك التسليم . وأن هناك ثورة جديدة ستقوم لتحل محل هذه الثورة .

ثم استطرد جمال قائلاً « وما دام الأمر كذلك وأنهم فى انتظار ثورة ، فلنأخذ نحن المبادرة ونقوم بعمل ثورة » - ثم يقول : هذا الحل وصلت إليه يوم الثلاثاء فقط بعد ما استعرضت كل الحلول الممكنة » . وأخذ يشرح للزملاء ذلك الاقتراح الذى كان قد سبق وذكره لى والخاص بتشكيل مجلس ثورة ، ومجالس ثورية فى كل قرية وفى كل مصنع والذى سبق أن ذكرته فى لقائى معه يوم الأربعاء السابق .

وفى ختام حديثه قال هذه خلاصة ما وصلت إليه . وكان مقتنعاً بهذا الحل ولا يرى بديلاً له - وسأل هل هناك من بديل آخر لهذا الحل .

وتكلمت من بعده عن المعنى الذى أفهمه عن قيام ثورة . وهو أن يفاجأ الشعب بقادة جدد قاموا عن طريق القوة واستولوا على السلطة لأمر ما - أى أساساً أنهم كانوا بعيدين عن مركز السلطة ثم عملوا بطريقة أو بأخرى ثورة للاستيلاء على هذه السلطة . ولكننا والسلطة فعلاً فى أيدينا سنقوم ونعلن عن قيام ثورة ، ونشكل لها مجلس قيادة - وهذا يتناقض مع مفهوم قيام ثورة - وما سنفعله هو افتعال قيامها . وأى ثورة تقوم ، غالباً ما تكون قيادتها متفقة ومؤمنة بأهداف معينة ، وروح الثورة تملأ نفوسهم ، والانسجام الفكرى تام بينهم . ولكن هذا المجلس المقترح سيشكل من أعضاء لا يتوافر فيهم هذه الأسس الضرورية لمثل هذه القيادة - فلا تجانس فكرى بينهم ولا إيمان بأهداف مشتركة - وربما يكون أول لقاء بين البعض منهم والبعض الآخر هو فى مجلس الثورة المقترح . بل منهم أيضاً من سيعلم أنه قد أصبح عضواً بمجلس الثورة عندما يقرأ صحف الصباح ، وهل يمكن لمثل هذا المجلس أن يحقق الهدف المطلوب من

قيام ثورة حقيقية يلمسها الشعب . وإن اتضح للشعب أن هذا المجلس لا يحمل من الثورية إلا إسمها فقط - وغالباً ما سيتضح له ذلك - فإن الأمر سينقلب إلى عكس ما نهدف . ووجود مثل هذا المجلس يصبح ضرره أكثر من نفعه ، وسيضعف من قوة النظام وهيبته . وليس المهم وجود مجلس ثورة إنما المهم هو الفعل الثورى فى حد ذاته الذى يتأتى بأن نتصرف كثوار . وأن ندفع عجلة العمل بروح ثورية يحس بها المواطنون . وعن هذا الطريق يمكن لنا أن نسترد ما خسرناه من هيبتنا . وتساءلت عن الكيفية التى سيتم بها اختيار أعضاء المجالس الثورية فى المصانع والقرى - وهل لدينا علم بأشخاصهم ، وهل يمكن لنا الاعتماد عليهم . وأبديت تخوفى من أنهم ربما يسيئوا التصرف بعد أن نلصق بهم صفة الثورية وبذلك نسىء إلى الشعب وإلى أنفسنا أيضاً . وأشرت إلى أن الشعب سيعقد مقارنة بين هذا المجلس المقترح ومجلس الثورة الذى قام عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وإن لم يثبت ذلك المجلس الجديد وجوده بالأفعال فسيصبح موضع التندر منه وعامل ضعف لا عامل قوة للنظام .

وتكلم من بعدى زكريا وقال أن الناس يطمئنهم تحديد من نعمل لهم ومن نعمل ضدهم - وما هو الحد الذى سنصل إليه فى اشتراكيتنا حتى يتمكن كل فرد من أفراد الشعب أن يحدد لنفسه طريق المستقبل .

وتكلم كمال الدين حسين وأمن على كلامى الخاص باللجان الثورية المقترحة وبين صعوبة توافر الأفراد الذين يمكن الاعتماد عليهم لمثل هذه العملية . وتحدث عن الاتحاد القومى وضرورة المحافظة عليه وعدم إلغائه والعمل على تطويره بما يعطيه دور إيجابى فى العمل السياسى وقيادة الجماهير .

وأما عبد الحكيم فقد تكلم عن ضرورة قيام مجلس ثورة . وطلب أن يكون هناك لجنة عامة - ولجنة مغلقة . وأن تكون اجتماعات وجلسات تلك اللجنة المغلقة سرية . وهى ستصبح مجلس الثورة المقترح . وأما اللجنة الأخرى فيكون اجتماعاتها مفتوحة وجلساتها علنية وهى اللجنة العامة التى يقصدها . وأمن جمال على كلامه . وتكلم عبد الحكيم أيضاً عن ضرورة تحديد فترة انتقال وحددها بسنة . وأعاد ذكر النقطة التى سبق وأثارها زكريا وهى الخاصة بتحديد الفئات

التى نعمل لصالحها والفئات الأخرى التى سنقاتلها ـ على حد قوله ـ وكذا تحديد المدى الذى سنصل إليه فى الاشتراكية .

أما أنور فكان يؤكد ضرورة قيام مجلس ثورة ، وتحدث عن مقابلته مع أعضاء مجلس الأمة عن مدينة القاهرة ، وما أثاروه من نقد حول أسلوب الحكم وعن إهمال الدولة لمجلس الأمة .

وخرج من هذا بأنه قد وجد نفسه واقفاً موقف المدافع وأن هذا من الخطورة بمكان . وأنه لا بد من أن نقلب الوضع بحيث نقف موقف المهاجم وألا نروح إلى بيوتنا ـ على حد قوله .

وفى النهاية وبعد أن تكلمنا جميعاً فيما عدا حسين الشافعى الذى لم يتناول الموضوع برأى قال جمال « الحقيقة أن هناك نقطة مهمة أثيرت وتحتاج إلى تفكير وهى أن الثورة غالباً ما تقوم لتنتزع السلطة من الحاكم فكيف نقوم بثورة والسلطة فى يدنا » . وعلقت على ما ذكره بأننا نفتعل قيام ثورة وضررها سيكون أكثر من نفعها . واستطرد جمال ذاكراً أنها نقطة لها وجاهتها .

وتكلم عبد الحكيم ثانية عن الإسم التاريخى لمجلس الثورة القديم وأن قيام مجلس ثورة جديد ربما يؤثر على تاريخ هذا المجلس القديم .

كما ذكر كمال الدين حسين أنه فى أثناء بحثه مع كمال رفعت وعلى صبرى فى إعادة تنظيم الاتحاد القومى كان كمال رفعت قد اقترح تسمية اللجنة العليا للاتحاد القومى بمجلس الثورة . وأن رد الفعل المباشر عند كمال كان هو رفض هذه التسمية .

وتكلمت عن رد الفعل الذى أحسست به عندما سمعت الاقتراح من جمال ـ وإذا كان هذا هو ما أحسسنا به فما بال إحساس المواطنين العاديين عندما يعلن عن قيام مجلس ثورة جديد .

وأصبح واضحاً من المناقشة أن اقتراح إيجاد مجلس ثورة جديد لن يحقق الغرض المطلوب وليس هو الحل المنشود .

وتكلم جمال وذكر أنه يعد بياناً ، ومن ضمن النقاط الواردة فيه هو حل

مجلس الأمة القائم على أن يحل محله مجلس الثورة المقترح، وأنه لذلك لا بد من إيجاد هيئة أخرى تحل محل مجلس الأمة. وأخذ كل منا يذكر اقتراحاً، ولكن وضح أننا لن نصل إلى حل. وقد رؤى تأجيل الاجتماع إلى مساء اليوم التالى - الجمعة - حتى يفكر كل منا فى الحل الذى يعتقد أنه مناسباً.

اشتراكية غير واضحة :

وفى يوم الجمعة ١٣ اكتوبر ١٩٦١ اجتمعنا لاستكمال المناقشة، وتكلم زكريا من ورقة كان قد أعدها عن الحالة الاقتصادية السيئة ونتائجها على معنويات الشعب، كما تكلم عن مشكلة انفصال سوريا وتأثير هذا الانفصال على كل طبقة من الطبقات المختلفة منه. وتحدث كذلك عن القرارات الاشتراكية التى صدرت فى يوليو ١٩٦١ ومدى تأثر الطبقات المختلفة بها. وذكر أيضا ان نهاية الطريق لاشتراكيتنا غير واضحة الأمر الذى ترتب عنه حالة عدم استقرار بين كثير من الناس. وخرج من هذا الاستعراض بأن أمامنا طريقين حددهما :

الأول منهما : هو اتخاذ طريق العنف مع أعداء الثورة وسماهم بالرجعيين، والسير فى اتجاه الحل الاشتراكى إلى آخر الشوط، ولكنه تساءل عن إمكانية تنفيذ هذا مع طبيعة شعبنا العطوف ومع شخصية القادة القائمين بالأمر - وهل تتفق طبيعتهم مع هذا الاتجاه أم أن العكس هو الصحيح.

والثانى منهما : هو اتباع أسلوب الحذر والحرص مع أعداء الثورة كما سبق وأن اتبعناه فى السنوات السابقة.

وتكلم من بعده أنور السادات عن التحليل العلمى للصراع الطبقى ونتائج هذا الصراع. وقد قرأه من كتاب لستالين عن المبادىء اللينينية.

وأما كمال الدين حسين فقد تكلم عن أهمية الناحية الروحانية وضرورة ربطها بخطنا الاشتراكى.

وقرأ علينا جمال تحليله لمجتمعنا والصراع الطبقى فيه، وقتال الرجعية فى سبيل مصيرها، ويساندها فى هذا القتال قوى الاستعمار. كما أشار إلى أهمية إيجاد

تعصب من العمال والفلاحين والجنود والبرجوازية الوطنية والمثقفين ضد الرجعيين والانتهازيين والمستغلين . وذكر أن هذا التعصب كان متوافراً أثناء مرحلة الثورة السياسية . وكان واضحاً أيضاً فى أثناء الصراع مع الإنجليز لإجلائهم عن البلاد ، وكذلك عندما أممت قناة السويس .

وتكلمت عن أن هذا التعصب الذى أشار اليه جمال قد توفر فى ذلك الوقت لأنه كان ضد قوى خارجية ، ولانها عملية واضحة وملموسة . وأما توفر هذا التعصب من تلك الفئات التى ذكرها للثورة الاشتراكية فإنه يتطلب وعياً وإيماناً بالأهداف الاشتراكية وتفهما للمكاسب التى ستعود عليهم منها . وهذا يحتاج الى تنظيم وتدريب ونشر الروح الاشتراكية بينهم .

المعركة القادمة :

ورد جمال على ذلك بقوله أن المعركة القادمة ستكون مع القوى الرجعية فى المنطقة ـ مع سعود وحسين ـ ودمشق . وستكون معركة أيدولوچية . وهذا التعصب سيتواجد كنتيجة من نتائج هذه المعركة . ولا بد من قيام التنظيم واعداد القادة المؤمنة وتدريبهم . وأن يعمل على تفهيم العمال والفلاحين والجنود المكاسب التى ستتحقق لهم . أما البرجوازية الوطنية فهى ستظل فى تأرجح مستمر نحو البرجوازية الكبيرة أو نحو الاشتراكية . وهى كالاحتياطى ، والرجعية تستخدمها الآن لتحقيق أغراضها ، ويجب علينا أن نعمل على دفعها إلى اتجاهنا للتحالف مع طبقة العمال والفلاحين .

وسأله زكريا عما يقصد بتحالف العمال والفلاحين مع طبقة البرجوازيين الوطنيين .

ورد عليه جمال بقوله أحسن تسأل ما الفرق بين هذا الوضع والشيوعية ـ هذا ما تقصده .

وأمن زكريا على كلامه .

وأجابه جمال بأنه فى الشيوعية الدولة فيها تمتلك كل شىء ، وكل الأفراد أجراء عندها . أما نظامنا فيسمح بالملكية الخاصة ولكن فى حدود ـ وهى الملكية التى

لا تستخدم فى الاستغلال . والقصد بالتحالف هو التعاون مع البرجوازية مع عدم اعطائها فرصة تولى الحكم .

ستالين كان رئيسا :

وأنتقل بنا النقاش بعد ذلك إلى التنظيم الذى سنواجه به الموقف . وقال جمال ـ نبدأالخطوة الأولى بتكوين اللجنة المركزية . وعلى أن يكون عددها ما بين خمسين ومائة عضو . وأن يكون جميع الوزراء من ضمن اعضائها . وعلى أن يتبعها ثلاث لجان رئيسية : اللجنة السياسية ـ ولجنة التنظيم ـ والمكتب الفنى ، ويكون لها سكرتارية فنية ، ويجب أن يتفرغ عدد كبير من أعضاء هذه اللجان الثلاث الرئيسية . وذكر أن ستالين كان رئيساً لكل لجنة من هذه اللجان الثلاث .

وطلب أن يعد كل منا كشفا بأسماء ستين شخصاً يرشحهم كأعضاء فى اللجنة المركزية ، وعلى أن نوافيه بهذه الأسماء فى اليوم التالى مساء .

وقال أنه سيلقى بياناً يوم الأحد مساء ، وسنجتمع به قبل إلقائه لمناقشته . وأنه سيضطر إلى تأجيله حتى يوم الإثنين إن رأينا تعديل بعض النقاط الرئيسية فيه . وبعد ذلك يتم تشكيل الحكومة الجديدة ثم يعلن قيام اللجنة المركزية ، وبعدها يجتمع مع الحكومة الجديدة ثم اللجنة المركزية .

وأنه بعد ذلك سيعد بياناً تفصيلياً عن أهدافنا الاشتراكية وسيوضح فيه طريقنا إلى تحقيقها . ثم يقوم بعرضه على اللجنة المركزية لمناقشته مع إعلانه أيضاً فى نفس الوقت على الشعب ليناقش فى الهيئات المختلفة ولإبداء الرأى فيه . وسيعرض أيضاً الدستور الجديد ـ وهو نفس دستور ١٩٥٦ ـ على اللجنة المركزية . وأن ذلك كله سيتم فى خلال فترة الانتقال التى ستحدد فى البيان .

أما التنظيم السياسى الجديد فيجب أن يعد ويستكمل فى خلال نفس الفترة استعداداً لخوض انتخابات مجلس الأمة .

ودارت مناقشة أيضاً حول وضع ممتلكات بعض الرجعيين تحت الحراسة خاصة الإقطاعيين منهم ممن طبق عليهم قانون الاصلاح الزراعى لسنة ١٩٥٢

وذلك بغرض سلبهم أسلحتهم . وأن ينظر كذلك فى أمر بعض العناصر المعادية النشطة حتى لو تتطلب الأمر اعتقالهم .

واقترح جمال فى النهاية أن نسمى اللجنة العليا للتنظيم السياسى - باللجنة العليا الثورية - وبرر ذلك بأنه يرغب فى أن يشعر المواطنين بأن الثورة قائمة ومستمرة .

وانصرفنا على أن نعاود الاجتماع فى يوم الأحد ١٥ أكتوبر .

داوود عويس والمنشورات :

واجتمعنا فى منزل جمال . وكان أول الحاضرين كمال وأنا . وأبلغنا جمال انه قد اتضح ان المنشور السرى الذى سبق وأرسل للبعض منا والموقع عليه بإسم الضباط الأحرار أن من قام بإرساله هو الضابط داوود عويس مدير مكتب عبد الحكيم فى وزارة الحربية وليس على شفيق السكرتير العسكرى له . وكان جمال يعتقد من قبل أن مرسل المنشور لا بد أن يكون هو على شفيق لأنه كان يعلم أننا نقوم بمناقشة موضوع استبعاد عبد الحكيم من الجيش ، ولأن المنشور لم يرسل إلا لبعض أفراد من مجموعتنا فقط . ولكنه أمكن الكشف عن حقيقة مرسله وذلك عن طريق البصمة المتكررة التى وجدت على جميع المنشورات التى أرسلت . وعلمنا منه كذلك أن هناك منشوراً آخر قد أرسل . وهم يتتبعون تحركات داوود عويس لمعرفة مدى نشاطه واتصالاته . وكان جمال بادياً عليه الغضب ومتأثراً ويعتقد أن هناك مجموعة من الضباط المحيطين بعبدالحكيم يقومون بعمل نشاط مضاد لشخصه . وطلب منا عدم ذكر أى شىء عن هذا الموضوع بحجة أنه خطير وأنه يود معرفة تفاصيل أكثر .

ثم حضر بعد ذلك زكريا وحسين الشافعى وتلاهما عبد الحكيم . أما أنور فقد حضر بعد بداية اجتماعنا بحوالى ثلاث ساعات لدعوته رئيس جمهورية البرازيل الأسبق على العشاء .

وبعد أن اجتمع الشمل فيما عدا أنور بدأ جمال حديثه بقوله أنه قد توصل بعد التفكير إلى أن الاقتراح الخاص بقيام لجنة مركزية يجب استبعاده ، ومبديا أسفه لذلك ، وذاكرا أن لديه اقتراح آخر .

وقد بنى هذا الاقتراح الجديد على أساس أن الناس سلبيون وهناك لا مبالاة منهم ، وأنه يتصور أن الناس لن تبالى لو أصدر قراراً بتعيين أعضاء هذه اللجنة المركزية أو مجلس الثورة . كما وأنه ليس متصوراً كذلك أن الناس تصبح فى الصباح وتجد فلاناً وقد أصبح عضواً فى مجلس قيادة الثورة ، والافتعال لا يمكن أن يجدى . بل وربما ينتج عن هذا التعيين عداء لنا من الأشخاص الذين لم يقع عليهم الاختيار لشغل هذه العضوية ولأننا فضلنا عليهم غيرهم .

منفستو :

ويستطرد جمال ويقول « لا بد أن نعمل على إحداث تفاعل بين الجماهير . وأن ندفعهم إلى التحمس والتسابق فى الاشتراك فيما نحن مقدمون عليه حتى نقضى على هذه السلبية . والحل هو أن نعمل لجنة تحضيرية تقوم بتحديد وتعريف قوى الشعب الوطنية . وهم العمال والفلاحون والجنود والمثقفون والبرجوازيون الوطنيون . كما تقوم أيضاً بتحديد من هم الرجعيون . ونعلن أننا سنعمل وسنتعاون من أجل قوى الشعب الوطنية . ونعمل على عزل الرجعيين . وسأعمل منشور أى منفيستو أحدد فيه أهدافنا وبرنامجنا . ونجرى انتخابات بين قوى الشعب الوطنية لإيجاد مؤتمر عام منتخب بدلا من هذه اللجنة المركزية المعين أعضاءها . وتكون مهمة المؤتمر مناقشة هذا المنشور وإصدار قرار فيه » .

وتكلمت مؤيداً فكرة جمال ، ومؤكدا أنه من الضرورى العمل على إيجاد هذا التفاعل بين الجماهير ودفع روح التحمس بينهم . ولكننى اقترحت أن تسبق هذه المرحلة مرحلة أخرى لضمان إيجاد هذا التفاعل المطلوب ذلك لأننى أخشى أن لا يقدم الأفراد على ما اقترحه جمال بالتحمس الكافى لتأثرهم بالتنظيمات السياسية القائمة كالاتحاد القومى ومجالس الأمة وعدم إعطائهما دوراً إيجابياً فى الفترة الماضية ، واعتقادا منهم أن التنظيم الجديد المقترح لن يكون إلا صورة متكررة من هذه الصور السابقة . واقترحت كمرحلة أولى تسبق ما اقترحه جمال أن نعمل أولاً على إحياء التنظيم القائم وهو الاتحاد القومى ولو لعدة شهور قليلة وذلك باعطائه دوراً إيجابياً فى رسم ومناقشة المسائل الهامة والبت وإصدار القرارات فى بعض الأمور الأخرى وذلك على المستويات المختلفة من التنظيم

ليشعر المواطنون أن الأمر قد اختلف عن السابق، وبعد ذلك يمكن اتخاذ الخطوات المقترحة من جمال. وأيد كمال هذه الفكرة لإهتمامه بإعطاء دور إيجابى للاتحاد القومى.

ورد جمال بأنه يعتقد أن تكوين اللجنة التحضيرية المقترحة وإعطائها (Directive) توجيهَ منه وحضوره جلساتها ثم الإعلان عن المؤتمر وعن المنشور المقترح، وعن أنه ستجرى انتخابات لأعضاء هذا المؤتمر ليقوم بمناقشة المنشور وإقراره، كل هذا كافياً لإيجاد التفاعل المطلوب.

وتكلم جمال أيضاً عن انتخاب أعضاء مجلس الأمة من داخل المؤتمر العام الذى اقترحه بحجة أن المؤتمر العام سيكون هو الممثل الحقيق للشعب.

ولكن عبد الحكيم ذكر أنه إن تم هذا فإنه سيكون خطوة إلى الوراء لأن انتخاب أعضاء مجلس الأمة فى هذه الحالة يكون قد تم على درجتين بدلا من الانتخاب المباشر من الشعب نفسه. وكان الاتجاه العام من أغلب الحاضرين هو الابقاء على نظام الدوائر الانتخابية والانتخاب المباشر لأعضاء مجلس الأمة. وأن يكون هناك مرشحون عن الاتحاد القومى. وأن يسمح لأى مرشح آخر من خارجه التقدم للترشيح أيضاً طالما أنه من ضمن قوى الشعب الوطنية حسب التعريف الذى سيتفق عليه.

ورؤى أن يناقش هذا الموضوع تفصيلياً فى حينه.

وتكلم جمال عن دستور ١٩٥٦ وأن فى الإبقاء عليه دون تعديل فيه حتى يتمشى مع التطور الاجتماعى الذى نسعى الى تحقيقه سيكون خطوة الى الوراء. واتفق الجميع معه فى هذا الرأى. ويظهر أن حسين الشافعى هو الذى اشار بهذا الرأى فى مذكرة أرسلها إلى جمال فى نفس يوم الاجتماع.

وقد طلب جمال عدم تحديد فترة انتقال ولا ذكرها فى البيان خوفاً من رد فعل ذلك عند الجماهير - على حد قوله.

وقال أننا لسنا فى حاجة إلى تحديدها ولا ذكرها. وأنه يمكنه كرئيس للجمهورية أخذ سلطة التشريع إلى أن ينتخب مجلس الأمة الجديد كما جرى عام ١٩٥٦ عندما أجلت انتخابات مجلس الأمة بسبب العدوان الثلاثى على

مصر . وعلى أن يستمر هذا الوضع حتى يتم تكوين المؤتمر وانتخاب مجلس الأمة . واتفق على أن يتم هذا فى مدة لا تزيد عن عام وكأنها فترة الانتقال .

واتفق على الخطوات التى ستتخذ ـ وهى إعلان البيان فى مساء اليوم التالى والإعلان أيضاً عن أعضاء الحكومة الجديدة ـ والعمل كذلك على إعداد المنشور ثم الإعلان عن المؤتمر العام الذى سيقوم بمناقشته . وأن تعد أيضاً كشوفات بأسماء من مستهم القوانين الاشتراكية لمراجعتها والنظر فى أمر ما سيتخذ حيال البعض منهم . وعلى أن نجتمع فى مساء اليوم التالى الإثنين ١٦ أكتوبر بعد انتهاء جمال من إلقاء البيان لاستعراض هذه الأسماء .

الثروة القومية :

وفى مساء اليوم التالى عرضت علينا الكشوفات بأسمائهم التى كان قد طلب إعدادها . وكانت هذه هى أول مرة يتم فيها حصر أصحاب الأراضى الزراعية ممن كانت ملكيتهم تزيد عن المائة فدان . وكذا المالكين لأسهم فى الشركات والتى كانت تزيد قيمة ما يملكون منها عن عشرة آلاف جنيه . واتضح لنا من تلك الكشوفات ان الذين يملكون اكثر من مائة فدان أغلبهم من المصريين . أما أغلب أسهم الشركات فكانت فى أيدى الأجانب والمتمصرين . ولا يملك المصريون منها إلا القليل . وكان واضحاً أيضاً أن الثروة القومية كانت فى أيدى أفراد قلة من الأجانب وبعض عائلات إقطاعية كانت تملك الأراضى الشاسعة فى عديد من المحافظات ذلك بخلاف المبالغ الضخمة قيمة ما كانت تملكه أيضاً من أسهم فى الشركات . ومثلاً فرنسوا تاجر ـ له من الأولاد القصر أربعة ـ وكل منهم يملك ما يزيد عن نصف مليون من الجنيهات وهى قيمة الأسهم التى يملكونها ـ وكذا زوجته . وهو متمصر وليس بمصرى . وقد بدأ نشاطه فى صناعة النسيج فى مصر بعد قيام الثورة وبسلفة من الدولة ، وكون هذه الثروة الضخمة فى مدة لا تزيد عن سبع سنوات وذلك على حساب جهد العامل واستغلال المستهلك أيضاً . وهناك غيره كسباهى وباسيلى وعبود وآخرين .

ولمسنا باطلاعنا على هذه الكشوفات الواقع المرير وهو أن هؤلاء الملايين من البشر فى بلادنا يشقون من أجل حفنة أقلية من الناس لا يزيد عددهم عن المئات بل قل العشرات . وياليتهم من أبناء مصر بل أغلبيتهم غرباء عنها .

قرار بالاعتقال :

وقد تقرر اعتقال البعض منهم أيضا وهم من كان لهم نشاط مضاد للثورة خلال تلك الفترة . وتقرر كذلك إعادة بعض السياسيين القدامى إلى السجن وهم من الذين سبق أن حكمت عليهم محكمة الثورة وكان قد أفرج عنهم إفراجاً صحياً كفؤاد سراج الدين وابراهيم فرج . وبلغ عدد الذين تقرر اعتقالهم أو اعادة سجنهم حوالى ثلاثين شخصاً . وكلف زكريا محيى الدين باتخاذ اجراءات اعتقالهم . وعلى أن يتم ذلك فى صباح يوم الثلاثاء ١٧ أكتوبر ١٩٦١ ـ وكذا وضع الأموال والممتلكات تحت الحراسة . واتخذت تلك الإجراءات لتأمين الثورة والحفاظ على خط سيرها . وكان العامل المؤثر الأول فى اتخاذها هو ما حدث فى سوريا وموقف الرجعيين هناك من الانفصال . ولم نكن نشأ أن يتكرر فى مصر ما حدث فى سوريا .

وبعد يوم ١٦ أكتوبر توقفت عن كتابة يومياتى حتى منتصف شهر يناير ١٩٦٢ . والسبب فى ذلك هو أن جمال كان قد عقد عشرة اجتماعات لمجلس الوزراء بعد تشكيل الوزارة الجديدة . وقد بدأت تلك الاجتماعات من يوم الخميس ١٩ أكتوبر ١٩٦١ حتى يوم الثلاثاء ٢١ نوفمبر ، وسجل ما دار فيها من مناقشات فى محاضر لها . ودارت أغلبها حول الانفصال وردود فعله فى مصر ، وعن الثورة الاشتراكية وضرورة عزل اعدائها وتجريدهم من سلاحهم وهو المال والممتلكات . وجرت كذلك حول قوى الشعب الوطنية ـ من هم وكيفية تنظيمهم . وعن تشكيل اللجنة التحضيرية المقترحة والغرض من قيامها . وانتخاب مؤتمر عام يعرض عليه المنشور الذى سمى بالميثاق الوطنى فيما بعد . كما تناولت المناقشات كذلك سوء الحالة الاقتصادية فى ذلك العام وكيف يمكن مواجهتها وطرق علاجها ووسائل تيسير أعباء المعيشة على المواطنين .

وقد أعلن عن قيام اللجنة للتحضيرية واعضاؤها المائة والخمسون المختارون فى بداية شهر نوفمبر . وكانت اجتماعاتها علنية وقد بدأت قبل نهاية الشهر . وأعلن كذلك عن قيام مؤتمر قوى الشعب الوطنية وحدد موعده لمناقشة الميثاق وإقراره . وقد صدر فى مايو ١٩٦٢ .

وأعتقد أن سبب عدم تدويني لأحداث هذه الفترة هو توفر العلنية فى المناقشات التى جرت سواء فى اللجنة التحضيرية أو فى مؤتمر قوى الشعب الوطنية . وكذا وجود محاضر لاجتماعات مجلس الوزراء تم فيها تسجيل كل ما دار من نقاش .

وكان المؤتمر قد أقر الميثاق . كما أقر أيضاً تقرير لجنة المائة المنبثقة من المؤتمر . وقد اعتبر المؤتمر هذا التقرير جزءاً مكملاً للميثاق نفسه . وبدأت بذلك مرحلة جديدة من مراحل الثورة حدد الميثاق معالمها ، وأصبحت القيادة السياسية ملتزمة بما جاء فيه حتى عام ١٩٧٠ ، إلا إذا رأت التنظيمات الشعبية غير ذلك . وهى صاحبة الأمر فى هذا دون غيرها من القيادات ، وقد نص عنه فى الميثاق نفسه الذى أقره الشعب .

الباب السادس

الشك بين جمال وعبد الحكيم

١ ـ تهديد عبد الحكيم بالاستقالة فى يناير ١٩٦٢ .
٢ ـ تنظيم سرى فى الجيش .
٣ ـ قلق جمال وشكه فى عبد الحكيم .
٤ ـ الوضع فى الجيش .
٥ ـ الحل لاستتباب الوضع فيه .
٦ ـ نفى عبد الحكيم علمه بالتنظيم السرى .
٧ ـ تغيير جمال ضباط الحرس الخاص به .
٨ ـ تسوية الخلاف .
٩ ـ خلاف جديد بين جمال وعبد الحكيم .
١٠ ـ تقديم عبد الحكيم استقالته فى سبتمبر ١٩٦٢ .
١١ ـ محاولة اختفائه فى مرسى مطروح .
١٢ ـ أسباب تقديمه الاستقالة .
١٣ ـ اقتراحات من عبد الحكيم لحل الخلاف .
١٤ ـ الاجتماع مع عبد الحكيم .
١٥ ـ مناقشة حول أمن الجيش .
١٦ ـ اقتراح جمال بتعيين عبد الحكيم رئيساً لمجلس الدفاع الأعلى .
١٧ ـ تمسك عبد الحكيم بقيادة الجيش .
١٨ ـ اقتراح جديد من جمال بتعيين عبد الحكيم نائبا للقائد الاعلى للقوات المسلحة .
١٩ ـ التصدى للاقتراح .
٢٠ ـ الاتفاق على تعيين عبد الحكيم رئيساً لمجلس الدفاع الأعلى .
٢١ ـ تعيين عبد الحكيم نائباً للقائد الأعلى ورئيساً لمجلس الدفاع .
٢٢ ـ تشكيل لجنة دائمة لمجلس الدفاع .
٢٣ ـ خلاف آخر جديد مع عبد الحكيم فى نوفمبر ١٩٦٢ .
٢٤ ـ اعتمادات مطلوبة للعمليات فى اليمن .

٢٥ ـ مطالبة عبد الحكيم بتفويضه سلطات رئيس الجمهورية .
٢٦ ـ خلاف فى مجلس الرئاسة مع عبد الحكيم .
٢٧ ـ تأزم الموقف مع كمال .
٢٨ ـ الاتفاق على تعيين قائد عام جديد .
٢٩ ـ نية كمال فى الاستقالة وأسبابها .
٣٠ ـ حديث فض مجالس .
٣١ ـ ترديد جمال تنازله عن الرئاسة .
٣٢ ـ حديث صريح مع عبد الحكيم عن جمال .
٣٣ ـ خطاب استقالة من عبد الحكيم إلى جمال .
٣٤ ـ تكتل فى الجيش وراء عبد الحكيم .
٣٥ ـ رأى جمال فى عبد الحكيم .
٣٦ ـ التقاء جمال مع عبد الحكيم .
٣٧ ـ البحث عن حل للمشكلة .
٣٨ ـ الحل الوسط .

الشك بين جمال وعبد الحكيم

كانت بذور الشك بين جمال وعبد الحكيم بدأت تتزايد عند بداية عام ١٩٦٢ رغم الصداقة المتينة التى تربط بينهما . وتلك الصداقة كانت قد تدعمت على مر السنين منذ أن تعارفا فى السودان عام ١٩٤٠ أثناء خدمتهما فى الجيش هناك . وكانت تلك العلاقة والثقة المتبادلة بين الإثنين هى التى دفعت جمال عبد الناصر الى اقتراح تعيين عبد الحكيم قائداً عاماً للقوات المسلحة عام ١٩٥٣ بدلاً من اللواء أ . ح . محمد نجيب رغم معرفته أنه هو لم يكن أصلح من كان يتولى هذه المسئولية لو كان الاختيار من بين مجموعة مجلس قيادة الثورة ، وذلك باعتراف جمال نفسه بعد سنوات من هذا التعيين عندما كانت تتأزم الأمور بينهما .

وكان واضحاً للبعض من أعضاء مجلس قيادة الثورة أن ترشيح جمال لعبد الحكيم بتولى هذا المنصب لم يكن أساساً إلا لغرض سياسى حتى يضمن بذلك أن تصبح القوة السياسية إلى جانبه عن طريق مساندة الجيش له دون باقى مجلس قيادة الثورة . وكان عبد الحكيم هو أصلح من يحقق له هذا الهدف بحكم الصداقة والثقة المتبادلة بينهما وقد تحقق هدف جمال .

ولم يكن قد وصلته بعد معلومات كافية أثناء التقائنا تؤكد له ما سبق وأبلغ إليه . والمراقبة كانت لا تزال قائمة ومستمرة على هؤلاء الضباط .

ويقول جمال « وأنت تتذكر بعد أزمة سوريا وانفصالها ، ورغبة عبد الحكيم فى ترك قيادة الجيش ، وطلبه منى فى أن أتكلم معكم . ووافقته على تركها ولكنه عاد وتمسك بها . واتفقنا معه على استبعاد بعض القيادات ممن أساءوا التصرف والذين لا يصلحون للقيادة . وطلب مهلة شهر لينفذ ما اتفق عليه ولكن مضى الآن أربعة شهور ولم ينفذ شيئاً مما تم الاتفاق عليه . وأكثر من هذا أنهم يحاولون إشاعة أن شمس بدران مرتبط بى شخصياً وليس بعبد الحكيم حتى تنعكس على ردود فعل تصرفاته . وعبد الحكيم قام بعمل تنقلات داخل الجيش ، ووضع معارفه وأصدقاءه وضباط دفعته فى المراكز المهمة به . وأنت تعلم أن تعيين القيادات الرئيسية والترقيات إلى رتبة اللواء وما فوقها من سلطة رئيس الجمهورية ، ولكن عبد الحكيم كان قد طلب منى فى الماضى تفويضه فى كل هذا على مرات متتالية وكنت قد وافقته عليها . وكنت قد طلبت منه بعد أزمة سوريا أن يعمل على زيادة الحرس الخاص المعين لحراستى حتى يصبح قوته لواء به كتيبة مدرعات وكتيبة مدافع ماكينة . وأن يعسكر الحرس بالقرب من منزلى زيادة فى الحيطة نظراً للظروف ولكن لم يتم شىء للآن من هذا . فما معنى هذا كله . هل هو تكتيك لعمل معين . وهل أنا استغفلت فى كل هذا . وهل القصد هو وضعنا فى (corner) مأزق - يقوم بطلب الاستقالة ويصر عليها - وإذا قبلت بتدخل الجيش لإعادته » .

دولتين :

ويستطرد أيضاً « هل هناك Two States (دولتين) - الجيش - والدولة - الوضع لا يستقيم على هذه الصورة - هل كنتم شاعرين بأن هذه الصورة موجودة من مدة لأن زكريا قال لى أنها واضحة لكم من سنين ، وأنكم كنتم تتساءلون هل جمال ملاحظ هذه الأوضاع أم لا . وأنا كنت أعتقد أن رجاله عبد الحكيم أو رجالة أى واحد فيكم هم رجالتى . وإذا ارتبطوا بكم أحسن من أن يرتبطوا بأشخاص آخرين معادين . وكان أى واحد منكم يطلب تعيين أى شخص كنت

صورة عن تلك الخلافات التى كنت قد دونتها فى يومياتى - آسبابها وتطورها وكيف انتهت .

كنت قد علمت من جمال اثناء التقائنا يوم الأربعاء ١٠ يناير ١٩٦٢ أن عبد الحكيم كان قد ذهب إلى كمال الدين حسين فى منزله منذ أيام قلائل وأخبره أنه قد صمم على الاستقالة . وأنه سيتخذ هذه الخطوة عندما يعود من زيارته التى تقررت للهند وأندونيسيا . وقد أراد أن نعلم ذلك حتى لا نفاجىء بها . كما ذكر لكمال ايضا أن جسمه قد تسمم ودمه كذلك . وذكر ذلك تعبيراً عن مدى الضيق الذى وصل إليه . وعندما سأله كمال عن السبب الذى يدعوه إلى الاستقالة - أجابه - أنه الصراع مع الإخوان أى زملائه أعضاء مجلس الثورة . واستفسرت من جمال عن مظاهر هذا الصراع الذى أشار إليه عبد الحكيم فى حديثه مع كمال .

فأجابنى بأنه يقصده هو وليس زملائه . واستطرد ذاكراً أن موقف عبد الحكيم قد تعقد من يوم أن علم بالحديث الذى كان قد دار بين صلاح وزكريا وبوجود أنور السادات وحسين الشافعى عندما ذهبوا لزيارة صلاح أثناء مرضه سنة ١٩٦٠ . وكان الحديث حول معركة السويس وموقف الجيش منها وفشل عبد الحكيم فى قيادته له .

وقد رأى جمال أن يبدأ فى ذكر القصة من أولها حتى تتضح الصورة لى كاملة - على حد قوله - وحتى يصبح فى إمكانى أن أكوِّن رأياً فى الموضوع .

اهتزاز الثقة بين جمال وعبد الحكيم :

وذكر جمال لى عدة موضوعات أغلبها كان مرتبط بما يجرى فى الجيش . وكانت تدل على أن الثقة بينه وبين عبد الحكيم قد أصابها الاهتزاز إن لم يكن الشك نفسه . وليس هنا محل لذكر كل تلك الموضوعات التى قيلت لى ولكننى سأورد هنا واحدة منها فقط كمثال . وما جاء أيضا على لسان جمال من تعقيب على ما كان يجرى فى الجيش ، الأمر الذى يؤكد أن الشك كان قد تملكه من تصرفات عبد الحكيم فيه .

ولكن مع مرور الوقت ومواجهة المشاكل السياسية والعسكرية المتعددة وما يصاحبها عادة من تصادم أو خلاف فقد تأثرت تلك الصداقة واهتزت الثقة التى كانت متوافرة بينهما . وكانت حرب السويس وأحداثها والتصرفات الخاطئة أثناءها من بعض القادة العسكريين هى بداية اهتزاز تلك الثقة . ذلك أن الأمر كان يتطلب بالضرورة بعد ارتكاب تلك الأخطاء العمل على تغيير هذه القيادات ونقلها بعيداً عن الجيش . ولكن عبد الحكيم كان قد أصر على التمسك بهم مع استمرارهم فى مواقعهم رغم أخطائهم . ولم يحاول جمال من جانبه التصرف بعد هذا الموقف المتشدد من عبد الحكيم .

واستمر عبد الحكيم يقود الجيش . وكانت قوته تزداد فيه يوماً بعد يوم ذلك بتعيينه قيادات الوحدات المختلفة من بين الضباط الذين يضمن ولاءهم له شخصياً . وكذلك عن طريق المساعدات والخدمات التى كان يقدمها أيضاً للبعض من ضباط الجيش . كما أنه عمل كذلك على تعيين الكثيرين منهم فى أجهزة الدولة المدنية . وكان هذا كله بعلم وموافقة جمال .

ومع مضى الوقت بعد حرب السويس كانت العلاقة بينهما قد عادت إلى ما كانت عليه فى السابق . ولم يكن هناك مايعكر صفوها إلى أن وقع الانقلاب العسكرى فى سوريا يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ والذى أدى إلى انفصالها عن الجمهورية العربية المتحدة . وكان الرأى بعد الانفصال أن يبعد عبد الحكيم عن قيادة الجيش . وهو نفسه قد طلب اتخاذ هذه الخطوة . ولكنه عاد وتمسك بضرورة استمراره قائداً عاماً . وكان له ما أراد . ولم يأخذ جمال منه موقفاً أيضاً . ولكن هذا لم يمنع من أن يدب الخلاف بينهما ثانية وبصورة أشد عنفاً من المرات السابقة حتى وصل بهما الى درجة الشك واعتقاد كل منهما أن الآخر يهدف إلى التخلص منه أو أنه يعمل على إضعاف قوته السياسية على الأقل .

ومما لا ريب فيه أن مثل هذه الشكوك يكون لها تأثيرها على تفكير وتصرفات كل منهما والذى بدوره أيضاً يؤثر على خط سير الثورة ويبطء من عجلة اندفاعها نحو أهدافها .

ومن أجل أن تتضح تلك الصورة أكثر فإنه من الأفضل أن أقدم للقارىء

قال جمال أن أحد الضباط من سلاح المدفعية كان قد أبلغه عن طريق مكتبه فى أوائل يناير ١٩٦٢ عن وجود تنظيم سرى فى الجيش باسم الضباط الأحرار. وأن هذا التنظيم يرأسه ضابط إسمه حسن رفعت وهو فى رتبة اليوزباشى وقريب البلتاجى أحد الضباط الأحرار ومن الذين خرجوا ليلة ٢٣ يوليو. ولهذا التنظيم لجنة تأسيسية مكونة من خمسة عشر عضواً. والضابط المبلغ نفسه أحد أعضائها ويمثل سلاح المدفعية فيها. وأعتقد هذا الضابط فى البداية أن التنظيم مرتبط أساساً بالنظام القائم فى البلاد وليس مضاداً له. وذكر أن اجتماعاتهم تتم مرة فى كل أسبوع. ويدور الحديث فيها حول المسائل العامة وما يجرى فى البلاد. ولكنه لاحظ قبل حدوث الانقلاب فى سوريا بحوالى ثلاثة أشهر أن أحاديثهم فى اجتماعاتهم التى كانت تعقد بدأت تدور حول الوضع القائم فى مصر والفساد فيها والانتهازية والاستغلال. وأنه لن يقضى على هذا الفساد المنتشر إلا إذا تخلصوا من جمال عبد الناصر. وأن يتولى الأمر فى البلاد بدلاً منه عبد الحكيم عامر. كما ذكر هذا الضابط المبلغ أيضا ان حسن رفعت رئيس التنظيم له نفوذ كبير فى الجيش. وقد عمل على نقله إلى سوريا مع مجموعة أخرى من الضباط. كما أنه يصرف عن بذخ. وكان هذا الضابط المبلغ قد استمر وجوده فى سوريا حتى وقع الانقلاب هناك فعاد إلى مصر. وأن اجتماعاتهم بعد أن عاد إلى القاهرة استمرت أيضاً. ولكنه لاحظ أن ما يدور فيها من مناقشات أصبح كله مركز حول جمال عبد الناصر. ومن أنه مريض. وينفرد فى اتخاذ القرارات دون أن يشرك أحداً معه فيها. وأنه متعصب لرأيه ولايحب أن يناقشة أحد. ومن أنه سيخرب البلد ـ على حد قولهم.

ويقول جمال أنه لم يصدق ما ذكر له وخشى أن يكون فى الأمر مكيدة بقصد الإثارة وإيقاع الشك فى نفسه. لذا ـ طلب من أجهزة الأمن فى البلاد أن تعمل على مراقبة مجموعة الضباط المشتركة فى هذا التنظيم. وأن تركز المراقبة خاصة على أعضاء اللجنة التأسيسية الذين ذكرت أسماءهم. ومعرفة ما إذا كانت تجرى بينهم اجتماعات أم لا. وما الذى يدور بينهم من أحاديث أثناء تلك الاجتماعات. وأن تبلغ إليه نتيجة تلك المراقبة أولاً بأول حتى يتأكد بنفسه من صحة تلك المعلومات التى كانت قد جاءت على لسان الضابط المبلغ.

لا اعترض طـالما أنه لا يمس أى مبدأ من مبادئنا ـ صـحيح أن طلباتك فى هذا الشـأن لا تذكر، ولكن عبد الحكيم والتعيينات التى كان يطلبهـا لأشـخاص فى وظائف مدنية لا حصر لها. فهل كان وراء ذلك هدف ».

ثم سألنى « هل كانت هذه الصورة واضحة لكم كما يقول زكريا ».

اجبته ـ كان واضحاً أن عبد الحكيم مستمد قوته منك. وإذا طلب اى شىء من أى وزير فمعناه أن هذه هى رغبتك. وأن هناك اتفاقا عليه بينكما.

خطاب من شمس :

وذكرت ما كنت قد سمعته عن أن شمس بدران قام بارسال خطابات الى جميع المؤسسات العامة والشركات يبلغهم فيها أن أى وظيفة تخلو فى تلك المؤسسات أو الشركات لا بد من اخطار مكتب عبد الحكيم بها. وأن لا يتم التعيين فيهـا أو شغلها الا بعد موافقة مكتب القائد العام. وقلت اننى اعتقد أن شمس قد تصرف هذا التصرف من تلقاء نفسه دون الرجوع الى عبد الحكيم لأنه يتصرف فى كثير من الأمور دون علمه، وهو قد اسـتمد قوته فى الجيش من قدرته على تعيين أى شـخص أو نقله. ولكن جمال اسـتبعد أن يقـوم شمس بمثل هذا العمل دون علم عبد الحكيم وموافقته.

وحاولت أن أبعد الشك عن جمال الذى أحسست به من حديثه عن عبد الحكيم فأكدت له إخلاصه وأن الصالح العام يهمه، واستبعدت أن يفكر عبد الحكيم فى الاستقالة ويصر عليها بغرض دفع الجيش إلى التدخل وإعادته إلى منصبه لأنه يعلم مدى الضرر البليغ الذى سيقع على البلاد إن حدث هذا.

فقال جمال : لو حدث هذا فأنا لا بد أن أروّح لأن الجيش يصبح هو الذى يحكم. وأنت لا تعرف عبد الحكيم. إن أخلاقه أخلاق قبلية. وهو قد جرح. ولن ينسى أننى قلت له يمشى ويترك القيادة. وأنت تذكر ليلة أن كنا مجتمعين هنا فى منزلى وأبلغ عبد الحكيم أن هناك بعضاً من الضباط مجتمعين فى احدى الوحدات، وان الوحدة معدة للتحرك ـ هل لاحظت كيف كانت يده ترتعش. إن أعصابه تعبانة وأصبح غير قادر على القيادة.

ويستطرد ـ بعد هذا الحادث بيوم أن كان الجيش كله يعلم بالقصة ـ وكان

فضيحة لأنه أرسل عدة لواءات واحداً وراء الآخر لاستطلاع الأمر . ولما ذهبوا إلى هناك لم يجدوا شيئاً .

ويستطرد جمال ويذكر « أن انور السادات يقول وكنت قد تحدثت معه عن كلام عبد الحكيم لكمال أنه لاحظ من فترة أن أعصاب عبد الحكيم تعبانة ، وأنه لا بد أن يترك الجيش خوفا من أن يحدث له (collapse) انهيار » .

وذكر جمال أنه تحدث مع حسين الشافعى فى هذا الموضوع أيضاً فى اليوم السابق لهذا اللقاء بيننا . وقال من الممكن أن تتكلم مع أنور وزكريا وتخبرونى برأيكم .

فقلت ـ بعد انفصال سوريا اعتقدت أن عبد الحكيم ربما يقدم على الاستقالة ، وأخبرت حسن ابراهيم بذلك . وقدرت أنه ربما ينتظر الى أن تهدأ الأمور حتى لايرتبط ما حدث فى سوريا باستقالته وحتى لا يضار الصالح العام . ولكن لم يخطر فى ذهنى أنه ربما يعمد إلى وضعنا فى مأزق كما ذكرت .

واستطردت ـ وعندما ناقشت الأمر مع حسن إبراهيم وما يجب علينا عمله لو أقدم عبد الحكيم على هذه الخطوة ـ رأينا أن الحل هو أن نبتعد جميعاً عن السلطة التنفيذية . وأن نكوّن ما يشبه القيادة الجماعية لرسم السياسة العامة ومتابعتها . وأن تترك لك حرية الاستعانة بأى فرد منا فى أى أمر تراه ونحن بعيدين عن ممارسة السلطة وهذا حل يمكن أن تفكر فيه .

قال : أتذكر فى الصيف عندما تكلمت معك عن اعادة تشكيل الوزارة ـ التشكيل الذى صدر قبل الانقلاب فى سوريا ـ كان عبد الحكيم قد اقترح أن يترك جميع الإخوان السلطة التنفيذية ، وعلى أن نعمل جميعاً فى الاتحاد القومى . وذكرت له عندما تقدم لى بهذا الاقتراح أن الأوضاع فى هذه البلاد لا يحترم الشخص فيها إلا لمنصبه . وتم الاتفاق على أن يصبح جميع الاخوان نواباً لرئيس الجمهورية وبدون سلطات . وتذكر عندما تحدثت إليك لتتولى منصب نائب رئيس الجمهورية لشئون التخطيط ـ وسألتنى عن سلطة الوزير ولمن ستكون ـ وهل هى لك أو لوزير التخطيط ـ وقلت لأنك بدون هذه السلطة لا تكون مسئولا عن الخطة ولا عن متابعتها . واتفقت معك على أن يعين أحمد

فرج وزير دولة للتخطيط وان تحتفظ بسلطة الوزير . ولكن بعد أن كنت قد تكلمت معكم جميعا على هذا التغيير الذى اقترحه وتم الاتفاق عليه . عاد هو وتكلم معى وابدى رغبته فى أن يحتفظ لنفسه بقيادة الجيش رغ أنه سبق واتفق معى على تركها ، ووضعنى بتمسكه بها فى corner مأزق بعد أن كنت قد اتفقت معكم جميعاً . وأصبحت أمام مشكلة ، ولا بد أن أتصرف - وهذا هو السبب فى أن التشكيل صدر بالصورة التى صدر بها - نواب لرئيس الجمهورية لشئون كذا فيما عداه .

جمال : « يظهر أنى أتخميت »

وتساءل جمال : هل كان هذا ايضاً بناء على تكتيك - لقد أصبحت فى حيرة - ويظهر أننى اتخميت .

ولما حاولت استبعاد أن يلجأ عبد الحكيم إلى أعمال ربما تضر الصالح العام ، قال « لا تنسى العامل البشرى - وهو يشعر أنه جرح - والصالح العام يضيع فى مثل هذه الحالات » .

وجاء فى يومياتى أيضاً تعقيباً على هذا الحديث الذى جرى ، لقد وضح لى من حديث جمال أنه قلق ويخشى أن يقدم عبد الحكيم على عمل يضعه ويضعنا معه فى مأزق يضار به الصالح العام . وهو يود أن يبعده عن الجيش ، وعلى أن يكون ذلك بموافقة جميع الاخوان . ولكن أغلبهم قد تعلم من الماضى ، ذلك لأن جمال غالباً ما ينتهى فى مثل هذه الأمور من الخلافات مع عبد الحكيم الى اتفاق معه وبتنازلات منه أيضا لإرضائه . وقد تكرر هذا فى الماضى وليس من المستبعد أن يحدث ذلك ثانية .

وفى يوم الجمعة ١٢ يناير ١٩٦٢ اجتمعت مع انور وزكريا وحضر حسين الشافعى عندما علم بوجودنا فى منزل زكريا .

ودارت بيننا المناقشة حول ماذكره جمال لنا ، وعن الوضع فى الجيش ، والحلول التى نراها لإصلاح الأمر فيه .

وخلصنا إلى أن الوضع فى الجيش غير مستقر ولا مستتب . وأن ذلك ناتج عن

تصرفات بعض الضـباط فيه المتصـلين بعبد الحكيم . ولا بد من عمل تغيير فى قياداته رغم موقف عبد الحكيم منها وتمسكه بهم وعدم استعداده لتنفيذ ما كان قد تم الاتفـاق عليه . كما وأن الثقـة بين جمال وبينه قد أصـابها كثير من الاهتزاز . وإن استمرت تلك الأوضـاع وعلى هذه الصـورة فسـيترتب عنهـا ازدياد الموقف سوءا وربما تؤدى فى النهاية إلى كارثة تؤثر على مستقبل البلاد .

حتى أقرب أصدقائه :

والحـل لذلك هو أن يبعـد عبد الحكيم عن الجيش ، ويعمل أيضـاً على تغيير بعض القيادات فيه ، وربما يصر عبد الحكيم إن تقـرر ذلك على الانفصـال كلية عن النظام . وانفصـاله عنه سـيكون له تأثيره حيث أنه من عمد النظام ، وصداقته بجمال معروفة للرأى العام الداخلى والخارجى كذلك . وإن انفصل فربما ذلك يؤثر على سمعة جمال نفسه لأنه سـيؤكد المعـنى الذى يتردد ويشـاع على أنه لا يمكن التعاون معه . وسيقال انه حتى أقرب اصـدقائه لم يجد بداً من الابتعـاد والانفصال عن نظامه بعد أن وجد صعوبة الاستمرار فى التعاون معه .

وعلى ضوء هذا رؤى أن أنسب الحلول وأقلها ضرراً هو أن يبعـد عبد الحكيم عن قيادته للجيش على أن يسـتمر مرتبطاً بالنظام ودون اختصـاص محـمد كباقى زملائه نواب رئيس الجمهورية . ولكن كان التسـاؤل عن مدى اسـتعداده هو فى قبول هذا الحل ، وأنه يقبله ان كان يهمه الصـالح العـام . ولكن كيف يقبله وهو حتى لم يحاول تنفيذ ما سبق الاتفاق عليه من اجراء بعض التغييرات فى قيادات الجيش .

اجراءات أمن :

وقد رأينا إن تقرر اسـتبعاد عبد الحكيم عن الجيش أن تتخـذ إجـراءات أمن لتفـادى وقوع أية مشكلة داخـل الجيش خـاصة من هؤلاء الضـباط المرتبطة مصـالحهم باسـتمرار وبقـاء عبد الحكيم قائداً عاماً . كما رؤى التأكد أيضـاً من المعلومات التى كانت تفيد بأن هناك تنظيماً سرياً فى الجيش يعمل لصـالح عبد الحكيم . وأن تتخـذ إجـراءات اعتقـال أعضـائه إن تأكدت هذه المعلومات ويجـرى تحقيقـاً معهـم . والعمل كذلك على تغيير بعض القيادات واسـتبدالها

بقيادات أخرى لها كفاءتها وسمعتها . وهذا لإجراء ضرورى وواجب سواء استقال عبد الحكيم أو بقى .

وقام زكريا بإبلاغ جمال فى اليوم التالى لهذا الاجتماع بما وصلنا إليه من حلول . وعلم زكريا منه أنه كان قد استدعى الضابط الذى أبلغ عن التنظيم السرى وتأكد منه بنفسه عن تلك المعلومات التى وصلته . واتضح أنها صحيحة . وقد ذكر له الضابط أن تركيز الهجوم عليه أى على جمال كان قد بدأ أثناء وجودهم فى سوريا قبل وقوع الانقلاب هناك . وقد استمر بعد عودتهم إلى القاهرة ، وأن الاتفاق قد تم بين أعضاء التنظيم على الاستعداد للقيام بعمل فى شهر مارس ١٩٦٢ . وعلى أن يكون ذلك بعد انتهاء المؤتمر العام لقوى الشعب الوطنية . ذلك لاعتقادهم أن المؤتمر سيفشل . وسيكون رد فعل هذا الفشل فى صالحهم .

وكنت قد اتصلت بجمال تليفونياً يوم الإثنين ١٥ يناير ١٩٦٢ لأهنئه بعيد ميلاده وعلمت منه أنه اتصل بعبد الحكيم وسأله هل هو ينوى السفر إلى الهند وأندونيسيا دون زيارته . وكان كمال هو الذى طلب من جمال اتخاذ هذه الخطوة والاتصال بعبد الحكيم قبل سفره .

ويقول جمال أن عبد الحكيم اجابه على هذا التساؤل منه بأنه سيتعذر عليه ذلك وأنه رد عليه بقوله « إن كان متعذراً عليك فهو متعذراً علينا أيضاً » . ولكنهما ألتقيا سوياً بعد هذه المحادثة .

دهشة عبد الحكيم :

وفى أثناء هذا اللقاء سأله جمال عن الأمن فى الجيش - فطمأنه عبد الحكيم . ولما استفسر منه جمال عما اذا كان قد طلب من البلتاجى القيام بعمل تنظيم سرى فى الجيش فقد أجابه بالنفى ، وقام جمال بإبلاغه عما لديه من معلومات عن هذا التنظيم السرى . وأبدى عبد الحكيم دهشته واستغرابه .

وذكر لى جمال أيضاً أن الضابط محمد توفيق عويضة كان قد طلب مقابلته وأبلغه هو كذلك عن تنظيمات حسن رفعت فى الجيش ، كما أبلغه أن التنظيم بدأ فى اتخاذ ترتيبات ترشيح أفراد منه فى قوة الحرس الخاصة التى ستعين لحراسة

منزل جمال . وذكر له أسماء أربعة من الضباط المرشحين من جانب التنظيم . ويقول جمال أنهم كانوا فعلاً من ضمن المرشحين . وعلم منه كذلك ان خطتهم بنيت على أن يقوم اللواء الحرس نفسه بالانقلاب بعد أن يعين فيه ضباط من أعضاء التنظيم . ولما علم جمال بذلك قام باستبعاد كل الضباط الذين رشحوا لهذه القوة . وقام هو بنفسه بترشيح آخرين يثق بهم ويعرفهم معرفة شخصية . كما أنه غير قائد مدرسة المدرعات كذلك بضابط آخر من الضباط الأحرار زيادة فى الحرص منه لأن قوة تلك المدرسة كانت كبيرة وخشى من أن تستخدم .

إحالة ٢٥ ضابطاً للمعاش :

وعلمت منه يوم ٢٨ يناير ١٩٦٢ بعد اجتماع مجلس الوزراء أنه أحال إلى المعاش خمسة وعشرون ضابطاً من المتصلين بموضوع داوود عويس المتهم بإرسال منشورات سرية باسم الضباط الأحرار. كما أنه أمر كذلك بإلقاء القبض على اليوزباشى حسن رفعت. وطلب من صلاح نصر وشمس بدران القيام باستجوابه . وقد أخبرهما حسن رفعت عند استجوابه أنه كان يعد العدة لعمل انقلاب مضاد لجمال عبد الناصر لا نحرافه واتجاهه الى الشيوعية على حد قوله . كما اعترف لهما أيضاً أنه أبلغ البلتاجى عن التنظيم وأهدافه فى نوفمبر ١٩٦١ ، وطلب منه أن يسهل له مقابلة عبد الحكيم ليقنعه بأن يتولى الأمر بعد إتمام الانقلاب . وكان البلتاجى قد طلب منه عندما أبلغه ذلك التزام الهدوء مؤقتا وبحجة أن الجو فيه بلبلة على حد قوله ـ وطلب جمال من كمال الدين حسين استدعاء البلتاجى وسؤاله فيما ذكره حسن رفعت بعد أن اعتذر صلاح نصر وشمس بدران عن القيام بهذه المهمة لصداقتهما به .

وقد عمل جمال على تسوية الخلاف مع عبد الحكيم قبل سفره إلى الهند وأندونيسيا . ولكن كيف تمت هذه التسوية وعلى أى أساس لا علم لى بها . ولم يذكر جمال لى شيئاً عنها . وقد بقيت القيادات التى كان من الواجب العمل على نقلها فى أماكنها دون تغيير .

واستمرت العلاقة بينهما بعد ذلك هادئة وعلى أحسن ما تكون العلاقة وليس هناك أى مظهر لأى خلاف بينهما الى أن فوجئت بوجود خلاف جديد .

جمال فى مشكلة مع عبد الحكيم :

وكانت هذه المفاجأة عندما اتصل بى جمال يوم السبت ٢٢ سبتمبر ١٩٦٢ وذكر أنه واقع فى مشكلة . ولما استفسرت منه عن نوعيتها قال ـ عبد الحكيم ـ وأضاف أنه أرسل إليه خطاباً باستقالته . ولما سألت عن دوافع تلك الاستقالة قال أنه يفضل أن يقص علىّ القصة من بدايتها وكيف تطورت .

ويقول جمال أنه كان قد حضر من برج العرب إلى القاهرة منذ أسبوع ـ يوم الجمعة . واتفق مع عبد الحكيم على أن يتقابلا فى اليوم التالى لحضوره . وأمضيا اليوم كله ـ السبت ١٥ سبتمبر سويا . وتحدثا عن أمن الجيش . وطلب منه جمال أن يعطى هذه الناحية شيئاً من اهتمامه . ولكن عبد الحكيم أشار فى حديثه معه إلى أن هذا يتعارض مع التنظيم السياسى الجديد الذى تم الاتفاق عليه فى أغسطس فى الإسكندرية ـ وتساءل عما إذا كان الذى يطلبه منه جمال استثناءاً من هذا الاتفاق ، ويقول جمال أنه أكد له أن ليس فى ذلك أى استثناء وأن مسئولياتنا قبل الأجهزة المختلفة فى الدولة ستظل قائمة . كما ذكر له انه لا يعقل أن نسلم الجيش مع أهميته الخاصة إلى القائد العام الجديد ونتركه يتصرف فيه كيفما شاء ونسلم اليه رقابنا ـ على حد تعبيره ويذكر جمال أن عبد الحكيم رد على ذلك بقوله أن الجيش سيصبح مسئولا من شخص آخر غيره والأمر لا يستقم بتدخله . وان تدخل فمعنى ذلك ـ على حد تعبيره ـ انه يعمل من وراء ذقنه .

وقال جمال أنه كان قد سبق وتكلم مع عبد الحكيم فى نفس الموضوع ونحن فى الاسكندرية بعد الاجتماع الذى عقد بيننا لاقرار التنظيم السياسى الجديد للمرحلة المقبلة . والذى تم الاتفاق فيه على ضرورة قيام الدولة على مؤسسات سياسية ضماناً للمستقبل وتنفيذاً لما هو وارد فى الميثاق الوطنى . وكان قد اتفق فيه أيضاً على تشكيل مجلس رئاسة كقيادة جماعية ، وعلى أن يعتبر هذ المجلس هو الهيئة العليا لسلطة الدولة . وأن يختص برسم السياسة العامة ومتابعتها والموافقة على القوانين والقرارات قبل أن يصدرها رئيس الجمهورية . ولا يتولى أحدا من اعضائه عملا فى السلطة التنفيذية . وكان عبد الحكيم عضوا بهذا المجلس وباقى الزملاء أيضا وهم كمال الدين حسين وزكريا محى الدين وحسن

ابراهيم وحسين الشافعى وانور السادات وأنا بخلاف من ضم اليه من خارج مجموعتنا وهم كمال رفعت وعلى صبرى وأحمد عبده الشراباصى ونور الدين طراف . واتفق على أن يرأس هذا المجلس جمال . وتطبيقا لهذا النظام الجديد كان سيعين قائدا عاما جديدا للجيش بدلا من عبد الحكيم . وهذا هو التنظيم الذى يشير اليه عبد الحكيم فى حديثه السابق مع جمال .

شمس للأمن :

ويقول جمال أنه عندما تحدث مع عبد الحكيم فى الإسكندرية عن أمن الجيش وضرورة اهتمامه به ، فقد أجابه بأن ذلك سيصبح من المتعذر عليه بعد قيام مجلس الرئاسة . كما أبلغه أيضا انه سيقوم بالسفر الى القاهرة ليعمل على تصفية موظفى مكتبه . وذلك بتعيينهم ملحقين عسكريين أو فى أية مناصب أخرى قبل أن يعلن عن التنظيم الجديد . فطلب منه جمال أن يستمروا فى عملهم كخدمة وطنية منهم ولكن عبد الحكيم اعتذر حجة أنهم لايمكنهم العمل مع شخص آخر غيره ، فاقترح عليه جمال أن يعين شمس بدران نائباً لمدير المخابرات العامة لشئون امن الجيش ، ووافق شمس على ذلك بعد أن أخطره عبد الحكيم .

ويستطرد جمال ويذكر أن عبد الحكيم اتفق معه أثناء تلك المقابلة الأخيرة فى القاهرة على أنه سيرسل إليه شمس بدران فى اليوم التالى ـ الأحد ـ ليتحدث جمال معه عن أمن الجيش .

ولما حضر شمس الى جمال ذكر أثناء مناقشته فى أمن الجيش ان التنظيم السياسى الجديد المقترح سيكون فيه خطورة على الوضع داخل الجيش ، وذلك بحجة ان وجود عبد الحكيم فيه كقائد عام كان يعتبر كرمز للثورة وممثلا لها ولكن ابعاده عنه سيفتح الباب للطامعين والانتهازيين ـ على حد قوله . وأن استمرار شمس فى الجيش بعد أن يتركه المشير سيجعل تلك الاشاعة التى تتردد بين الضباط على أنه يقوم بالعمل كجاسوس للريس على المشير تثبت وتزداد تأكيداً ـ ولذا فهو يفضل أن يبعد هو كذلك عن الجيش .

ولقد حاول جمال أن يشرح له أهمية هذا التنظيم المقترح فى مستقبل البلاد . وان ذلك ما هو الا تنفيذا لما ورد فى الميثاق ، وما وعدنا به الشعب ، وأنه من

الضرورى أن يقوم التنظيم على مؤسسات وليس على افراد ، حتى تستقر الاوضاع ولا يتأثر النظام بفقدان أى شخص من قادته .

واقترح عليه شمس أن ينفذ التنظيم الذى تم الاتفاق عليه فيما عدا الجزء الخاص بالجيش وذلك حتى يستمر عبد الحكيم قائدا عاما له .

وأوضح له جمال أن الأمر لا يستقيم مع وجود على صبرى رئيساً للمجلس التنفيذى لأن عبد الحكيم سيصبح تحت رئاسته فى هذه الحالة .

وسأله جمال عما اذا كانت هذه هى رغبة عبد الحكيم ـ لكنه أجاب أن هذا هو رأيه الشخصى .

وطلب منه جمال فى نهاية المقابلة أن يعود إليه ثانية يوم الثلاثاء ومعه خطة كاملة عن أمن الجيش ليناقشه فيها .

وفى يوم الثلاثاء ١٨ سبتمبر عاود شمس فتح موضوع عبد الحكيم ثانية أثناء مقابلته مع جمال ، واقترح عليه حلا آخرا وهو أن يستمر عبد الحكيم قائدا عاما ووزيرا للحربية وأن يتبع رئاسة الجمهورية . وذلك للتغلب على مشكلة وجود على صبرى رئيساً للمجلس التنفيذى . ولكن جمال لم يوافق على ذلك وذكر له أن هذا معناه تقسيم البلد الى قسمين ـ الجيش فى ناحية منها وباقى الاجهزة فى ناحية اخرى وانه يفضل فى هذه الحالة استمرار الوضع القائم كما هو .

وقلت لجمال ربما يكون الحل إن رأى ضرورة استمرار عبد الحكيم قائداً عاماً أن يعينه هو رئيساً للمجلس التنفيذى ووزيراً للحربية حتى يصبح الشكل سليماً ولا غبار عليه . فذكر أنه سبق وعرض عليه رئاسة المجلس التنفيذى ولكنه رفض .

ويستطرد جمال ويذكر أنه سيكون فى التنظيم كما تعلم مجلس دفاع أعلى ، ومن الممكن أن يعين عبد الحكيم نائباً لرئيس الجمهورية لشئون هذا المجلس ، وأن يشرف أيضاً على المكتب العسكرى لشئون أمن الجيش برئاسة الجمهورية .

ثم يستمر جمال فى الحديث ويقول أن شمس فى يوم الخميس ٢٠ سبتمبر طلب منه أن يحدد له موعداً للمقابلة . وحضر إليه فى الساعة الثامنة من مساء نفس اليوم وقام بتسليمه خطاباً من عبد الحكيم ، وقال شمس عند تسليمه الخطاب

أن القائد ـ أى عبد الحكيم ـ قد طلبه وسلمه هذا الخطاب وهو يقول أنه يعتذر عن الاستمرار فى الحكم ، وأنه مصمم على الاستقالة هذه المرة أكثر من تصميمه عليها فى يناير الماضى . وعقب شمس بعد هذا الإبلاغ منه بقوله أنه من المهم أن تبقى علاقاتكما الشخصية قائمة .

استقالة المشير :

ويقول جمال أنه لما سأله عن أسباب هذه الاستقالة فقد أجابه بأن القائد يقول « طالما أنهم قد اطمأنوا إلى أمن الجيش وإدارته بدونى فقد قررت بعد هذا الاطمئنان منهم اعتزال الحياة العامة ـ وهذه المسئولية هى التى كانت تربطنى بضرورة الاستمرار فى العمل ـ واعتزالى الحياة العامة كانت رغبتى من مدة طويلة ـ ولكن احتياجهم إلىّ فى الجيش هو الذى ربطنى طوال هذه الفترة » .

ولما اقترحت على جمال أن يذهب البعض منا إلى عبد الحكيم لإقناعه بسحب هذه الاستقالة أجاب أن مكانه غير معروف لأنه غادر المنزل بسيارة صغيرة وبرفقته على شفيق وبدون سائق . وأنه ـ أى عبد الحكيم ـ ذكر لشمس أنه سيذهب إلى مكان مجهول بحيث لا يمكن العثور عليه . وهو قد صمم على الاختفاء حتى لا يضغط عليه لسحب الاستقالة .

ويستطرد جمال ويقول ما الذى حدث حتى يتصرف هذا التصرف ـ هل الغرض هو وضعى فى Corver مأزق بعد أن أعلنت فى الصحف أننى سأعلن التنظيم الجديد خلال أيام .

قلت ـ إن عبد الحكيم مجهد وطالما كرر أنه يرغب فى الاعتزال . وربما وجد فى إعادة التنظيم فرصة لتحقيق هذه الرغبة .

قال ـ كلنا مجهدون ولكن المسألة لها رواسب قديمة .

وسرد عدة موضوعات ليس هنا محل لذكرها .

ثم قرأ علىّ خطاب استقالته ، وقد جاء به :

أنه كان قد سبق وتقدم من عدة شهور يطلب اعتزال الحياة العامة ، ولكن فى ذلك الوقت كان قد رؤى ضرورة استمراره فى العمل لأن مصلحة الوطن كانت

تتطلب منه ذلك . ولكن الآن والنظام مقبل على تنظيم جديد وشامل فقد رأى أنها فرصة مناسبة لاعتزال الحياة العامة . وقد قرر ذلك مع تمنياته له أى لجمال ولإخوانه بالتوفيق والنجاح .

ثم يقول جمال أنه كان قد اعتزم اعلان قرار التنظيم الجديد الذى تم الاتفاق عليه يوم الاثنين ٢٤ سبتمبر . وأن أى تأجيل فى هذا الإعلان سيترتب عنه هزة للنظام . وسيستغل هذا داخلياً وخارجياً لأننا مقبلون ـ على حد قوله ـ على معركة كبيرة مع الرجعية فى البلاد العربية .

ولما اقترحت عليه تأجيل إعلان هذه القرارات حتى يتم الاتصال بعبد الحكيم والتفاهم معه ذكر أن هذا يحتاج إلى عشرة أيام على الاقل . كما أنه لا يجب أن يكون الموضوع موضع مساومة ، وأنه قد نوى على اصدار قرارات التشكيلات الجديدة مع ذكر اسم عبد الحكيم فيها . وأردف قائلاً « ونبقى نجتمع دون أن نعلن عن اجتماعنا ثم تنشر القرارات بعد ذلك » .

فقلت : ربما يكون هذا حلا طالما أن مكانه غير معروف . وهذا التصرف سيعطيه فرصة لاعادة التفكير فى موقفه بعد أن تهدأ نفسه . وما سيعلن من قرارات ما هو إلا تنفيذاً لقرار مجموعة الزملاء وموافقة عبد الحكيم نفسه وعدم اعتراضه عليها .

فقال جمال : أن أنور أخبرنى أمس عندما علم بالموضوع أن تصرفات عبد الحكيم ناتجة عن ترسبات سابقة لبعض الأحداث التى وقعت فى الماضى .

وفى مساء يوم الأحد ٢٣ سبتمبر ١٩٦٢ اجتمعنا فى منزل جمال . وقد حضر كل من انور وكمال وزكريا وحسين الشافعى هذا الاجتماع . وأعاد علينا جمال سرد تلك الأحداث التى سبق وذكرها للبعض منا . وكانت مفاجأة للبعض الآخر . واضاف على ما سبق وذكره لى أنه عرف أن عبد الحكيم كان قد سافر بالسيارة إلى مرسى مطروح ومعه على شفيق . ولكنه عاد الى استراحة المعمورة بالاسكندرية اليوم ـ الاحد ـ وانه لا يزال بالاستراحة هناك . وذكر أن استقالة عبد الحكيم قد عرفت وانها تتردد بين الضباط فى الجيش . وقد تتبع من أين تسرب الخبر فعلم أنه من بعض أقارب عبد الحكيم ومن موظفى مكتبه أيضا .

كما أنه أى جمال ـ قد تقابل أيضاً مع شمس مساء اليوم السابق لاجتماعنا هذا ، وعلم منه الأسباب التى دفعت عبد الحكيم إلى تقديم استقالته .

الإبعاد على مراحل :

وهى تتلخص فى أن عبد الحكيم يشعر أن اعادة التنظيم ما هو إلا وسيلة لإبعادة عن الجيش ، وأنه لاحظ أن محاولة ابعاده عنه تتم على مراحل . وهو أراد باستقالته أن يتمها دفعة واحدة . ولهذا السبب فهو قد رحب باقتراح عدم تولى مجموعتنا مسئوليات تنفيذية . كما وأنه أصبح لا يرغب فى أن يعمل مع المجموعة طالما أن أحداً منهم لم يعترض على إبعاده عن الجيش . ويعتبر أن ما جرى تواطئاً منهم . ويشعر أيضاً أن جمال أصبح لا يثق فيه كما كان الأمر فى الماضى . ودلل على ذلك بعدة تصرفات مختلفة صدرت من جمال ـ منها أنه طلب من عبد الحكيم اسماء القيادات المختلفة بالجيش بعد انفصال سوريا وذلك لم يحدث منه من قبل . وكذا اختيار جمال بنفسه الضباط الذين سيتولون قيادة قوة الحراسة على منزله واعتراضه على الأسماء التى سبق ورشحها له عبد الحكيم . وانه بقى فى منصبه طوال هذه الفترة لشعوره أن النظام كان فى حاجة اليه لقيادة الجيش وتأمينه . وطالما أن الحاجة اليه قد انتفت فهو لذلك يرى اعتزال الحياة العامة .

وقد اعترضنا جميعاً على ما ذكره عبد الحكيم عن التواطىء من المجموعة ذلك لأننا لم نكن نبحث موضوع أشخاص وتوزيع سلطات ومسئوليات عليهم . وإنما المناقشة كانت تدور حول موضوع تنظيمى مرتبط بقيام الدولة على مؤسسات سياسية وليس على أفراد . وإذا كان هو قد نظر إليه من هذه الزاوية التى ذكرها فالأمر ينطبق على كل فرد من المجموعة لو نظر إليه من نفس الزاوية .

وقال جمال أنه كان قد اتفق مع شمس على سفره إلى المعمورة والاتصال بعبد الحكيم هناك ثم ابلاغه بنتيجة المقابلة . واتصل به شمس اثناء وجودنا معه وأبلغه أن عبد الحكيم قد عاد إلى القاهرة . وأنه أى عبد الحكيم يقترح حلا لهذه المشكلة أن يعلن إسمه فى تشكيل اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى فقط دون مجلس الرئاسة لأنه لايرغب فى أن يكون عضواً فيه . وعلل ذلك بأنه يود ان

يساهم سياسياً فى بناء الاتحاد الاشتراكى ولكن دون أن يشترك فى الحكم عن طريق مجلس الرئاسة . واقترح أيضاً أن يسمح له بالسفر إلى يوغوسلافيا تلبية للدعوة التى سبق أن وجهت إليه من حكومتها حتى يغطى بذلك عدم حضوره اجتماعات مجلس الرئاسة التى ستعقد بعد اعلان تشكيله .

ولقد فهم من اقتراحات عبد الحكيم التى ذكرها شمس أنه قد غير من موقفه . وأنه تنازل عن تصميمه فى اعتزال الحياة العامة . وأصبح من الممكن التفاهم معه حتى تصدر القرارات فى موعدها الذى سبق وأعلن عنه . واقترح أن تقوم مجموعتنا دون جمال بمقابلته ومحاولة التفاهم معه .

واجتمع كل من حسين الشافعى وكمال الدين حسين وزكريا وأنور وأنا فى منزل حسين فى صباح اليوم الثانى - الاثنين ٢٤ سبتمبر وتوجهنا منه الى منزل عبد الحكيم فى الجيزة دون اخطار سابق له بالزيارة . ودارت المناقشة معه حول الاضرار التى ستقع بإصراره على الاستقالة . وهو كان يبرر ذلك بأنه مجهد من العمل المتواصل طوال العشر سنوات السابقه منذ قيام الثورة . وكذا تأثير الأحداث التى مررنا بها عليه . وانه رغم رغبته الشديدة فى اعتزال الحياة العامة من مدة الا انه قد استمر لانه كان يشعر بالحاجة اليه فى الجيش . ولكن طالما أن هذا القيد قد فك باعادة التنظيم وهو على - حد قولة - قد ساعد فى فكه - لذا - فهو يرى أنها فرصة مناسبة له لأن ينسحب من الحياة العامة .

وبعد أخذ ورد بينه وبيننا تقدم باقتراحين وذاكرا أنه قد أبلغهما إلى جمال مساء اليوم السابق . وهما ما كان شمس قد ذكرهما لجمال اثناء وجودنا معه . والخاصين بتعيينى عبد الحكيم عضواً فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى دون مجلس الرئاسة، وكذا السماح له بالسفر إلى يوغوسلافيا .

ونوقش فى هذين الاقتراحين ، وعلى أنهما فى الحقيقة اقتراح واحد ، لأن سفرة وبصورة رسمية كما ذكر تغطية للشكل يستلزم بالضرورة أن يذكر إسمه فى التشكيلات التى ستصدر .

تسوية انفرادية :

ثم علمنا أن جمال فى طريقه إلى منزل عبد الحكيم وعندما حضر ذكر له ما دار

بيننا من نقاش ورأينا أنه من الأفضل أن نتركهما سوياً منفردين لتسوية الأمر بينهما . وقمنا بمغادرة المنزل .

وفى اليوم التالى الثلاثاء ٢٥ سبتمبر دعانا جمال إلى الاجتماع بمنزله الساعة الثامنة مساء . وحضر الاجتماع عبد الحكيم مع باقى الاخوان . واستمر الاجتماع إلى ما بعد الثانية صباحاً .

وبدأ جمال الحديث وأشار إلى أنه تكلم مع عبد الحكيم عندما ألتقى به فى منزله .وأنه تناول معه بالمناقشة ما كان قد سمعه من شمس بدران عن الاسباب الحقيقية التى دفعته الى تقديم استقالته . وأنه عاتبه على اعتقاده فى أن الأمر مرسوم لإبعاده عن الجيش كما ذكرها شمس . وقال أن عبد الحكيم نفى هذا الذى قيل وذكر أنه لم يصدر منه . كما أشار جمال فى حديثه أيضاً إلى أنه كان قد شعر بجرح أليم فى نفسه بعد ما سمع هذا القول من شمس بدران . وخلص إلى أن الخلاف مع عبد الحكيم قد أمكن تصفيته ولكنه اى عبد الحكيم يرغب فى أن يتحدث إلينا . وترك له جمال الكلمة .

وتكلم عبد الحكيم عن اجتماعنا فى الاسكندرية الخاص بمناقشة التنظيم الجديد وتشكيل مجلس الرئاسة وابتعاد أعضائه عن ممارسة مسئوليات تنفيذية . وكيف أنه دهش لأن أحداً منا لم يقترح أن يتولى رئاسة المجلس التنفيذى شخص من مجموعتنا . وأن كمال الدين حسين حاول أن يتكلم فى هذا الشأن ولكنه فجأة توقف عن الاستمرار فيه . ولم يكن ذلك إلا لأن كمال كان قد أحس بالحرج . وأمن كمال على حديثه بقوله أنه توقف عن الاستمرار عندما خشى أن يظن البعض منا أنه يرغب فى هذا المنصب ، ولكنه كان يرى أن هذه مسئولياتنا ويجب علينا أن نتحملها وأن لا نتركها لأحد غيرنا .

وسألت عبد الحكيم عن السبب الذى منعه من الاعتراض وقد أخذ الرأى بالإسم على هذا القرار الخاص بتعيين على صبرى رئيسا للمجلس التنفيذى . وهو نفسه قد رشح عباس رضوان لهذا المنصب وأنه قد عزز هذا الرأى منه بقوله أنه يستحسن أن يشغل هذا المنصب شخصاً آخراً من خارج مجموعتنا حتى لا تتحرج الناس من انتقاده ومحاسبة الأجهزة التنفيذية . وعندما ذكّرته بهذا القول منه لم ينفيه وإنما اعترف بخطئه .

وتكلم أنور وزكريا مؤكدين اقتناعهما باختيار شخص من خارج المجموعة لرئاسة المجلس التنفيذى . وشرح أنور ما كان يدور بخلده والأسباب التى جعلته يعتقد جازما بذلك .

وأثار عبد الحكيم بعد ذلك نقطة أخرى . وهى أن الثورة مستندة الى الجيش من يوم قيامها ، وأنها ستظل كذلك أيضاً فى المستقبل . ثم قال « وانى اعتب عليكم لأن أحداً منكم لم يحاول اثارة موضوع أمن الجيش أثناء مناقشة إعادة التنظيم ، وابتعادنا عن السلطة التنفيذية » . ولما سئل لماذا لم يثره هو وهو أدرى به منا ، وقد انفصلنا عن الجيش من مدة طويلة واصبحنا لانعرف من أموره شيئاً . أجاب أن كبريائه منعته من ذلك . وقيل له أن المناقشة كانت منصبة أساساً على إعادة التنظيم أما أمن الجيش فكان الاعتقاد بيننا ـ كما جرت العادة من سنين طويلة ـ أن لابد قد تم التفاهم عليه بينه وبين جمال .

أمن الجيش :

ودار النقاش بيننا بعد ذلك عن أمن الجيش والوسيلة إلى ذلك . وأثار عبد الحكيم تخوفه من عدم ضمان توافر هذا الأمن طالما هو بعيداً عن قيادته . ولما سئل عن الأجهزة التى كان يعتمد عليها فى ضمان هذا الأمن أثناء توليه القيادة طوال السنوات التسع السابقة . أجاب بأن ليس هناك من أجهزة غير جهاز المخابرات العسكرية ولكن لا يمكن الاعتماد عليه . . وأن الأمن فى الجيش كان قائماً أساساً على الاتصال الشخصى بينه وبين الضباط ، وبينهم أيضاً وبين ضباط مكتبه . وهو لايمكنه أن يستمر فى توفير هذا الأمن بنفس الطريقة طالما أنه لا يقود الجيش قيادة مباشرة . وبين أهمية هذه القيادة المباشرة .

ودارت المناقشة معه عن الكيفية التى نضمن بها أمن الجيش ـ والأجهزة والوسائل الواجب توافرها لضمان هذا الأمن . وكان عبد الحكيم عصبياً أثناء تلك المناقشة . ويشعر أننا جميعا غير مقتنعين بما يبديه من أسباب . ويحاول اثبات عدم فعالية اية وسيلة تقترح الا اذا تولى هو قيادة الجيش بنفسه .

واستمرت المناقشة لفترة طويلة ونحن نحاول فيها إقناع عبد الحكيم بوسائل يمكن عن طريقها ضمان أمن الجيش وهو كان يحاول من جانبه إعطاء صورة أن

لاضمان لأمن الجيش دون وجوده شخصياً كقائد عام . وأن تكون قيادته له قيادة مباشرة .

وكان جمال صامتاً طوال هذه المناقشة . وذكر أنه سبق وتكلم مع عبد الحكيم فى نفس المشكلة عندما ذهب اليه فى منزله فى اليوم السابق . وكذا صباح يوم اجتماعنا هذا عندما التقى به عبد الحكيم .

وقد ذكر عبد الحكيم أيضا فى أجابة له على سؤال لى بأن الأمر يحتاج إلى سنتين أو ثلاثة حتى يمكن بعدها أن نطمئن الى أمن الجيش دون وجوده فيه . وان ذلك يتوافر بعد أن يتولى - على حد قوله - الضباط الأحرار بالجيش قيادة الفرق فيه .

وتكلم جمال بعد هذه المناقشة وأشار إلى أنه بعد أن تكلم مع عبد الحكيم أصبحت مشكلة الشكل العام للتنظيم منتهية . ذلك لأنه - اى عبد الحكيم - قد قبل أن يكون عضواً فى التشكيلات المقترحة . وذكر أن المشكلة أصبحت هى أمن الجيش كما شرحها عبد الحكيم . وانه كان يعتقد أن الجيش يمكن تأمينه مع وجود عبد الحكيم بعيدا عن قيادته . ولكنه عندما علم بهذه المشكلة منه فى اليوم السابق كان من الضرورى البحث عن حل لها . وأنه اقترح على عبد الحكيم أن يعين رئيساً لمجلس الدفاع الأعلى حتى يتمكن عن طريقة من مباشرة سلطات تساعده على توفير هذا الأمن . ولكن عبد الحكيم بعد أن وافق على ذلك عاد اليه فى صباح يوم اجتماعنا وابلغه أنه لا يمكنه أن يزاول سلطاته عن طريق مجلس . ويقصد به مجلس الدفاع الأعلى . وطلب منه أن يوفر له القيادة الفعلية المباشرة للقوات المسلحة حتى يضمن الأمن المطلوب .

ويستطرد جمال ويقول ولكن نظراً لأنه لا يمكن الآن تعيينه قائداً عاماً لأن التنظيم الجديد قد أعلن وخطوات تنفيذه جارية - لذا - فهو يقترح أن يعين عبد الحكيم نائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة حتى يتمكن بذلك من مزاولة سلطات القائد الأعلى الذى هو رئيس الجمهورية .

صدمة جديدة :

وجاء هذا الاقتراح منه صدمة لأغلبنا لأن ما يقترحه جمال كان يعتبر تنازلاً

جديداً منه لعبد الحكيم ، وعلى حساب التنظيم الجديد نفسه الذى لم يبدأ بعد . والذى كنا نأمل فى أن نعمل على تثبيته وتدعيمه حتى يتوفر به الأمن والاستقرار السياسى بالبلاد . وحاولت المجموعة التصدى لهذا الاقتراح منه بحجة أن ذلك يتعارض إذا ما نفذ مع مسئولية السلطة التنفيذية . ذلك لأن القوات المسلحة هى أحد أجهزة السلطة التنفيذية الخاضعة لرقابة مجلس الأمة كسلطة تشريعية . ووزير الحربية هو المسئول عن القوات المسلحة أمام المجلس . وكيف يمكن التوفيق بين الوضع المقترح من جمال والذى سيصبح به عبد الحكيم هو المتولى السلطة الفعلية فى القوات المسلحة وبين مسئولية وزير الحربية المسئول مباشرة امام مجلس الأمة عما يجرى فى الجيش .

وحاول جمال إقناعنا بإمكانية تنفيذ هذا ضارباً المثل بما يجرى فى مملكة الأردن . وأن الملك حسين هو الذى يصدر الأوامر التنفيذية فى الجيش الأردنى رغم أنه غير مسئول أمام البرلمان هناك عما يصدره من تلك الأوامر . وكان الرد عليه أنه أى الملك يصدر تلك الأوامر بصفته رئيسا لدولة . وعلى وزير الحربية وقائد الجيش أن يتحملا تلك المسئولية وتنفيذ ما يؤمرا به أو أن يستقيلا . ولكن الأمر عندنا سيختلف . ذلك لأن الغرض من اعادة التنظيم هو قيام المؤسسات السياسية بدورها كاملا فى مباشرة سلطاتها ومسئولياتها ضمانا للمستقبل .

ولما رأى عبد الحكيم ـ وكان عصبياً جداً ـ إصرار المجموعة على موقفها من اقتراح جمال اقترح هو أن نقوم بتنفيذ ما سبق الاتفاق عليه واقر فى الاسكندرية . وطلب منا أن نحاول جميعاً العمل على تأمين الجيش إلى أن يتم تشكيل مجلس الأمة ، وبحجة أن ليس هناك معنى لتنفيذ اقتراح جمال وتعيينه نائبا للقائد الأعلى للقوات المسلحة ولفترة محدودة لن تزيد عن ستة اشهر تنتهى مع بداية انعقاد مجلس الامة . وكان جمال يحاول اقناعه أن الوضع يمكن أن يستمر حتى مع وجود مجلس الامة . ولكن المجموعة استمرت فى مقاومتها للاقتراح .

ولما رأى جمال ذلك تقدم ثانيه باقتراحه الأول الذى كان قد سبق وتكلم فيه مع عبد الحكيم والخاص بتعيينه رئيساً لمجلس الدفاع الأعلى .

وجرى التداول بيننا عن كيفية وضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ بعد أن

اتفق على أن يعين عبد الحكيم رئيساً لهذا المجلس ورؤى أن يعدل القانون المنظم لأعماله وسلطاته بما يسمح لرئيسه أن يتولى سلطات تنفيذية فى القوات المسلحة .

وكلف عبد الحكيم أن يقوم بإعداد مشروع القانون على الصورة التى تم الاتفاق عليها ولكنه اقترح أن يقوم كمال الدين حسين بهذه المهمة . واتفق على أن يشتركا سويا فى اعداده . وأن يرسلاه إلى جمال ظهر اليوم التالى حتى يمكن إعلان تشكيل التنظيمات المختلفة واختصاصاتها .

وكان قد سبق واتفق على أن يعين الفريق على على عامر وزيراً للحربية مع تطبيق التنظيم الأساسى الذى اتفق عليه . ولكن بعد هذا التعديل الذى سيجرى رؤى ان يبقى على عامر فى منصبه كرئيس لهيئة أركان حرب الجيش . وأن يعين عبد الوهاب البشرى نائب وزير الحربية وزيراً للحربية .

نشر فى الأهرام :

وفى مساء الخميس ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ اتصل بى جمال تيلفونياً وذكر أن كمال وعبد الحكيم لم يتفقا على مواد مشروع القانون المطلوب اعداده منهما . ذلك لأن عبد الحكيم قد تمسك بضرورة النص فيه على حقه فى أن يتولى قيادة القوات المسلحة وبصورة مباشرة . واعترض كمال على ذلك المطلب منه لعدم موافقة المجموعة عليه أثناء المناقشة . واضطرا أن يذهبا الى جمال لعرض الأمر عليه . ثم يستطرد جمال ويقول أنه رأى حلاً آخراً يمكن به أن نتغلب على تلك المشكلة وذلك بأن يعين عبد الحكيم نائبا للقائد الاعلى للقوات المسلحة ونائبا فى نفس الوقت لرئيس مجلس الدفاع أيضاً . وكانت جريدة الاهرام قد نشرت خبر هذا التعيين على صفحاتها فى نفس اليوم الذى يتحدث إلىّ فيه جمال . لذا قلت ـ إذاً ما نشر فى الأهرام اليوم صحيحاً .

فقال « إننى حاولت أن أقطع خط الرجعة على عبد الحكيم ورأيت نشر الخبر حتى ننتهى من هذه المشكلة . ومستطرداً « وانت تعرف أننى لا أفرط فى أحد من مجموعتنا بسهولة ، واتمسك بكل فرد فيها ، وليس لدى أى مانع فى اعطاء عبد الحكيم أى سلطات يطلبها . وهو لا يزال متمسكا بضرورة النص على توليه قيادة الجيش . وليس هناك ما يمنعنا من الموافقة على ذلك . ثم يقول ـ ويمكن أن

يتم ذلك عن طريق عمل لجنه دائمة لمجلس الدفاع ، على أن تجتمع مرة كل يومين أو ثلاثه ليعرض عليها الموضوعات الخاصة بالقوات المسلحة من تسليح وتنظيم وتعيين قيادات الوحدات وتنقلاتهم وخلافه . ومن الطبيعى انك ستكون عضوا فى مجلس الدفاع وفى هذةهااللجنة أيضــاً مع زكريا وكمال . ولكن عبد الحكيم طلب منى أن اتكلم معك فى هل تقبل أم لا . وأنا أكدت له أنك لن تعارض » .

فأجبته ـ أنه لايضـايقنى وجـودى عضـواً فى مجلس الدفاع وعبد الحكيم نائباً للرئيس فيه أو أن يتولى هو رئاسة اللجنة الدائمة وأكون عضواً بها ـ فهذه كلهـا شكليات لا تهمنى .

وأنهى جمال حديثه بقوله أنه قرر أن يقوم أعضـاء مجلس الرئاسـة بحلف اليمين الدستورية يوم السبت ٢٩ سبتمبر . على أن يجتمع المجلس بعد ذلك لمناقشة تنظيم العمل داخله .

وجاء فى يومياتى تعليقـاً على هذا الذى جـرى بأن الحـل الذى ارتآه جمال قد أنهى به مرحلة اخرى من مراحل الخلاف المتكرر بينه وبين عبد الحكيم . ولكن هذا الخلاف فى هذه المرة لم يكن قاصراً عليهما وحـدهما وانما اضـاف عبد الحكيم إلى ذلك الخلاف باقى الزملاء أيضا لاعتقـاده بتواطئهـم ورغبتهـم فى إبعـاده عن الجيش . وهم كانوا يرون أن الصالح العام يتطلب فعلاً إبعاده . ولكن جمال رغم هذا الشـك الذى كان ينتابه من جـانب عبد الحكيم الا أنه عاد وتنازل عما كان متمسكا به من قبل بضرورة ابعاد عبد الحكيم عن السـلطة التنفيذية أسـوة بباقى الزملاء الذين عينوا أعضاء فى مجلس الرئاسة . وحدث نفس ما حدث فى المرات السابقة ، تمسك من جمال فى البداية ثم تنازل منه عما سبق وتمسك به ـ وذلك بعد أن يلتقى مع عبد الحكيم . حـتى أنه فى هذه المرة الأخـيرة كان هو نفسـه يحـاول إقناعنا بإمكانية تولى عبد الحكيم سـلطات تنفيذية مباشرة فى إدارة أمور الجيش بدون أن يكون مسئولاً عن تصرفاته فيه أمام ممثلى الشـعب فى مجلس الأمة كما نص الدستور ، بل واقترح أن يتحمل تلك المسئولية عنه شـخصاً آخـر غيره هو وزير الحربية .

ولكن هذا الحـل رغم غرابته ورغم تنازلات جمال إلا أنه لم يحـل دون عودة

الخلاف بينهما . ولم يكن جمال طرفاً وحيداً فى هذا الخلاف الجديد معه وإنما كان هناك أيضاً بعضا من اعضاء مجلس الرئاسة شركاء فيه كذلك .

خلاف جديد :

ولكن ما هو هذا الخلاف الجديد وما هى اسبابه وكيف انتهى . سنرى ما جاء عنه فى يومياتى .

جاء هذا الخلاف الجديد فى نوفمبر ١٩٦٢ أى بعد شهرين فقط من الخلاف السابق . وانتهى أيضاً بتنازلات من جمال كالمرات السابقة تماماً . ولكنه كان فى هذه المرة على حساب مجلس الرئاسة . الأمر الذى تسبب فى إضعافه كقيادة جماعية وأضر به . وكنت قد قررت على أثر ذلك الانسحاب من الحياة العامة . ورأيت أن أتخذ هذه الخطوة عند قيام مجلس الأمة الجديد فى يوليو ١٩٦٣ ، ولكن موعد قيامه كان قد تأجل إلى فبراير من العام التالى ثم إلى مارس ١٩٦٤ ، وذلك حتى يتم تشكيل الاتحاد الاشتراكى العربى . واضطررت أن أتحمل تلك الفترة الزائدة عن يوليو ١٩٦٣ . وتم انسحابى من الحياة العامة وكذا كمال الدين حسين فى مارس ١٩٦٤ . وكنت قد أرسلت خطابا الى جمال عبد الناصر ابلغه فيه استقالتى واسبابها . وجاء رده على هذه الخطوة متى بأتخاذ بعض الإجراءات التعسفية معى ومع أسرتى . وسيأتى ذكر ذلك فى موقعه التاريخى من الأحداث .

أما كيف بدأ هذا الخلاف بين جمال وعبد الحكيم فيومياتى تقول :

اتصل بى جمال تيلفونياً قبل ظهر يوم الأربعاء ٢١ نوفمبر ١٩٦٢ ، وتكلم معى عن الاعتمادات الإضافية التى تطلبها القوات المسلحة لمواجهة العمليات الحربية باليمن ، ولتعزيز باقى القوات أيضاً وهى استكمال فرقتين مشاه ـ الفرقة السادسة والسابعة . وكانت اللجنة الدائمة المتفرعة من مجلس الدفاع الأعلى قد سبق لها مناقشة هذه الاعتمادات المطلوبة ورأت تخفيضها . وقال جمال أنه أبدى اعتراضه لعبد الحكيم على حجم الاعتماد المطلوب . ولكن رغم اعتراضه فقد تقدم إليه بعد ذلك بمذكرة يطلب منه فيها اعتماد أربعة عشر مليوناً من الجنيهات لمقابلة مصروفات العمليات فى اليمن وذلك حتى فبراير ١٩٦٣ ، هذا بالإضافة إلى

المبالغ الأخرى المطلوبة للتعزيز. كما طلب عبد الحكيم رصد مبلغ سبعة ملايين من الجنيهات لمواجهة مصروفات هذه العمليات أيضا أن امتدت إلى ما بعد فبراير. وجمال كان يرى أن هذه المبالغ المطلوبة كبيرة ولا يمكن تدبيرها إلا على حساب مشروعات خطة التنمية الاقتصادية. وسيتسبب عنه إيقاف تنفيذ بعض المشروعات، وهذا هو ما يعترض إليه. وأنه كان قد سبق وتكلم مع عبد الحكيم عند بداية العمليات فى اليمن عن المبالغ المنتظر إنفاقها على تلك الحملة، وكان قد حددها له بحوالى واحد ونصف مليون من الجنيهات. ولكنه عاد اليه بعد فترة وذكر انها حوالى ثلاثة ملايين من الجنيهات. ثم عاد ثانية ورفعها إلى خمسة ملايين. وزادها بعد ذلك إلى خمسة عشرة مليوناً. ويستطر جمال ويذكر أنه عاد يطالب برفعها الى واحد وعشرين مليونا من الجنيهات.

وخرج جمال من هذه المقدمة بأنه قد أعد قرارين ليعرضا على مجلس الرئاسة فى الاجتماع الذى كان سيعقد فى مساء نفس اليوم الذى جرى فيه هذا الحديث.

ويطلب فى القرار الأول من المجلس الموافقة على اعتماد إضافى بمبلغ خمسة ملايين من الجنيهات فقط تخصص للطوارىء ولمواجهة العمليات الحربية التى تجرى فى اليمن.

وأما القرار الثانى فيطلب فيه موافقة المجلس على اعتماد إضافى آخر بمبلغ خمسة ملايين من الجنيهات أيضاً بغرض استخدامها فى تعزيز القوات المسلحة.

جمال غير مرتاح :

وطلب منى جمال القيام بعرض ذلك القرارين على المجلس فى اجتماعه فى مساء نفس اليوم، ومبدياً - اعتذاره عن حضور اجتماعه لعدم ارتياحه - على حد قوله - من اجتماعات المجلس، وقال أنه فى المستقبل لن يحضر اجتماعاته إلانادراً وطلب منى أن أتولى رئاسته نيابة عنه. وذكر أنه سيحضر اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى عندما حاولت إقناعه بأن عدم حضوره أجتماعات مجلس الرئاسة سيؤول على أنه يرغب فى إضعافه.

ولما ذكرت له أن العمليتين منفصلتين عن بعضهما قال - كيف أحضر والنفوس غير صافية. ألم تلاحظ الطريقة التى ناقش بها عبد الحكيم موضوع

الحراسات فى الجلسة السابقة وطريقته فى الرد علىّ - أظنكم كلكم لاحظتم هذا ». قلت أننا فى تجربة جديدة ، ولا تنسى أننا ننتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى تختلف عن سابقتها . وهذا سيحتاج إلى بعض الوقت حتى يصبح للمجلس تقاليده فى مناقشة ما يعرض عليه من مسائل » . قال - « لا - ان الأمر يتعلق بالنفوس . وطالما أنها غير صافية فليس هناك أمل فى إصلاح الحال » .

تضحية فى سبيل التسوية :

واستطرد قائلاً « أنت تعلم التضحيات التى قمت بها من أجل تصفية الخلاف السابق مع عبد الحكيم عندما أصر على الاستقالة إن لم يستمر يقود الجيش ، وكلكم ضحيتم فى سبيل تسوية هذا الخلاف وخصوصاً أنت فقد قبلت أن يرأسك فى مجلس الدفاع واللجنة الدائمة . وكنت أعتقد أنه بعد فترة سيحاول من تلقاء نفسه العمل على إصلاح الموقف الذى نشأ عن تصميمه . ولكنه اليوم يطالب بسلطات رئيس الجمهورية بحجة العمليات فى اليمن . وقد رأيت أن أوافقه عليها ولكننى اشترطت عليه أن تكون هذه السلطات للجنة الدائمة ولفترة ثلاث شهور فقط . وأنت اشتكيت من عدم اجتماعها . وأنا طلبت منه فى اجتماع مجلس الرئاسة أن يعمل على اجتماعها . ولكنها لم تدع إلا مرة واحدة للنظر فى الميزانية . وكان ذلك بناء عن طلبى عندما تقدم لى بطلب الاعتمادات الإضافية . فما الغرض من هذا » .

ويستمر جمال فى كلامه ويقول « وبدلاً من أن يتقدم لى حكيم بالقرار الذى تم الاتفاق عليه بيننا الخاص بنقل سلطات رئيس الجمهورية فى ترقية الأفراد العسكريين وتعيينهم ونقلهم واحالتهم إلى المعاش إلى القيادة الجماعية (مجلس الرئاسة) فقد تقدم لى بمشروع قرار آخر يطلب فيه أن تخول له هذه السلطة ولمدة ستة شهور . وأن تمنح له أيضاً منفرداً دون اللجنة الدائمة » .

ثم قال « هل تعرف أن حكيم طلب من أنور عند سفره إلى اليمن لتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع السلال أن ينص فيها على أن تعطى له مسئولية تنفيذها ، مع أن المبدأ هو القيادة الجماعية كما جاء فى قرار تشكيلها » .

ويستطرد قائلاً عموماً الموقف غير طبيعى ، وعلينا أن نعمل على حل المشاكل

ونتريث حتى يوليو القادم. وأنا اليوم كما قلت لك لن أحضر اجتماع المجلس، وعليك عرض مشروعات القوانين عليه التى أرسلتها إلى عبد المجيد فريد (سكرتير المجلس) ليقوم بتوزيعها على الأعضاء. وهى كما سبق أن قلت مشروع خاص بقانون الطوارئ والآخر خاص بالتعزيزات. أما المشروع الثالث فيختص بسلطة مجلس الرئاسة فى الترقيات والتعيينات والتنقلات والانتدابات والإحالة إلى المعاش فى كل من الجيش والبوليس والخارجية، وكذا فى الوظائف المدنية، وذلك من الدرجة الثالثة فما فوقها وما يعادلها فى الجيش والبوليس حتى تشعر تلك القيادات أن ولاءها للقيادة الجماعية وليس لفرد. وهو المبدأ الذى سبق أن تم الاتفاق عليه بيننا، وسأتصل بك باكر صباحاً لأعرف منك ماذا تم فى الاجتماع ».

مفاجأة :

وفى مساء نفس اليوم - الأربعاء ٢١ نوفمبر ١٩٦٢ الذى تحدث إلىّ فيه جمال اجتمع مجلس الرئاسة، ولم أكن قد أبلغت أحدا من أعضائه عن ذلك الحديث الذى جرى مع جمال فى الصباح. وكانت مشروعات القوانين التى أشار اليها جمال فى حديثه موزعة وموضوعة أمام كل عضو من أعضاء المجلس. وبعد أن أطلع عبد الحكيم على مشروعات القوانين الثلاثة التى وجدها موضوعة أمامه - سألنى عن من المتقدم بها. ولما ذكرت له اسم جمال لاحظت عليه المفاجأة، وقد شرد ذهنه أيضاً، ولكنه كان يحاول عدم إظهار ذلك، وما لاحظته عليه جعلنى أفكر فيما إذا كان عبد الحكيم سيتخذ موقف المعارضة من مشروع القانون الخاص بالأفراد أم أنه سيلتزم بما سبق الاتفاق عليه بين مجموعتنا قبل إعلان التشكيلات السياسية الأخيرة. وكنت أعلم أنه لو اعترض على المبدأ نفسه المتفق عليه فسينتج عنه حالة من الشد بينه وبين باقى الزملاء من أعضاء مجلس الثورة السابقين، ذلك لأن الاتفاق كان قد تم عليه من قبل فى اجتماع خاص بينهم دون أن يشترك فيه باقى أعضاء مجلس الرئاسة.

وعندما بدأ الاجتماع طلبت من المجلس النظر أولاً فى مشروعات القوانين الثلاثة المتقدم بها رئيس الجمهورية قبل مناقشة الموضوعات الأخرى المدرجة بجدول الأعمال.

عبد الحكيم يعارض :

وبدأ المجلس فى مناقشة المشروع الأول والخاص بالأفراد بعد أن قرأ عليهم بالكامل . وقد تناولت المناقشة فيه فى البداية المادة الأخيرة منه . وهى الخاصة بموظفى السلك الدبلوماسى وكل من يعمل خارج الجمهورية . وطالت المناقشة حول هذه المادة . وكذا بالنسبة للموظفين المدنيين وهل يعتبر موظفى المؤسسات والشركات العامة من ضمنهم أم لا . ولم يثر أحداً نقاطاً جديدة بعد الانتهاء من هذه المناقشة . وطلب عبد الحكيم الكلمة عندما سألت عما إذا كان هناك ملاحظات أخرى للأعضاء قبل أن ينتقل المجلس إلى مشروع القانون الثانى . وبدأ يعارض فى كلمته المبدأ ذاته خاصة بالنسبة لأفراد القوات المسلحة . وذكر أن هذا يسلب لجان الضباط بالجيش اختصاصها ، ويؤثر على الضبط والربط كذلك . ومتسائلا كيف يمكن لمجلس الرئاسة أن ينظر فى تعيينات قادة الكتائب ورتبهم العسكرية لا تتعدى رتبة الصاغ أو البكباشى . وقال أنه يرى أن يكتفى بالعرض على المجلس تعيين الضباط الحاصلين على رتبة الفريق فقط .

وبدأ أعضاء المجلس فى مناقشته . واعترض أغلبهم على ما ذكر . ولم يشأ أحد من زملائه أعضاء مجلس الثورة السابقين أن يفصح بأن هذا المبدأ سبق أن اتفق عليه . وذلك لوجود أعضاء آخرين فى المجلس لا يعلمون شيئاً عن هذا الاتفاق المسبق . وقد جاء فى ردهم على ما ذكره أن الهدف من تطبيق هذا المبدأ هو فى الأساس هدف سياسى . وذلك حتى تصبح القيادة السياسية على علم ودراية بالأشخاص الذين يشغلون مراكز قيادية فى الدولة . وأن تكون هى صاحبة السلطة النهائية فى أمر تعيينهم أو ترقيتهم أو نقلهم أو إحالتهم إلى المعاش . وحتى يصبح أيضاً ولاء هؤلاء الأفراد للقيادة السياسية العليا أى للنظام القائم ، وليس لأحد آخر . وأن عدم خضوع الجيش لهذه القاعدة يخل بها وبالهدف منها . ذلك لأن القيادة السياسية فى هذه الحالة ستعزل عن الجيش وهو ما ليس فى الصالح . وأما سلب لجان الضباط سلطاتهم إن نفذ المشروع فقد أمكن الرد عليه بأنه طالما أن للقائد العام الحق فى عرض قرارات تلك اللجان عليه ـ وهو يملك حق تعديلها أو إلغائها أيضاً ـ لذا فهو ملزم بعرضها على مجلس الرئاسة بعد العرض عليه لمناقشتها وإصدار قرار فيها . وأن يكون قرارها هو النهائى والملزم بالتنفيذ .

ولكن عبد الحكيم ظل مصراً على رأيه السابق . وظل فى نفس الوقت أغلب زملائه مصرين هم كذلك على رأيهم وضرورة تطبيق القاعدة على أفراد القوات المسلحة .

وكانت المناقشة هادئة ودون عصبية من أحد أو الخروج عن مألوف المناقشات العادية . ولكن كان واضحا أن هناك عوامل أخرى مؤثرة على موضوع المناقشة . ولما رأى كمال الدين حسين ذلك طلب تأجيل النظر فى المشروع المقترح . واستمرت المناقشة لفترة أخرى بعد تقديمه هذا الاقتراح . ثم طلب عبد الحكيم التأجيل هو أيضاً .

ورأيت كرئيس للاجتماع أن أعرض الأمر على المجلس وأن آخذ الرأى منه فى التأجيل وذكرت أن حصل اقتراح التأجيل على أغلبية الأصوات أجل مشروع القانون المقترح إلى جلسة أخرى . وان لم يحصل على الأغلبية فيؤخذ الرأى على المشروع المقترح مع التعديل الذى أقره المجلس أثناء المناقشة .

وأخذت الأصوات على التأجيل فنال خمسة أصوات من إحدى عشر صوتاً . أى أنه لم ينل الأغلبية المطلقة للأصوات . وأخذ الرأى على المشروع المقترح مع التعديل فنال ستة أصوات . أى حصل على الأغلبية .

وبذا أصبح هذا قرار من المجلس واجب الالتزام به مع تنفيذه .

انسحاب عبد الحكيم :

والذين صوتوا فى جانب التأجيل هم عبد الحكيم عامر ـ كمال الدين حسين ـ حسن ابراهيم ـ كمال رفعت ـ أحمد عبده الشرباصى .

أما الذين وافقوا على المشروع المقترح مع التعديل هم أنور السادات ـ زكريا محى الدين ـ حسين الشافعى ـ على صبرى ـ نور الدين طراف ـ أنا .

وبعد ظهور نتيجة التصويت بفترة بسيطة استأذن عبد الحكيم فى الانصراف وانسحب من الاجتماع .

ولقد جاء تصميم أغلبية مجموعة الزملاء بالموافقة على مشروع القانون وعدم الرغبة فى التأجيل عندما رأوا اعتراض عبد الحكيم على مبدأ أساسى سبق هم

الاتفاق عليه . ولم ترض لنفسها أن تعدل عن قرارها ، خاصة بعد أن كانت قد عدلت من قبل عن قرار لها عندما أقدم عبد الحكيم على استقالته فى سبتمبر ١٩٦٢ . وكان ذلك الموقف منهم بغرض الابقاء على وحدة المجموعة وعدم التفريط فى عبد الحكيم . ولكن هذا الموقف الأخير منه واعتراضه على مبدأ سبق الاتفاق عليه تولد عنه رد فعل عند جميع الزملاء حتى كمال الدين حسين نفسه . وكان قد اعترض هو أيضا على رأى عبد الحكيم ولو أنه اقترح التأجيل لاعتقاده أن ذلك يعطى فرصة الاتفاق على حل نصل اليه مع الابقاء على نفس المبدأ الذى سبق واقر . وأما الباقون من المجموعة فلم ترض عن التأجيل لأن معناه إعطاء فرصة للمساومة وما يترتب عنها من تنازلات كما حدث فى مرات سابقة . وما عرض على المجلس لم يكن إلا اجراء تنفيذى لقرار سابق منهم .

وانتهى المجلس من أعماله بعد ساعة ونصف الساعة من انسحاب عبد الحكيم من الاجتماع . وكان كمال قد استأذن هو الآخر فى الانصراف بعد مرور ساعة من انسحاب عبد الحكيم .

استقالة جديدة من كمال :

وتوجهت مع أنور وزكريا وحسين الشافعى بعد انتهاء الاجتماع الى منزل جمال . ووجدنا عنده كمال الدين حسين . ولما عاتبته على انصرافه من الاجتماع قبل نهايته قال « أنا حضرت للريس وطلبت منه إعفائى من العمل ـ وسبق أن قدمت استقالتى من عشرة أيام ورجوت الريس فى قبولها » .

ولما سألناه عن السبب أجاب « لأننى شعرت فى جلسة اليوم أننا غير باقين على بعض . وأنا قد طلبت التأجيل لنجد حلاً للموضوع . وكان يجب الموافقة على التأجيل . ولكن تصويتكم بالموافقة على القرار دون التأجيل أشعرنى أننا غير باقين على بعض . وأنا وفى » .

ورددت عليه بقولى ـ « هذه المسألة فيها وجهات نظر ـ أنت تعتقد أن التأجيل يحل الموضوع ـ وأنا أعتقد أنه كان سيزيد الأمر تعقيداً . وعبد الحكيم يعارض المبدأ . ويحاول فرض رأيه . وخضوعنا لرغبته فى المرة السابقة كان خطأ . ولو طلب التأجيل قبل بدء مناقشة مشروع القانون لوافق الكل عليه .

ولكن بعد مناقشته واعتراضه على مبدأ سبق الاتفاق عليه جعل هناك صعوبة فى الموافقة على التأجيل ».

أنور ضرب بيده على الترابيزة :

وتكلم أنور السادات وضرب بيده على الترابيزة التى أمامه وقال لكمال « إن حكيم يعارض المبدأ. وأنت تصرفك فى الجلسة كان واضحاً منه إنك واخد (side) جانب فى الموضوع ».

ورد كمال عليه بقوله ـ « أنا باق على علاقاتنا ـ ولذا أطلب أن تقبل استقالتى لأنى أخطأت من قبل فى اجتماع الأمانة العامة للاتحاد، واليوم أخطأت مرة ثانية. ويستحسن أن يبقى الاخوان المنسجمون مع بعضهم ويخرج غير المنسجم منهم ».

واقترح أنور أن يحل جمال مجلس الرئاسة ويشكل مجلساً جديداً من أشخاص آخرين. وتكلم جمال وقال ـ « إن الحل هو الحل ـ وأنا منتظر حتى يوليو القادم ثم سأترك رئاسة الجمهورية ».

واعترض كمال على هذا القول من جمال.

ورد عليه جمال بقوله « المسألة ليست التأجيل أو الموافقة على القرار. إنما المسألة أن حكيم غير مقتنع بالقيادة الجماعية. وقد ضرب ستاراً حول الجيش. وأنا ـ هل يعقل أن أعمل بطريقة سرية حتى أحصل على معلومات عن الجيش. وهل نسمح أن يقود الجيش على شفيق ـ هذه هى الحقيقة. وهل تقبل أن يعين الهريدى مساعداً للملحق العسكرى بواشنجتن بعد الذى حدث منه فى سوريا عند الإنفصال ».

الموضوع غير ما تعتقد :

وأخذ جمال يسرد لنا بعض الوقائع عما يجرى فى الجيش. وعن تصرفات عبد الحكيم. وعن طلبه لسلطات رئيس الجمهورية دون اللجنة الدائمة. الأمر الذى دفع جمال إلى أن يتقدم بمشروع القرار الذى سبق أن تم الاتفاق عليه. وأنه كان ينتظر من عبد الحكيم أن يتقدم هو بهذا المشروع كما اتفق. ولكنه لم

يتقدم به . وذكّر جمال - كمال بمسودة القرار الذى كان قد كتبه هو بنفسه . كما ذكر جمال أيضاً كيف أنه ضغط على نفسه فى شهر سبتمبر الماضى عندما قدم حكيم استقالته ، وذهب بنفسه إلى منزله - وكيف ضحى كل فرد منا فى سبيل لم الشمل - وتساءل - ليه هذا التصرف . وأجاب - أليس لأننا باقون على بعضنا » . وقال لكمال إن الموضوع غير ما تعتقد . وأخذ يوضح أن كثيراً من التصرفات كان الدافع لها هو أننا باقون على عبد الحكيم وعلى بعضنا وليس كما يعتقد كمال .

واستمر الحديث حول هذا الموضوع من الساعة التاسعة والنصف مساء حتى منتصف الليل . وتم الإتفاق قبل انصرافنا على أن يذهب كمال مع أنور فى صباح اليوم التالى إلى عبد الحكيم ليتحدثا إليه فى الموضوع .

المناورات الحزبية :

وكنت قد سافرت فى اليوم التالى للإجتماع - الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ إلى بلدتى شاوة ، وعدت منها فى مساء الجمعة . واتصلت تليفونيا بأنور حتى أعرف منه نتيجة مقابلته لعبد الحكيم مع كمال . وعلمت منه أنهما تحدثا إليه . وأن كمال ذكر لعبد الحكيم أنه لا يوافق على الطريقة التى تناول بها مجلس الرئاسة الموضوع . ولكنه فى نفس الوقت لا يتفق مع عبد الحكيم فى معارضته للقانون لأنه قد سبق الإتفاق عليه . ويقول أنور أن عبد الحكيم يرى أن الموضوع عرض على المجلس بطريقة المناورات الحزبية . وأنه يشعر أيضا أن زملائه يحاولون التخلص منه ، وهو لذلك أصبح يعتبرنا جميعا أعداء له فيما عدا كمال .

وقال أنور أنه حاول إقناع عبد الحكيم بأن القانون عندما عرض على مجلس الرئاسة لم يكن يعلم به أحد غيرى من أعضائه ذلك لأن جمال كان قد طلب منى تولى رئاسة المجلس نيابة عنه وقام بإبلاغى عن هذه القوانين . وأن الزملاء من أعضاء المجلس قد صوتوا بالموافقة على مشروع القانون المقترح ورفضوا التأجيل ذلك لاعتراضه هو على المبدأ الذى سبق الاتفاق عليه . وذكر أنور أيضا أن عبد الحكيم ظل متمسكا برأيه ومعترضا على المبدأ نفسه الوارد فى مشروع القانون رغم محاولة أنور فى إقناعه . وذكر لهما عبد الحكيم أنه يتحتم على المجلس أن يبحث عن قائد عام آخر غيره إن رأى ضرورة تنفيذ هذا القانون .

ويقول أنور أن كمال عندما سمع هذا القول منه تعلق به وطلب منه أن يرشح ضابطا لهذا المنصب ولكن عبد الحكيم تهرب من ذلك بقوله « أنكم تعرفونهم كما أعرفهم » .

وقد انصرفا من عنده بعد أن تم الاتفاق بينهم على اختيار قائد عام جديد بدلا منه . وذهبا إلى جمال وقصا عليه ما دار بينهما وبين عبد الحكيم . وقام جمال بدعوة الزملاء إلى الإجتماع فى مساء يوم الخميس ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ ، وحضره كل من أنور وزكريا وحسن إبراهيم وحسين الشافعى . ولم يشأ دعوتى إلى حضوره لعلمه بسفرى إلى بلدتى ظهر نفس اليوم .

فتح الجروح القديمة :

وفى بداية الإجتماع قام أنور وكمال بذكر الحديث الذى جرى بينهما وبين عبد الحكيم . ثم بدأ جمال يتكلم واستمر فى حديثه ثلاث ساعات كاملة . وعلى حد قول أنور أنه فتح كل الخلافات القديمة والجروح التى بينه وبين عبد الحكيم . وأن جمال ذكر أنه مع ذلك كان يقدمه على المجموعة رغم عيوبه . واعترف لهم بأنه قد أخطأ فى هذا .

ويقول أنور أن كلام جمال كان مقنعا ومحددا بوقائع . وأنه أى جمال سيعلن فى الاجتماع الشعبى الذى سيعقد فى بورسعيد بمناسبة عيد النصر يوم ٢٣ ديسمبر أنه سيتخلى عن رئاسة الجمهورية فى يوليو ١٩٦٣ . وإنه سيتفرغ للعمل فى الإتحاد الإشتراكى . كما قد تم الإتفاق بينهم على تعيين قائد عام جديد فى خلال أسبوع وستتغير تبعا لذلك أيضا قيادات الجيش . وسيتم التمهيد لهذه الإجراءات بإعلان شكل الحكم فى المستقبل على صفحات الجرائد .

وكانت اللجنة التنفيذية العليا للإتحاد الإشتراكى قد انعقدت يوم الأحد ٢٥ نوفمبر ١٩٦٢ ولم يحضر إجتماعها كل من كمال وعبد الحكيم . وكان عبد الحكيم قد تقابل مع جمال فى اليوم السابق واستأذن منه فى السفر إلى الإسكندرية للإستراحة بضعة أيام . أما كمال فلم يعتذر عن الحضور ولم نعلم سبب تغيبه . وفى اليوم التالى لهذا الإجتماع تعرض جمال فى حديثه إلينا عن تغيب كمال وذلك أثناء إجتماعنا فى منزله . وذكر أن كمال قد أضاف بتصرفه هذا مشكلة أخرى

جديدة غير مشكلة عبد الحكيم . وأخبرنا بحديث كمال إليه عندما تقدم باستقالته . وكان قد تقدم بها إليه قبل أسبوعين من هذا اللقاء . وقال إن كمال كان قد سبق وتحدث إلى عبد الحكيم عن رغبته فى الاستقالة معتمدا على أنه ـ أى حكيم ـ سيقوم بإبلاغها إلى جمال ولكنه لم يذكر له شيئا عنها رغم مقابلته له عدة مرات . وتساءل جمال عن سبب عدم إبلاغه بها لأن هذا الموقف منه جعل كمال يظن أنه هو ـ أى ج ـ الذى أهمل الأمر . كما ذكر أيضا أن عبد الحكيم كان قد أفهم كمال إننا كنا نعقد الاجتماعات فى الإسكندرية وتتخذ قرارات دون إشراك كمال فيها أو إبلاغه عنها ، مما جعله يعتقد أن السبب فى ذلك ربما يكون هو عدم توافر الإنسجام بين المجموعة وبينه . وقد اقترح أن أقوم مع أنور بزيارة كمال لنتعرف منه عن سبب امتناعه عن حضور الاجتماع .

عبد الحكيم حوكم غيابيا :

ولما التقينا به وعاتبناه على عدم اعتذاره عن الحضور قال « إننى لا أنوى حضور أى اجتماعات أخرى ، فلماذا اعتذر ـ إننى أرغب فى الاستقالة » . ولما تساءلنا عن سبب هذا الموقف منه ذكر أنه يشعر بعدم الانسجام مع باقى المجموعة من الزملاء . كما وإنه قد عاد أيضا إلى منزله بعد الاجتماع الذى عقد مساء الخميس فى منزل جمال وهو فى حالة نفسية سيئة . ذلك لأنه شعر أن عبد الحكيم ـ على حد قوله ـ قد حوكم غيابيا . وهو لا يرغب فى أن يستمر مشاركا فى السلطة حتى لا يحدث له هذا أيضا فى يوم من الأيام . كما أشار فى حديثه كذلك إلى أنه علم أن باقى المجموعة كانت تجتمع وتأخذ القرارات أثناء وجودنا فى الإسكندرية دون أن يدعى هو إلى هذه الإجتماعات .

وقد تولى أنور إيضاح الموقف له على حقيقته ـ على حد قوله ـ وقال إن الخلاف ليس بين عبد الحكيم والمجموعة ولكنه فى الحقيقة بين جمال وحكيم . وإن الطريقة التى إتبعها جمال فى التقدم بمشروع القانون الخاص بالأفراد أراد بها أن يقول لحكيم « إعقل بأه ياحكيم » كما جاءت على لسانه . وأخذ أنور يذكر لكمال تاريخ الخلاف بينهما . وأن هذا الخلاف لا يعلمه أحد غيرهما إلا أنور نفسه لأن تصفية تلك الخلافات بينهما كانت تتم بحضوره فى كل مرة . كما ذكر أن شخصية

عبد الحكيم قد اهتزت فى نظره يوم الإجتماع الذى تمسك فيه بالسلطة وطلبه فى أن يظل قائدا عاما للقوات المسلحة . وهو لم يكن ينتظر منه هذا . وأوضح لكمال أن الاجتماعات التى عقدت فى الإسكندرية دون وجوده لا تتفق مع تلك الصورة التى أبلغ بها . وإنما الذى حدث هو أن هذه الإجتماعات جاءت عرضا أثناء زيارة الزملاء لجمال فى استراحته بالمعمورة ودون ترتيب سابق لها .

وفى النهاية إقتنع كمال بأن يتوجه معنا إلى زيارة جمال للعمل على إزالة سوء الفهم الذى حدث . وتضايق جمال عندما قيل له أن كمال شعر أن عبد الحكيم قد حوكم غيابيا ، وأن هذا قد آلمه . وأخذ جمال يشرح لكمال الأسباب والدوافع التى أجبرته على استعراض علاقته بعبد الحكيم أمامهم . وكيف تدهورت نتيجة الخلافات التى حدثت بينهما . وإنه هو الذى كان يقوم فى كل مرة بالتنازل من جانبه لإرضاء عبد الحكيم . وكان يحاول إقناع كمال بهذا السرد منه على أنه لم يكن يقصد محاكمة عبد الحكيم كما يظن وإنما كان يقصد بذلك عرض الموضوع برمته وبتسلسله التاريخى على إخوانه ـ وإلا فمن سيتكلم ـ على حد قوله . وكان كمال فى أثناء حديث جمال يثير بعض الكلمات التى كان جمال قد ذكرها عن عبد الحكيم أثناء الاجتماع ويوضح الألم الذى شعر به ـ وكيف أنه عاد إلى منزله وهو فى حالة نفسية سيئة .

حديث فض مجالس :

وفى يوم الأربعاء ٢٨ نوفمبر ١٩٦٢ كان جمال قد دعانى إلى مرافقته فى سيارته بعد إجتماع مجلس الرئاسة . وذكر أن كمال قام بزيارته ظهر نفس اليوم ، وأبلغه أن عبد الحكيم التقى به وقال له « ليكن معلوما أن هذا القانون الخاص بأفراد القوات المسلحة لو صدر فإنه سيستقبل فى اليوم التالى لصدوره » . ولما سأل كمال عبد الحكيم عن مصير الاتفاق الذى سبق ووافق عليه عند زيارته له مع أنور والخاص بتعيين قائدا عاما جديدا بدلا منه واستعداده ـ أى عبد الحكيم ـ على الاستمرار فى العمل حتى يوليو ١٩٦٣ ـ أجابه أنه كان حديث فض مجالس . ولما سمعت ذلك من جمال إقترحت عليه أن يجتمع مع عبد الحكيم فربما يساعد ذلك على تسوية الخلاف .

ولكن جمال قال « أنا منتظر يوم ٢٣ ديسمبر ، ويومها سأعلن أنى سأتنازل عن رئاسة الجمهورية فى يوليو ١٩٦٣ ـ وثانى يوم سأصدر القانون » .

فسألته : هل أنت تربط بين تنازلك عن الرئاسة واستقالة عبد الحكيم ؟

فأجاب : كلا .

فقلت : إن الاستقالة حل غير عملى ولا تحقق هدفا .

فقال :الغرض أن أتفرغ للاتحاد الإشتراكى .

فقلت : على العموم الموضوع سابق لأوانه ويحتاج إلى مناقشة لأن الناس ربما تعتقد أن تنازلك عن الرئاسة جاء نتيجة الخلاف مع عبد الحكيم .

ولقد وجدته مقتنعا بهذا الذى ذكرته ولكننى قدرت أنه ربما يرغب فى إعلان هذا التنازل منه لاعتقاده أن الشعب سيتمسك به وسيطالبه بالاستمرار فى رئاسة الجمهورية ويصبح وكأنه استفتاء عليه من الشعب ، ويكون بهذا قد قطع الطريق على عبد الحكيم .

وكانت اللجنة التنفيذية العليا المؤقتة للإتحاد الإشتراكى قد اجتمعت يوم الأحد ٢ ديسمبر ١٩٦٢ ، ولم يحضر إجتماعها عبد الحكيم ولكنه اعتذر . أما كمال الدين حسين فقد حضر هذه المرة ولكنه لم يحاول الاشتراك فى المناقشة التى كانت تدور . ولم يفتح حتى مذكرة مشروع القانون موضع المناقشة . وظل جالسا طوال الإجتماع وهو عابس وممسكا قلما فى يده ويخط به فى ورقة أمامه خطوطا غير منتظمة . وكان ظاهرا الضيق على جمال من تصرف كمال ولكنه كان يحاول عدم إظهار ذلك .

كان جمال هائجا :

وبعد الانتهاء من الإجتماع دعانى جمال مع حسن إبراهيم لمرافقته فى سيارته . وتكلم عن تصرف كمال أثناء الاجتماع وكان هائجا . وقد ضايقه أن هذا التصرف منه جرى أمام الأعضاء الآخرين من غير مجموعتنا . وقال أنه لو ترك لنفسه العنان لرمى مشروع القانون وانصرف من الجلسة . وأخذ يفسر لنا

أسـباب هذه التصرفات من كمال . وما كان قد أثاره عبد الحكيم فى نفسـه عن الإجتماعات التى كانت تعقد فى الإسكندرية دون وجوده .

وذكر لنا جمال أيضا تطور علاقته مع عبد الحكيم ، ومدى تأثير الأحداث على هذه العلاقة خاصة بعد المناقشة التى جرت حـول القـانون الخـاص بالأفراد فى مجلس الرئاسـة . وأقترح حسـن أن يلتقى جمال مع عبد الحكيم للمحـافظة على العلاقة بينهما . ولكن جمال أشار إلى أن هذه العلاقة إذا كانت قد تأثرت فما ذلك إلا بسبب الخلاف فى العمل . وإنه كان دائما من جـانبه يحـاول إرضـاء عبد الحكيم ـ ولو أن هذا على حساب المصلحة العامة ـ على حد قوله .

وفى نهاية الحـديث وكنا قد وصـلنا إلى منزله إقترح علينا البقـاء معـه لتناول العشاء ولمشاهدة فيلما سينمائيا . وتركنا وصعد إلى الدور العلوى من المنزل ليغـير ملابسه . وفى أثناء ذلك ذكر لى حسن أن كمال أبلغه أنه يمكنه أن يقوم بالوسـاطة بين جمال وعبد الحكيم ليتقابلا . وأنه فهـم من كمال أن عبد الحكيم على اسـتعداد لإتمام هذا اللقاء . ولما استفسرت منه عن سـبب إمتناعه عن ذكر ذلك لجمال قال « لأنى أراه متشددا » .

ولما عاد جمال أبلغته بحـديث كمال مع حسـن وحـاولنا إقناعه بأن يلتقى مع عبد الحكيم . ولكنه ذكر أنه غير مسـتعد لعمل أية تنازلات . فصرحنا له بأنه أصبح لا يملك ذلك بعـد أن انتقـل الأمر إلى مجلس الرئاسـة بعـد موافقته على القانون موضع الخلاف .

واتفق على أن يقوم حسن بمقابلة عبد الحكيم ويعمل على إقناعه بالالتقـاء مع جمال . وأن يشير فى حديثه معه وبطريقـة غير مباشرة إلى عدم الاسـتعداد لعمل أية تنازلات . فإن وجد منه إستعدادا أمكن أن يلتقى معه جمال .

حرية الصحافة :

وكنت قد تقابلت مع حسن إبراهيم يوم الأربعاء ٥ ديسـمبر ١٩٦٢ فى سراى القبة قبل أن يبدأ إنعقـاد مجلس الرئاسـة . وعلمت منه أنه قد تقـابل مع عبد الحكيم وأنه أى عبد الحكيم ـ على حـد قوله ـ قد فتح له قلبه وتكلم معـه كثيرا عن جمال . وقد ذكر له أنه يعرفه أكثر من أى شخص آخر . ويقول حسن

أن عبد الحكيم ذكر أن جمال يحاول اليوم تركيز كل السلطات فى مجلس الرئاسة حتى تنتقل إليه فيما بعد كرئيس للجمهورية بعد إعادة التنظيم فى يوليو ١٩٦٣ وذلك لأنه لن يكون هناك مجلس رئاسة. كما ذكر أن جمال يحاول التخلص منه أى من حكيم. وأنه قد بنى خطته على أن يتم ذلك على مراحل. وهو أى حكيم قد أرسل خطابا إلى جمال عبر له فيه عن رأيه فى الأوضاع السياسية فى البلاد. وقد اطلع حسن على صورة من هذا الخطاب. وذكر حسن أنه تكلم فيه عن المناورات السياسية والتكتلات الحزبية التى يلمسها فى مجلس الرئاسة. كما تحدث فيه أيضا عن الديمقراطية ووجوب العمل على تحقيقها. والعمل كذلك على تنفيذ ما ورد بالميثاق. وكذا تحقيق حرية الصحافة وإعطاء ضمانات كافية للمحررين بها حتى لا يحرموا من مورد رزقهم إذا ما كتبوا آراءهم بصراحة. وتكلم عن التنظيم السياسى للمرحلة القادمة وذكر إما أن يكون النظام الجمهورى ببلادنا رئاسيا أو برلمانيا ذلك لأنه لا يوجد هناك نظام آخر غير هذا. كما ذكر أيضا أنه يجب علينا أن نستفيد من خبرات الدول الأخرى فى التنظيمات السياسية ولا نبتكر لأنفسنا نظاما فريداً فى نوعه. كما أشار فيه كذلك إلى ضرورة وجود جمال فى التنظيم بل وعلى رأس التنظيم السياسى نفسه. وطلب منه أى من جمال أن لا يعزل نفسه عن أفراد الشعب حتى لا يحكم عليهم من أسمائهم فقط ومما جاء عنهم فى التقارير دون معرفة حقيقية لأشخاصهم أو ظروفهم. وفى نهاية خطابه ذكر أنه يودعه وهو لهذا رأى أن يذكر له ما يعتقد أنه يحقق الصالح العام.

وذكر لى حسن أيضا أن حكيم ليس على استعداد لإتمام هذا اللقاء الذى اقترح. كما وانه بعد أن أرسل هذا الخطاب إلى جمال أصبح اللقاء لا جدوى منه. ولم يحاول حسن أن يبلغ جمال بما تم لأن خطاب حكيم وبالصيغة التى كتب بها والمعانى الواردة فيه قد قطع عليه الطريق على حد قوله.

وقُطع الحديث بيننا عند هذا الحد لأن الاجتماع كان قد بدأ بعد وصول جمال. ولم يحضره كمال ولكنه إعتذر هذه المرة.

أخبار كثيرة :

وبعد إنتهاء إجتماع مجلس الرئاسة دعانا جمال (حسن إبراهيم - زكريا - حسين الشافعى - أنور - أنا) إلى الإجتماع به فى مكتبه بسراى القبة . وكان ينوى فتح موضوع الخلاف مع عبد الحكيم ولكنه عاد وفضل أن ننتقل إلى منزله لنتحدث هناك . ورافقته فى سيارته مع حسن إبراهيم . وبدأ يتكلم ونحن فى طريقنا إلى منزله عن التكتل والنشاط الذى يجرى فى الجيش بواسطة أعوان عبد الحكيم من الضباط . وأشار إلى أنه - أى حكيم - لابد على علم بكل هذا الذى يجرىء وحاولنا استبعاد معرفته بذلك . وأن تلك التصرفات ربما يقوم بها بعض من الضباط المستفيدين من بقاء عبد الحكيم فى منصبه ودفاعا منهم عن مصالحهم . ولكن جمال أراد أن يؤكد لنا علم حكيم بذلك فقال أن الضابط عثمان نصار كانت الأوامر قد صدرت إليه بالسفر إلى اليمن ، وأن عبد الحكيم نفسه هو الذى أخبر جمال بذلك . ولكن هذا الأمر ألغى فى اليوم التالى لاجتماع مجلس الرئاسة الذى نظر فيه القانون موضع الخلاف . وأن كل ما دار من نقاش فى هذا الاجتماع قد أذيع بين الضباط فى اليوم التالى له أيضا . وقال على العموم هناك أخبار كثيرة سأذكرها لكم عندما نصل إلى المنزل .

وعندما اجتمعنا فى منزله طلب من حسن إبراهيم إبلاغنا بما تم فى لقائه مع عبد الحكيم . وقد ذكر حسن ما سبق وأخبرنى به ، ولكنه تغاضى عن ذكر ما قاله عبد الحكيم عن محاولة جمال تركيز السلطة فى مجلس الرئاسة حتى تنتقل إليه بعد يوليو ١٩٦٣ . كما تغاضى أيضا عن ذكر موضوع محاولة جمال فى التخلص من عبد الحكيم . وكانت دهشة أغلب الزملاء عندما علموا من حسن أن لدى عبد الحكيم صورا أخرى من الخطاب الذى أرسله إلى جمال خاصة عندما ذكر أن تلك الصور مكتوبة على الآلةالكاتبة . ذلك لأن الخطاب المرسل منه إلى جمال مكتوب بخط يده . وقد استنتج أن الغرض من إعداده لصور أخرى من الخطاب هو ربما لنشره والحصول منه على مكاسب سياسية . وحتى يظهر وكأن الخلاف ليس نزاعا من أجل السلطة وإنما هو خلاف على مبادىء أساسية تتعلق بأسلوب الحكم .

مراقبة تليفون جمال :

ولقد قام جمال بإحضار بعض التقارير وأخذ يبلغنا عما هو وارد فيها من معلومات ، وعن إتصالات تمت بين أفراد أرسلوا من طرفه لمقابلة أفراد آخرين من القوات المسلحة لهم صلتهم بعبد الحكيم وبأفراد مكتبه أيضا . وكانت تلك المعلومات تفيد بأن هناك ترتيبات معينة تجرى فى القوات المسلحة بغرض عمل تكتلات بين الضباط للوقوف وراء عبد الحكيم ومساندته فى موقفه . والصورة التى أعطيت لنا أن هناك قوة داخل الجيش تعمل لصالح عبد الحكيم وضد جمال . وكانت المعلومات تشير إلى أن الغرض ليس هو عمل إنقلاب عسكرى وإنما الهدف هو الضغط أساسا على جمال وذلك عن طريق نشر الشائعات عنه ، وعلى أنه قد أصبح مريضا حتى ينهار ويتراجع بسبب الضعف الذى أصاب أعصابه على حد قول أعوان عبد الحكيم . وقال جمال إن الموضوع هو (power politics) سياسة القوة . وقد ذكر ذلك عندما تساءل البعض منا عن الدافع لعبد الحكيم فى أن يتصرف بمثل هذه التصرفات التى يعلم أن لها أضرارها .

وقد ذكر جمال أن المعلومات التى تجمعت لديه تفيد أن صلاح نصر مدير المخابرات العامة يجتمع يوميا مع عبد الحكيم وإنه يعمل لصالحه . وقال إنه يعتقد أن جميع تيلفوناتنا مراقبة من المخابرات ولهذا فهو قد أمر بتغيير جميع نمر تيلفوناته ، وإنه لن يستخدم فى إتصالاته التليفونية غير النوع المعروف باسم م.٨ وقد أمر بتركيب هذا النوع من التليفونات فى منازلنا جميعا لاستحالة مراقبته لصعوبات فنية على حد قوله . وأخبرنا كذلك أنه علم أن بعض الضباط من الملتفين حول عبد الحكيم كانوا يقضون الليل فى معسكراتهم أثناء أزمة سبتمبر الماضى عندما أقدم عبد الحكيم على الاستقالة . وأنه أى جمال لم يعلم بهذا الأمر فى حينه وإنما علم به مؤخرا فقط . كما علم أيضا أنه كان هناك فى ذلك الوقت نشاط من بعض الضباط الانتهازيين . وأنهم كانوا يمرون على وحدات الجيش المختلفة ويطلبون من ضباطها إرسال عرائض إلى جمال وأن يعربوا فيها عن رغبتهم فى الإبقاء على عبد الحكيم وعدم قبول الاستقالة . وذكر جمال أنه لو علم بهذا الذى كان يجرى فى وقتها لقبل استقالته ولتحدى ما كان يحدث من فئة

المنتفعين . ولكنه لم يعلم به إلا بعد أن تكررت الأزمة أخيرا مع عبد الحكيم وعندما حاول أن يجس النبض عما يجرى فى الجيش علم بما كان قد حدث .

وقد أثارت هذه التصرفات دهشتنا جميعا ذلك لأن مصلحة بلدنا كانت دائما تدفع من يقدم منا على الاستقالة أن لا يشرك أحدا من خارج مجموعتنا فيما يجرى من خلاف بيننا ـ وأى فرد يستقيل كان يركن إلى السكون دون أن يحاول إثارة المشاكل أمام باقى الزملاء المستمرين فى تحمل مسئولية إدارة دفة البلاد . ولكن جمال فسر لنا هذه التصرفات من عبد الحكيم بقوله أنه الطفل المدلل الذى يدمر ويكسر ما تقع عليه يداه عندما يحرم من شىء له رغبة فيه لأنه لم يسبق له أن تعود على هذا الحرمان . وقال « هل حكيم يعتقد أنه هو الذى بنى بنفسه هذه القوة السياسية التى يتمتع بها الآن . إننى أنا الذى عملت على بنائها لاعتقادى أننا شخص واحد . وكان هذا على حساب كل فرد منكم ، وعلى حساب المصلحة العامة فى بعض الأحيان » . ولما قلت أن الخطأ هو الخلط بين الصداقة والعمل . قال « أنا أعلم ولكن لم يكن يخطر فى ذهنى فى يوم من الأيام أن يصل حكيم إلى ما وصل إليه اليوم » . وأخذ ينعته ببعض الصفات .

جرح لن يمحى طوال العمر :

وقال حسن إبراهيم أنه بعد أن سمع ما سمعه يرى أن المصلحة العامة تلزمه أن يذكر أهم ما قاله عبد الحكيم له عندما التق به . وذكر ما كان قد صرح به حكيم إليه عن معرفته بجمال تمام المعرفة وسعيه إلى تركيز السلطة فى مجلس الرئاسة حتى تنتقل إليه بعد يوليو ١٩٦٣ ، وإنه يسعى إلى التخلص من عبد الحكيم الآن كما سيتخلص من باقى الزملاء فى المستقبل . وهنا أكد عليه جمال عما إذا كان عبد الحكيم قد ذكر كلمة التخلص ـ فأكدها حسن له . فقال جمال « إن ما يصفنى به عبد الحكيم يتعلق بالناحية الأخلاقية ، وتسبب عنه جرح فى نفسى ، وحتى لو اندمل فسيترك أثرا لن يمحى طوال العمر . »

وكان تساؤلنا بعد الذى حدث ـ هل هناك أمل يرجى فى لم الشمل ، وعلى أى أساس ، فعلاقة جمال وعبد الحكيم قد أصابها التصدع وعدم الثقة . كما وإن علاقة حكيم بباقى الزملاء أيضا قد أصابها الاهتزاز .

وكان الأمر يحتاج منا إلى حكمة وصبر وهدوء أعصاب لعلاج ما حدث وحتى نتفادى أية مضاعفات قد تحدث. واتفقنا على أن نستمر فى جمع المعلومات وجس النبض أيضا عما يجرى فى الجيش. وعلى أن يكون ذلك بكل هدوء ودون إثارة أية شكوك.

وكان يوم الأحد ٩ ديسمبر ١٩٦٢ موعد عقد قران كريمة وجيه أباظة فى نادى ضباط القوات المسلحة بالزمالك. وقد حضر جمال عقد القران. واجتمعت اللجنة التنفيذية العليا للإتحاد الإشتراكى بعد الانتهاء من هذا الحفل. وتوجهنا بعد الانتهاء من الاجتماع إلى منزل جمال ليقص علينا ما كان قد دار بينه وبين عبد الحكيم عندما التقى به يوم الجمعة ٧ ديسمبر ١٩٦٢.

ويقول جمال إن شمس بدران كان قد ذهب إليه يوم الخميس ٦ ديسمبر وأبلغه أنه يحمل إليه رسالة شفوية من عبد الحكيم. وهى إن عبد الحكيم يطلب من جمال ردا على خطابه الذى سبق أن أرسله إليه. ولكن جمال قال له بأن ليس لديه أى رد ـ وهل هو سيرد على الحزبية أو المناورات السياسية أو النواحى الأخلاقية أو الحريات أو الميثاق. وكان يشير بذلك إلى ما جاء فى خطاب حكيم.

ويقول جمال أنه بعد أن ذكر له ذلك قال شمس أن هناك بقية للرسالة وهى أن عبد الحكيم يطلب منه أن يقبل استقالته.

ولكن جمال تساءل «أية استقالة». فأجاب شمس الخطاب الذى أرسله.

فقال له جمال انه خطاب شخصى، وإنه لايملك قبول استقالته مع وجود مجلس الرئاسة. وإذا كان يرغب فى الاستقالة فعليه أن يتقدم بها إلى المجلس.

وقام شمس بعد هذا بإبلاغه الجزء الأخير من الرسالة ـ وهى أن لم تقبل استقالته فى ظرف أسبوع فسيقوم عبد الحكيم بالعمل على تسليم قيادة الجيش للفريق على عامر ويخلى مسئوليته منها.

وجاء رد جمال بقوله «عليه أن يتصرف بالطريقة التى يرغب فيها».

ويقول جمال إن شمس بعد أن أبلغه هذه الرسالة أخذ يحاول إقناعه بأن يعمل

فى المحافظة على الباقية من العلاقة التى كانت قائمة بينه وبين عبد الحكيم . وأن يقوم بطلبه تليفونيا ليحضر إلى زيارته . وأنه - أى عبد الحكيم - على استعداد للحضور إليه لو طلب جمال منه ذلك .

وذكر لنا جمال أنه رفض ما اقترحه شمس بدران وقال له « منذ متى كان يزورنى حكيم بموعد سابق أو بعد الإتصال بى . لقد تعود أن يحضر إلى منزلى فى أى وقت يشاء . وعليه أن يحضر إن كان له رغبة فى ذلك » .

ثم انصرف شمس من عنده ولكنه عاد واتصل به فى اليوم التالى بعد ظهر يوم الجمعة ٧ ديسمبر وأبلغه عن رغبة حكيم فى زيارته . والتقى به جمال فى مساء نفس اليوم . وقد حضر شمس المناقشة التى جرت بينهما . ويقول جمال أنه هو الذى رغب فى وجوده حتى يسمع حقيقة الخلاف لأن حكيم كان قد أقنعه بصورة أخرى بعيدة عن الحقيقة .

ولقد ذكر لنا جمال أن حكيم هو الذى بدء بالحديث عن القانون موضع الخلاف . وأنه تساءل عن السبب الذى دفع جمال إلى التقدم به بهذه الطريقة رغم أنه كان فى زيارته قبل موعد انعقاد مجلس الرئاسة بيومين - يوم الإثنين - ولم يخبره عن نيته . وفسر له جمال ذلك بأن الدافع الذى دفعه إلى هذا هو محاولته - أى عبد الحكيم - الحصول منه على تفويض بسلطات رئيس الجمهورية أكثر مما كان قد اتفق عليه . وهو لذلك رأى أن يتقدم بالقانون إلى المجلس ليأخذ منه قرارا على ما سبق وتم الاتفاق عليه .

وأثار معه حكيم أيضا الطريقة التى نوقش بها مشروع القانون فى مجلس الرئاسة ، وقد تساءل كيف يؤخذ الرأى على التأجيل .وقد رد عليه جمال بقوله لأنه قرار ، وكان لابد من أخذ الرأى عليه . وأنه لو طلب تأجيل النظر فيه قبل بدء المناقشة لما اعترض أحد عليه .

وانتقل عبد الحكيم بالحديث بعد ذلك إلى خطابه الذى أرسله إلى جمال مستفهما منه عن سبب غضبه . وقد قال جمال منذ متى كنا نتعامل بالخطابات ، وهل وصل بنا الحال أن نعمل كما عمل مكرم والنحاس . ولكن حكيم رد عليه بأنه قد كتبه مخلصا ، وإنه لم يستغرق منه أكثر من عشر دقائق . فقال له جمال

« كيف تكون مخلصا وقد كتبت منه صورا أخرى على الآلة الكاتبة ، مع أن أصل الخطاب الذى أرسل إلىّ مكتوب بخط اليد » . فحاول حكيم أن ينفى ذلك . ولكن جمال أخبره أنه علم بذلك من حسن إبراهيم الذى اطلع بنفسه على صورة الخطاب المكتوب على الآلة الكاتبة . وتدخل شمس فى المناقشة وذكر أنه قد أخذت عدة صور فوتوغرافية للخطاب . وأكد عبد الحكيم قول شمس . ومن أنه فعل ذلك ليحتفظ بها للتاريخ .

لست كذابا :

وذكر له جمال أيضا ما كان عبد الحكيم قد ذكره لحسن إبراهيم عن معرفته جيدا لجمال ومسعاه إلى تركيز السلطة فى يده وأنه يعمل على التخلص منه اليوم ثم باقى المجموعة بعد ذلك . ولكن حكيم نفى أن ذلك القول صدر منه ، ولما أصر جمال على أنه ذكره لحسن ابراهيم تمسك حكيم بالنفى وقال « أنا لست كذابا » وقال له جمال إنه يذكر وقائع فقط .

وأخذت المناقشة بينهما تدور بعد ذلك ـ على حد قول جمال ـ عن الأسباب التى أوصلت علاقاتهما إلى هذه الدرجة من عدم الثقة .

ويقول جمال أنه ذكر له ما حدث أثناء انفصال سوريا وما ترتب عن ذلك من نتائج وتأثيرها على علاقاتهما . وأثار جمال معه أيضا محاولته فى إفهام كمال أشياء لم تحدث الأمر الذى تضايق منه كمال وتسبب عنه أزمة معه . كما أشار أيضا فى حديثه معه إلى السلطات التى كان قد طلبها حكيم فى سبتمبر السابق ثمنا لسحب استقالته .

وقد تساءل حكيم أثناء المناقشة عن وضعه السياسى بعد يوليو ١٩٦٣ عندما يترك جمال رئاسة الجمهورية . وأنه غير مستعد لحلف يمين الولاء لأى شخص آخر يتولى رئاسة الجمهورية غير جمال . ولكن جمال أجابه بأنه لا يعرف حتى تلك اللحظة الصورة التى سيكون عليها التنظيم السياسى فى المرحلة المقبلة .

وبعد أن ذكر جمال ما دار بينهما من حديث أراد أن يحلل لنا عبد الحكيم نفسانيا ـ على حد قوله . فقال أن حكيم قد شعر بضعف قوته السياسية بعد

الذى حدث فى حرب السويس ثم انفصال سوريا وكذا بعض الأخطاء الأخرى التى حدثت فى العمليات التى تجرى فى اليمن . ولما كان متأكدا من أن هذه المجموعة تعرف هذه الحقائق كاملة فهو لذلك يحاول أن يعمل عملية استعواض ـ على حد تعبيره ـ لما خسره وذلك بأن يكون فى مركز له قوته حتى يصبح له وضع خاص بين المجموعة .

رصيد فى طريق الزوال :

ودارت المناقشة بيننا بعد ذلك عن الحل لهذه المشكلة . وقمت بإعادة ذكر اقتراحى الذى سبق أن أبديته لجمال كحل . وهو محاولة لم الشمل والمحافظة على وحدة المجموعة حتى يوليو ١٩٦٣ . وأنه يمكن تحقيق ذلك إذا ابتعدنا جميعاً عن السلطة التنفيذية وعن الاتحاد الاشتراكى أيضا عند إعادة التنظيم . وأن نصبح كمجلس استشارى أو أى صورة أخرى نراها حتى نقضى على أسباب الخلاف والنزاع بيننا ـ والذى لابد سيتكرر فى المستقبل . وحتى نتيح أيضا بذلك فرصة الظهور لقيادات أخرى جديدة . ولتتمكن كذلك الصحافة والتنظيمات الشعبية من أن تقوم بدورها والنقد بحرية لأنه من الملاحظ أن وجودنا يمنعها من القيام بهذا الدور .وربما يكون ذلك ناتجا عن تقدير منهم لما أديناه من خدمات للبلاد خلال العشر سنوات الماضية . كما وأن بعدنا عن السلطة ربما يتيح الفرصة لجمال فى أن يقود بحرية أكثر دون أن يشعر بهذه الحساسية التى وجدت بيننا لاعتبارات الزمالة والصداقة . وأنه لمن صالح المجموعة أيضا الابتعاد عن تلك السلطة حتى تحتفظ لنفسها بالرصيد الشعبى الذى بنته فى خلال السنوات الماضية ولأننى أرى أن هذا الرصيد فى طريقه إلى الزوال .

ولقد تناولت فى حديثى أيضا ما صرح به جمال على أن الغرض من تنازله عن رئاسة الجمهورية هو حتى يؤكد عدم صحة ما ذكره عبد الحكيم عن رغبة جمال فى تركيز السلطة فى مجلس الرئاسة بهدف أن تنتقل إليه بعد ذلك . وقلت أن إعلان ـ جمال ـ عن هذا التنازل منه مع ظروف انتشار شائعة تقديم حكيم لاستقالته تضعف من مركز جمال وتقوى من مركز حكيم . ذلك لأن هذا التنازل منه سيأخذه الناس على أن الجيش هو الذى أجبره عليه واتفق معى فى الرأى باقى الزملاء ، وأمن جمال على هذا أيضا .

ولكن زكريا اعترض على هذا الحل الذى اقترحته ذاكرا أنه حل مثالى ولا يحل المشكلة التى تواجهنا . وقال إنه يعتقد أما أن عبد الحكيم يتصرف وقد حدد لنفسه هدفا يود تحقيقه وطبقا لخطة موضوعة أو أنه يتصرف دون تحديد هدف ودون خطة . وهو أى زكريا يرى أن عبد الحكيم يتصرف طبقا للاحتمال الأول وعلينا أن ننظر إلى الأمر من هذه الزاوية . كما أنه يعتقد أيضا أن يوم ٢٣ ديسمبر سيحدد نهاية المشكلة . ذلك لأن عبد الحكيم يعلم أن جمال سيعلن تنازله عن رئاسة الجمهورية فى هذا التاريخ . وهو أى حكم إن لم يتحرك قبل هذا التاريخ ـ على حد قوله ـ سيكون الطريق قد قطع عليه . وهو يقصد بذلك على ماأعتقد أن الشعب سيتحرك ويتمسك بجمال عندما يعلن تنازله ويصبح الأمر وكأنه استفتاء عليه من الشعب .

وقد تناقشنا فى هل نعمل على تصفية المشكلة قبل يوم ٢٣ ديسمبر أم نؤجلها إلى ما بعد هذا التاريخ . وتناولت المناقشة أيضا ضرورة اتخاذ إجراءات أمن أثناء تواجدنا فى بورسعيد فى عيد النصر .

التصفية :

وكانت الرغبة واضحة من الجميع فى تأجيل اتخاذ خطوات تصفية هذه المشكلة إلى ما بعد انتهاء احتفال عيد النصر فى بورسعيد . وأن تتخذ إجراءات أمن كافية فى كل من بورسعيد والقاهرة وذلك خشية أن يدفع الطيش عبد الحكيم ويتخذ من الخطوات ما يترتب عنه صدام بين وحدات القوات المسلحة . واتفق أيضا أن نعمل على تصفية ذلك الموقف معه قبل نهاية ديسمبر . وأن يكون أساس تلك التصفية أما أن يقبل حكيم أن يكون عضوا بمجلس الرئاسة فقط ويعين بدلا منه قائدا عاما جديدا أو أن يستقيل وتقبل استقالته . وإن وافق على الحل الأول يحال جميع الضباط المشكوك فى أمرهم إلى المعاش . وأما إذا أصر على الاستقالة وتم قبولها فالأمر فى هذه الحالة يستدعى اعتقال هؤلاء الضباط فى نفس الوقت الذى تقبل فيه استقالته . وقد رؤى إبعاد محمد صدقى محمود عن القوات الجوية على أن يعين بدلا منه مدكور أبو العز . وكذا استبعاد سليمان عزت قائد القوات البحرية ولكن لم يتم الاتفاق على من يحل محله . هذا بالإضافة إلى ضباط آخرين .

وفى يوم الأربعاء ١٢ ديسمبر ١٩٦٢ طلب جمال أن نجتمع به ظهراً فى منزله . وحضر هذا الاجتماع كل من حسن إبراهيم وحسين الشافعى وزكريا محى الدين وأنا . أما أنور فلم يحضره لسفره إلى اليمن فى اليوم السابق ، وكذا كمال الدين حسين الذى كان قد امتنع عن حضور اجتماعاتنا من فترة .

وقام جمال بإبلاغنا أنه اجتمع مع عبد الحكيم لمدة تسع ساعات فى اليوم السابق ـ الثلاثاء ١١ ديسمبر ١٩٦٢ .

رشاش كاتم للصوت :

ويقول جمال أن قصة اجتماعه به كانت قد بدأت عندما اتصل به شمس بدران يوم الاثنين ١٠ ديسمبر وأبلغه أن أحد ضباط الجيش ممن لهم صلة بقضية عبد القادر عيد ـ مدير مكتب عبد الحكيم والمتهم فى مؤامرة لقلب نظام الحكم ، كان قد تقابل مع أحد ضباط الحرس الجمهورى ـ وهو صديق له ـ وسأله عن المدفع الرشاش ذو كاتم الصوت والموجود لدى الحرس ـ وطالبه به , ولما سأله ضابط الحرس عما سيفعله به قال « أليس فى إمكانكم استخدام هذا المدفع وتخليصنا من جمال عبد الناصر » . وذهب ضابط الحرس وهو صديق لشمس وأبلغه بذلك الحديث .

كما وأن شمس قد أبلغ جمال أيضا أن الأمر سيفلت زمامه فى الجيش نتيجة هذا الخلاف ، لأنه قد أتاح الفرصة للقيل والقال ، وهو لذلك يرى أنه من الضرورى أن يبت فيه وبسرعة واليوم قبل الغد .

وذكر لجمال أيضا أن لا أمل هناك يرجى فى حل غير قبول استقالة عبد الحكيم .

ويقول جمال أنه تحدث إليه عن أسباب هذا الفلتان ـ على حد تعبيره ـ الموجود فى الجيش . وأن ذلك قد نتج لأن موضوع الخلاف وما يحدث بيننا ينقل حرفيا ويوميا إلى بعض ضباط الجيش ، وهم بدورهم يرددونه بين زملائهم . كما ذكر له كذلك ما يجرى فى الجيش من اتصالات والتى تهدف إلى تكتيل الضباط والصولات للضغط على جمال . ويقول أنه ذكر له أيضا ما كان قد جرى فى سبتمبر الماضى ومبيت بعض الضباط فى معسكراتهم .

وذكر جمال أن الحديث معه استغرق أربع ساعات ، وقد طلب منه فى نهايته ابلاغه إلى عبد الحكيم .

سأقاتل دفاعا عنك :

ويقول أنه فى اليوم التالى اتصل به شمس وأبلغه رغبة عبد الحكيم فى مقابلته . وقد تم اللقاء بينهما فى نفس اليوم ـ الثلاثاء ١١ ديسمبر ـ وتواجد معهما شمس أيضا طوال مدة الاجتماع . وأن عبد الحكيم أبلغ جمال أنه أمضى طوال الليلة السابقة وهو يجرى تحقيقا فى تلك التصرفات التى ذكرها جمال لشمس . وأنه لم يكن يعلم بها من قبل . وقد عمل على نقل بعض الضباط والصولات . كما أنه على استعداد لإصدار الأوامر والتعليمات التى يرغب فيها جمال . وعبر له عن مشاعره بقوله « إذا استدعى الأمر ستجدنى أول المدافعين عنك وسأقاتل أمام باب منزلك دفاعا عنك » . ويقول جمال أنه كان موقفا عاطفيا من حكيم وأنه بكى أكثر من عشر مرات خلال فترة الاجتماع .

وقد دار الحديث بينهما بعد ذلك حول القانون موضع الخلاف . وأعاد حكيم تساؤله عن الأسباب التى دفعت جمال إلى مفاجأته على تلك الصورة ووضعه فى كفه وباقى أعضاء المجلس فى كفة أخرى على حد تعبيره ويقول جمال أنه أجابه بأنه قد فاجأه مرة واحدة مقابل عشرات المفاجآت التى سبق وفاجأه هو بها . وقد ذكر له أيضاً أن المشكلة ليست هى القانون وإنما المشكلة هى الجيش . وطلب منه عدم تأويل كلامه الذى سيذكره .

وقال له « لماذا تربط نفسك دائماً بالجيش وتتمسك بقيادته ـ هل عندما قامت الثورة كان هدفنا أن تتولى أنت قيادة الجيش وأتولى أنا رئاسة الجمهورية ـ ومن الذى اقترح تعيينك قائداً عاماً للجيش ـ أليس أنا ـ وإذا كان الأمر كذلك فأليس من الطبيعى بعد انفصال سوريا وموقف الجيش منه أن تحاسب على ما جرى . » ويستطرد معه ويقول « ولكن لم ينظر إلى الموضوع على أنك قائد للجيش وإنما نظر إليه على أن لك وضع سياسى وأنه هو الوضع الغالب . وقد أصررنا على بقائك عندما طلبت أن تستقيل بعد أحداث الانفصال . وأنا أعلم أن موضوع انفصال سوريا عمل لك (Set Back) ـ خسارة . ولهذا السبب

حـاولت أن أعوضـك عنه فى احتفـال الثورة فى العـام الماضى ، ولم أذكر بالثناء إلا أنت دون باقى المجموعة . وكان غرضى أن أعوض لك ما خسرته بعد انفصـال سوريا . وأن الإعلان عن صواريخ الظافر والقاهر لم يكن القصـد منه عسكرياً لأنه من المفـروض أن يظل هذا الأمر سراً من الناحية العسكرية . ولكن كان الغـرض من هذا الإعلان هو كسـب بعض ما خسرناه من عملية الانفصـال ـ والمكسب أساساً عائد عليك شخصياً » .

ضباط يقضون الليل فى المعسكرات :

ويقول جمال أنه أوضح له أنه كان دائماً حريص عليه ، ويحاول إرضائه فى كل مرة يتقدم فيها باستقالته ويقـوم بعمل تنازلات من جـانبه ـ وكيف أنه أى حكيم قد أصبح يقدم إليه استقالته كل ٤٥ يوماً . وكيف أن جمال قد تحامل على نفسه وذهب إليه فى منزله فى سبتمبر لنفس الغرض وهو إرضائه ، ولكنه علم بعـد ذلك أن هناك ضباطاً كانوا فى ذلك الوقت يقضـون الليل فى معسكراتهم ويمرون على ضباط الوحدات العسكرية المختلفـة لدفعهم إلى كتابة العـرائض للتمسـك بعبد الحكيم . وأبدى له حكيم عدم معرفته بذلك وأنه على استعداد لاتخاذ ما يراه جمال مع هؤلاء الضباط .

وقد أبلغنا جمال أنه تبين له أن حكيم لم يكن يعلم بما يجـرى فى الجيش من بعض الضباط ، وأن حكيم قد أثار معه ثانية فى حديثه معه وضعه السياسى بعـد يوليو ١٩٦٣ . وقد أبلغـه جمال أنه ينوى اعتزال رئاسـة الجمهـورية وسـيقوم بإعلان ذلك فى عيد العلم يوم ١٥ ديسـمبر . وحـاول حكيم أنه يثنيه عن هذا الاتجاه ، ولكن جمال قال له أنه من الممكن أن يتولى هذا المنصـب أى شـخص نتفق عليه ، وأن يعمل الباقى من الزملاء فى الاتحاد الاشـتراكى . وصرح له جمال أن صورة التنظيم بعد يوليو ليست واضـحة فى ذهنه وأن هذا الأمر سـنناقشه فى حينه . كما طلب منه أن يكف عن تقـديم اسـتقالته وأن يكون فى معلومه أنه لن يقبلها بعد ذلك . ويقول أنه أبلغه أيضـاً أن مجموعة الزملاء سـتبعد عن السـلطة التنفيذية بعـد يوليو ١٩٦٣ . وأن هذا الأمر سـينفذ فى الجيش كذلك وسـيعين له قائداً عاماً جديداً تنفيذاً لما سبق الاتفاق عليه فى سبتمبر . وحاول حكيم أن ينفى

أن هذا كان قد اتفق عليه . وأطلعه جمال على بعض المذكرات المرتبطة به ، والتى سبق لحكيم الاطلاع عليها فى حينها . وكان قد أخبر جمال فى ذلك الوقت بأنه مطمئن على أمن الجيش وأنه يمكنه تعيين قائداً عاماً جديداً .

وقال جمال أنهما فى نهاية الحديث إتفقا على أن يعين القائد العام الجديد ابتداء من شهر مارس ١٩٦٣ بعد أن تنتهى حرب اليمن ويكون موضوع الخلاف قد هدأ الجدل حوله خاصة بين ضباط الجيش . ولأن تعيين قائداً عاماً جديداً مع وجود تلك الظروف ـ على حد قوله ـ يؤثر على موقف عبد الحكيم . وذكر أيضاً أنهما اتفقا على أن يستمر عبد الحكيم نائباً للقائد الأعلى مع وجود القائد العام الجديد . كما وأن عبد الحكيم قد طلب منه أن يعين من يقع عليه الاختيار كقائد عام فى منصب نائب القائد العام وذلك من مارس حتى يوليو ١٩٦٣ . ويذكر جمال أنه قد وافقه على هذا المطلب منه . ثم يعود ويذكر لنا أن عبد الحكيم قد أثار معه بعد ذلك أيضاً القانون الذى تسبب عنه ذلك الخلاف ، وأنه قد فهم من جمال عند بداية الحديث أنه على استعداد لعدم وضعه موضع التنفيذ . ولكن جمال نفى له هذا وأصر على حد قوله بضرورة تنفيذه خاصة وأنه قد صدر فيه قرار من مجلس الرئاسة .

حل وسط :

ويستطرد جمال ويذكر أن عبد الحكيم يعتقد أن عودته على هذا الشكل فيه إهدار لكرامته ـ حتى أنه سأل جمال « لماذا ترغب فى وضع أنفى فى التراب » . ويقول جمال إنه رد عليه بقوله « إذا كان الأمر مرتبط بكرامتك فهو مرتبط أيضاً بكرامتى وأنت لا ترضى بإهدارها . وكيف يمكننى مواجهة أعضاء مجلس الرئاسة بعد ذلك » . كما يقول أنهما تناقشا فى القانون وقد طلب عبد الحكيم أن يكتفى بالعرض على مجلس الرئاسة الترقيات والتنقلات والتعيينات والانتدابات الخاصة فقط برؤساء هيئات أركان حرب الجيش والأفرقة دون باقى القيادات . وأنه بعد مناقشات طويلة بينهما تم الاتفاق على أن يعرض على مجلس الرئاسة قادة الألوية فما فوقها من الرتب فقط . كما أتفقا أيضاً على أن يوضع القانون موضع التنفيذ اعتباراً من يوليو ١٩٦٣ . وعبر جمال لنا عن ذلك بأن ما وصل إليه يعتبر حلاً

وسطاً وبه يمكن الإبقاء على عبد الحكيم مع المجموعة ولا ينفصل عنها . وذكر أن عبد الحكيم سيجتمع بنا فى مساء نفس اليوم ليتوجه معنا إلى اجتماع مجلس الرئاسة .

وانتهينا إلى هذا الحل الوسط على حد تعبير جمال ولكنه كان على حساب القيادة الجماعية الممثلة فى مجلس الرئاسة . ولقد أضعف هذا الحل من قوتها بل وأثر على وجودها نفسه . وقد زاد ضعفها بعد ذلك حتى أصبح دورها ثانوياً رغم أنها كانت هى أعلى سلطة فى البلاد بحكم قرار تشكيلها . وحتى هذا الحل الوسط لم يوضع موضع التنفيذ ـ ولم يحترم ذلك القرار .

وكنت قد إعتقدت فى البداية أن جمال جاداً فى قيام التنظيم الذى تقوم فيه الدولة على مجموعة من المؤسسات السياسية ، وأنه حريص على تحقيق ونجاح القيادة الجماعية من أعلى مستوى فى القيادة إلى أدنى المستويات فيها . خاصة وأن هذه القرارات التنظيمية كانت قد صدرت على أثر انفصال سوريا من الوحدة والمأساة التى حدثت . وصدورها لم يكن إلا كدرس مستفاد لنا من أخطاء الماضى . ولكن سرعان ما نسى جمال هذه المأساة وعاد إلى عادته القديمة وهى محاولة الظهور بمظهر الرجل القوى وأنه المحرك لكل شيء ووراء كل قرار .

وعندما تبينت ذلك بالإضافة إلى ما سمى بالحل الوسط وإهمال قرار مجلس الرئاسة فكرت فى أن أعتزل الحياة العامة وأن أكتفى بالدور الذى قمت به خلال الفترة السابقة من يوم قيام الثورة ، ولاعتقادى أيضاً أن هذا الأسلوب المتبع فى الحكم سيؤدى إلى نتائج وخيمة .

أحد حلين :

وكان أمامى أحد حلين ـ إما أن أتقدم باستقالتى فوراً أو أن انتظر حتى تنتقل الثورة إلى المرحلة الجديدة من التنظيم بعد قيام مجلس الأمة فى يوليو ١٩٦٣ ، ثم أستقيل مع بداية تلك المرحلة .

وقد اخترت لنفسى الحل الثانى وكموقف منى فى سبيل المحافظة على مظهر وحدة المجموعة ، ولاعتقادى أيضاً أن فى ذلك صالح بلدى ولأن أضراره أخف على وطنى ولو أنه أقسى على نفسى . ولقد قمت بتنفيذ ما قررته لنفسى . وكان

واضحاً لزملائى أننى متخذ هذه السياسة رغم عدم حديثى معهم فيها . ولم يفاتحنى فى ذلك أحد منهم غير حسن إبراهيم بعد عودتى من لندن التى كنت قد سافرت إليهافى أوائل أغسطس ١٩٦٣ لإجراء عملية جراحية بها وعدت منها فى يوم ٤ أكتوبر ١٩٦٣ .

وكان موعد انعقاد مجلس الأمة قد تأجل من يوليو ١٩٦٣ إلى فبراير من العام التالى ثم إلى مارس من نفس العام بسبب التأخير فى إعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى . وقد اضطررت أن أتحمل تلك المدة الزائدة عن يوليو ١٩٦٣ ولكننى كنت أقاسى فيها معنوياً ونفسانياً . وكان يهمنى أن أعتزل الحياة العامة فى سكون دون إثارة المتاعب لزملائى وعند إعادة التنظيم . وكنت أتصرف على هذا الأساس ، فأحضر الحفلات الرسمية وأحاول إخفاء شعورى بعدم الرضا . ولا أذهب إلى مكتبى إلا مرة واحدة فى الأسبوع لأستقبل فيها بعض السفراء الأجانب وبعض المواطنين الذين يرغبون فى مقابلتى . وكنت أهدف بذلك إلى تغطية الشكل أمام الرأى العام ومنعاً لإثارة الشائعات . وكنت أستعجل مرور الزمن ليأتى اليوم الذى أستقيل فيه وقد اعتبرته يوم الخلاص مما كنت أقاسيه . وكنت أشعر أن الأيام تمر ببطء شديد حتى جاء يوم ٤ مارس ١٩٦٤ ودارت فيه مناقشة بين جمال وكمال . وبينى كذلك وبحضور باقى الزملاء . وتقدمت بعدها باستقالتى يوم ١٦ مارس . ولكن ماذا دار فى هذا اليوم من نقاش ـ سوف نرى ما سجلته يومياتى ـ وسيأتى ذكره فى باب الاستقالة .

الباب السابع
الاستقالة

١) قيام مجلس الرئاسة .
٢) اعتذارى عن تولى منصب الأمين العام للاتحاد الاشتراكى بالقاهرة .
٣) اجتماع يوم ٤ مارس ١٩٦٤ .
٤) ضيق كمال .
٥) صداقة أو علاقة عمل .
٦) عدم توافر الحريات .
٧) عبود باشا أحسن أم لينين .
٨) تأثر جمال بالفكر الماركسى .
٩) ملكية الشعب لأدوات الإنتاج بدلاً من سيطرته .
١٠) البرامكة .
١١) الاعتداء على الميثاق الوطنى .
١٢) الاعتراض على بعض مرشحى مجلس الأمة .
١٣) فشل القيادة الجماعية (مجلس الرئاسة) .
١٤) مسئولاً وغير مسئول .
١٥) المشكلة جذرية .
١٦) نية كمال فى الاستقالة .
١٧) نص خطاب استقالتى .
١٨) تحرك جمال ـ وما نشر فى جريدة الأهرام عن الحريات والحراسات وقانون الطوارىء .
١٩) انفراد جمال بإصدار قرارات دون مجلس الرئاسة .
٢٠) تعيين على صبرى رئيساً للوزارة .
٢١) مفاجأة كمال باستقالتى .
٢٢) استقالة كمال .
٢٣) تعيين عبد الحكيم نائباً أول .
٢٤) فرض الحراسة على شقيق .

٢٥) إعفاء عبد الرؤوف نافع من منصبه .
٢٦) تغيير تاريخ قرار فرض الحراسة على شقيق .
٢٧) الاستفتاء على جمال .
٢٨) رفع الحراسة عن شقيق وأسبابه .
٢٩) الاعتذار عن العودة إلى المشاركة .
٣٠) مضايقات أخرى لى من جمال
٣١) رسالة من كمال إلى جمال « اتق الله »
٣٢) اعتقال كمال .
٣٣) وفاة حرم كمال .

الإســـتقــالـه

كنت من ضمن الذين اشـتركوا فى قيام ثورة ١٩٥٢ ، ومن الذين أعدوا لهـا سنوات قبل قيامها . وقد ظللت متحمساً لها وأعمل من أجلها بكل طاقتى طوال اشتراكى فى مسئولية تسييرها بعد قيامها ، وذلك لإيمانى بها وبأهدافها وأنها لم تقم إلا لصالح شعبنا وبلدنا . وكنت طوال فترة وجودى مشـتركاً بهـا ، أميناً عليهـا وأعمل لصالحها . وكنت لا أتردد فى قول أو فى عمل عندما أعتقـد أنه يدعمهـا أو يجنبهـا المخـاطر والأخـطاء . وربما أكون قد أخـطأت فى عمل أو فى رأى ولكن عذرى أننى كنت أعتقد أنه الصواب . وربما أكون قد تجنبت الصدام من أجلهـا فى مسـائل فرعية ولكننى كنت عكس ذلك فيما أعتقـد أنه يمس الأسـاس الذى قامت من أجله الثورة .

كانت الثورة جزء منى هى بالتشبيه كإبنى تماماً عملت لها وجاهدت فى سـبيلها سنوات طوال قبل وبعد قيامها . وقد استنفدت من عمرى زهاء خمسـة وعشرين عاماً . ولم أكن أفكر فى البعـد عنهـا الا عندما أرى أن هذا هو الصــواب وأن المسئولية التاريخية تحتم علىّ ذلك . وليس من السهل اتخاذ قرار يبعدك عن شىء عشت له وضحيت من أجله وأضعت جـزءاً عزيزاً عليك من عمرك فى سـبيله .

واتخاذ قرار البعد عن المشاركة فى مسيرة الثورة لم يكن سهلاً على نفسى . ولا بد أن يكون هناك من الأسباب القوية التى جعلتنى مقتنعاً تمام الاقتناع أن هذا هو الصواب وأن فيه أيضاً صالح بلدى .

ولا أحب هنا أن أعدد الأسباب التى دفعتنى إلى اتخاذ هذا القرار ، وإنما سأترك للقارىء أن يقدر هو موقفى والظروف التى أحاطت بنا وأن يحكم بنفسه على صحة أو خطأ ما اتخذت من قرار . وحتى يكون منصفاً فى حكمه لابد أن يضع نفسه مكانى وما كان يدور حولى من أحداث . وهذه المذكرات التى أقدمها إليه تعطيه صورة واضحة مختصرة لما كان يجرى . وقد حاولت قدر استطاعتى أن أكون أميناً فى نقلها إليه . وهى ليست من الذاكرة ولكنها عن يوميات كتبت فى حينها . وأظن القارىء يتفق معى فى أن أى ذاكرة لا يمكن لها بل ومن المستحيل عليها أن تختزن كل ما كتب هنا من وقائع بهذه الدقة مع تطور الأحداث السريع وبعد مرور هذه السنوات الطوال على وقوعها .

لقد رأيت أن أتقدم للقارىء بهذه المقدمة البسيطة قبل أن أبدأ فى ذكر ما جاء فى يومياتى عن استقالتى فى هذا الباب . ولا يجب على القارىء أن يفصل ما سيأتى فيه عن باقى الأبواب الأخرى السابقة لأنه جزء مكمل لها وليس منفصلاً عنها . وهذه الأبواب بتتابعها وما جاء فيها ما هى إلا سلسلة متصلة ومرتبطة بعضها ببعض ، ولا تكتمل الصورة إلا إذا نظر القارىء إليها كوحدة واحدة وأن كل منها مكمل للآخر . وعلى القارىء أن يحكم من خلالها على مواقف الأشخاص الذين صنعوا أو اشتركوا فى صنع أحداث هذه الوقائع إذا أراد أن يكون منصفاً فى حكمه . وليس هناك أشد قسوة من أن يحكم على شخص حكماً جائراً فى أمر كان يعتقد أنه قد أداه بإخلاص وأمانة ولم يقصر فى واجبه . ويزداد إحساسه بهذه القسوة خاصة إن كان هذا الواجب وطنى .

كان قد تشكل مجلس الرئاسة فى سبتمبر ١٩٦٢ كأعلى سلطة فى البلاد بعد أن تقرر أن تقوم الدولة على مجموعة من المؤسسات السياسية . وحتى يقوم المجلس بدوره كقيادة جماعية كان لابد من أن يضع لنفسه تنظيماً داخلياً يمكنه من أن يؤدى هذا الدور كاملاً .

وكنت قد قمت بالاشتراك مع كمال الدين حسين منذ بداية تشكيل المجلس وبقرار منه بدراسة هذا التنظيم الداخلى. واقترحنا تنظيما يمكن المجلس من وضع السياسة العامة للدولة ويمكنه أيضاً من متابعة تنفيذها أو تعديلها أيضاً إذا اقتضى الأمر ذلك. وكان المجلس قد وافق على هذا التنظيم المقترح وعلى أسماء الفنيين اللازمين للعمل فيه كذلك. وكان من المفروض أن تصدر القرارات الجمهورية المنفذة لقرار المجلس فى هذا الأمر. ولكنها لم تصدر رغم إثارة تأخر إصدارها عدة مرات فى إجتماعات مجلس الرئاسة.

ولم يكن فى مقدور المجلس القيام بواجباته دون هذه التنظيمات. كما أنه لم يكن يصله أيضاً أية معلومات عما يجرى فى البلاد. وأصبح المجلس بذلك وهو المسئول الأول فى الدولة فى عزلة تامة عن مجريات الأمور ولا يملك من السلطة شيئاً.

خيبة أمل:

وكانت الشكوك قد بدأت تساورنى أن جمال نفسه لا يريد أن يكون للمجلس فعاليته وقوته. ذلك لأنها إن وجدت فستنتقص من قوته السياسية ولو مظهرياً على الأقل أمام الرأى العام. وهو ما كان يحاول دائماً أن يتفاداه حتى يعتقد أنه المحرك الأساسى لكل شىء. وكنت قد ظننت فى البداية أن جمال جاداً فى قيام القيادة الجماعية، وأنه حريص على تحقيق نجاحها خاصة بعد انفصال سوريا وكدرس مستفاد من هذا الحدث. وقد أصبت بخيبة أمل أليمة عندما اتضح لى غير ذلك. هذا بالإضافة إلى ما كان قد جرى عندما تمسك عبد الحكيم بأن يظل يباشر سلطة القائد العام رغم قرار مجلس الرئاسة. وذلك الحل الذى توصل إليه جمال معه وهو ما سماه كما سبق وأن ذكرت فى الباب السابق أنه حل وسط. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبح المجلس لا يدعى إلى الانعقاد أيضاً إلا فى القليل النادر.

وكنت قد قررت لنفسى عندما وجدت أن لا جدوى هناك ترجى من تغيير جمال لأسلوبه فى الحكم أن أنسحب من الحياة العامة. ورأيت أن أنتظر ولا أتخذ هذه الخطوة إلا عند بداية المرحلة الجديدة من التنظيم والتى تبدأ بقيام مجلس الأمة فى يوليو ١٩٦٣. ولكن قيام هذا المجلس كان قد تأجل ولم يتم انعقاده إلا فى ٢٦ مارس ١٩٦٤

كما أننى كنت قد مرضت وسافرت إلى الخارج لإجراء عملية جراحية هناك . وعندما عدت فى أكتوبر ١٩٦٣ وجدت أن مجلس الرئاسة أصبح لا ينعقد بتاتاً . ولم يبق من دور يؤديه غير أن ترسل إلى أعضائه بعض المسائل الواردة من مجلس الوزراء للموافقة عليها بالتمرير . والمعروف كقاعدة عامة أنه لو اعترض عضو على مسألة مطلوب الرأى فيها بالتمرير إستحال إصدار قرار بها إلا بعد عرضها على المجلس مجتمعاً . وكنت قد فوجئت بصدور قرار جمهورى فى مسألة سبق أن اعترضت عليها عندما تم عرضها بالتمرير ولم يكن قد أعيد عرضها فى إجتماع للمجلس . وبعد هذه الواقعة رأيت أن أمتنع عن النظر فى أية مسائل مطلوب الرأى فيها بالتمرير ، ونفذت ذلك بأن أصدرت أوامرى إلى مدير مكتبى بأن يعيد مثل هذه المسائل إلى سكرتير عام مجلس الرئاسة ثانية دون أن يفض غلافها .

إلى أين نحن ذاهبون ؟ :

وكان جمال قد طلب منى فى اجتماع عقد فى منزله مع الزملاء فى ديسمبر ١٩٦٣ أن أتولى منصب الأمين العام للاتحاد الاشتراكى فى القاهرة وذلك أثناء بحث إعادة تنظيمه . وقد فاجأنى بهذا المطلب منه واضطررت إلى الاعتذار واقترحت أن يتولاه زكريا محى الدين . ولما حاول عبد الحكيم إقناعى بأن أتولاه قلت « إذا كان ولابد فمن الضرورى أولا أن نتعرف على الطريق الذى نسير فيه والى اين نحن ذاهبون » . واقترح عبد الحكيم عندما قلت ذلك أن اجتمع مع جمال على انفراد دون باقى الزملاء لمناقشة هذا الأمر . وعلى ما يظهر أن جمال قد فوجىء بهذا الموقف منى فلم يتكلم . وحاول زكريا التهرب من هذا الذى اقترحته . وانصرفنا من هذا الاجتماع دون أن يبت فى الموضوع ودون أن يحدد موعداً لألتقى فيه مع جمال . وقد سألنى حسن ابراهيم بعد الاجتماع ونحن فى طريقنا إلى منازلنا « لماذا اتخذت هذا الموقف ، وما الذى يدور فى ذهنك » . فأجبته بأننى قد نويت من مدة أن أعتزل الحياة العامة وأخذت لنفسى هذا القرار ولكنه فاجأنى بهذا المطلب ، وهو ـ أى جمال ـ لن يجتمع بى كما اقترح عبد الحكيم لأنه إن تم هذا الاجتماع فغالباً لن نتفق وسيعجل ذلك باستقالتى » .

وقد تجنب جمال فعلاً عقد هذا الاجتماع ، وظللت على موقفى انتظاراً إلى قيام مجلس الأمة . ولكن فى يوم ٤ مارس ١٩٦٤ حدث أن اجتمعنا جميعاً فى منزل جمال ودون سابق ترتيب ، وجرى فيه مناقشات ، ولأهمية ما دار فيه أرى أن أوردها هنا للقارىء كما جاءت فى يومياتى .

كانت جنازة المرحوم محمد فهمى السيد المستشار القانونى لرئيس الجمهورية يوم ٤ مارس ١٩٦٤ . وقد حضرها جمال وجميع الزملاء أيضاً لصلة القرابة التى تربط بينه وبين جمال . وكان جمال قد صحب معه فى سيارته بعد الإنتهاء من تشييع الجثمان كمال الدين حسين وتوجه إلى منزله وطلب منا اللحاق به هناك . وكان كمال حتى ذلك اليوم لا يزال معتكفا من فترة طويلة فى منزله بعد أن تقدم باستقالته ولم يكن قد بت فيها بعد .

ولقد بدأ الاجتماع فى منزل جمال الساعة الثانية عشر ظهراً وظل مستمراً حتى منتصف الثامنة مساء . وحضر هذا الاجتماع كل من عبد الحكيم وزكريا وأنور وحسين الشافعى وأنا ، بخلاف جمال وكمال .

علاقة العمل وعلاقة الدم :

وكان جمال قد بدأ الحديث بقوله أنه وهو فى طريقه إلى حضور الجنازة فكر فى أن يعود بعدها إلى منزله ومعه كمال الذى لابد سيجده يقوم بواجب العزاء . وأن غرضه من ذلك هو تصفية ما بينهما من خلاف . كما قال أيضاً إننا مقبلون على مرحلة جديدة بعد قيام مجلس الأمة . وأن التنظيم السياسى سيعاد النظر فيه . وهو يهمه أن يصفى الجو بيننا لنقف كتلة واحدة متحدة - على حد قوله - فى مواجهة الرجعية التى تقاتلنا بشراسة . وطلب من كمال بعد ذلك أن يتكلم ويذكر ما يضايقه أو يشعر به .

وتكلم كمال وذكر خطاب استقالته وما كان قد ورد فيه عن الصداقة التى بيننا . وكيف أن جمال قد رد عليه وقتئذ بأن العلاقة التى بيننا هى علاقة عمل وليست صداقة . وعندما ذكر كمال ذلك حاول جمال أن يفسر هذه العلاقة بأنها علاقة دم . وأن الارتباط الذى قام بيننا من قبل قيام الثورة كان على أساس من الإيمان المشترك بأهداف وطنية . وحاول أن يبين أنه لا يمكن الفصل بين

الصداقة والعمل . وأن كل واحد منا قد خرج يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كما خرج هو . وأن الثورة ثورتنا جميعاً . وأنه لم يفكر فى أنه هو صاحبها بمفرده فى يوم من الأيام ـ ولهذا فهو لا يفرط فى أحد من المجموعة .

وكان واضحاً أنه قد تراجع عما سبق وذكره لكمال . ولكن كمال ظل متمسكاً ومردداً أن هذا الذى ذكره كان قد صدر من جمال . وكان جمال محرجا أمام باقى الزملاء ، الأمر الذى دفعنى إلى التدخل وأن أذكر لكمال أن ما قاله جمال يعتبر اعتذاراً منه ضمنياً لو كان قد بدر منه ما يذكره كمال ذلك حتى ننهى هذه المناقشة التى كانت قد طالت .

أين الحرية :

وانتقل كمال بعد ذلك فى حديثه إلى الحريات وعدم توافرها . وأن لا أمن على حرية من يقومون بالنقد وأنهم مهددون فى مورد رزقهم .

وقال جمال ما يفهم منه أن كمال نفسه لا ينفذ هذا ، وأنه لا يسمح لأحد بمناقشته .

وسأله كمال « من الذى قال لك هذا ـ هيكل » . وكان يقصد محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام . وعاود كمال الكلام عن الحريات وذكر عدم توافر الحرية للصحافة ، وانتقد ديكتاتورية القائمين عليها ، وعدم سماحهم لغيرهم بأخذ الفرصة . وتكلم أيضاً عما هو وارد فى الميثاق الوطنى عن الحرية . وما جاء كذلك فى تقرير الميثاق عنها . وذكر أنه كان يستغرب من طلب لجنة المائة التى كانت تعد تقرير الميثاق عندما كانت تتساءل عن ضمانات الحرية ـ ولكنه قد فهم الآن .

عبود أحسن . . أم لينين ! ! :

وتناول فى حديثه كذلك الاشتراكية عندنا ، وأنها لا بد أن تنبع من ديننا وليست من نظريات وأفكار ماركس ولينين .

وسأله جمال « هل عبود باشا أحسن أم لينين » .

وأجابه كمال على أنه يخيره بين الشيطان وإبليس ولكن يرضيه أن نلتزم بما هو وارد فى الميثاق وتقريره .

واستمرت المناقشة لفترة طويلة حول ما أثاره كمال من ضرورة أن تكون اشتراكيتنا مستمدة أساساً من الشريعة الإسلامية . ولكن تبين أن ليس هناك دراسات وافية حول ما يتمسك به كمال . وكان الجميع يرى عدم التقيد بهذا المبدأ حتى تتم الدراسة أولاً - وكمال ظل مصراً على ضرورة الأخذ به . ولكنه فى النهاية وافق على أن لا يوضع هذا المبدأ موضع التنفيذ إلا بعد أن تستوفى الدراسة وعلى أن يستبعد الأخذ بالنظرية الماركسية .

جمال والماركسية :

ولقد قال جمال فى سياق الحديث أنه متأثر بالفكر الماركسى ولكنه ليس بشيوعى . وأنه مؤمن أن اشتراكيتنا لابد أن تتطور إلى ملكية الشعب لأدوات الإنتاج بدلاً مما هو وارد فى الميثاق عن سيطرة الشعب على هذه الأدوات . وهذه كانت نقطة جديدة لم يسبق له أن أشار إليها من قبل . وكنت لاحظت أن عبد الحكيم قد ذكرها قبل أن يقولها جمال ولكننى لم أعر ذلك إهتماماً لعلمى أنه أى حكيم يخلط فى تعريف مثل هذه الأمور . ولكن عندما ذكرها جمال سألته « هل هذا يسرى على جميع الوحدات الإنتاجية مهما صغر حجمها » . فأكد هذا وقال « طالما أن هذه الوحدة بها عمال ومهما قل عددهم ، ولأنه فى هذه الحالة سيصبح هناك إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان » . ولقد ضرب مثلاً بخاله الذى توفى وكان يكسب على حد قوله ستمائة جنيه فى الشهر الواحد من تشغيل ثلاثة لوريات . وقال « وهو طبعاً كان قاعد فى المكتب ومستأجر سواقين ويكسب من عرقهم » .

وسأله كمال « هل الميكانيكى الذى يملك ورشة صغيرة ويعمل عنده إثنين من الصبيان ينطبق عليه نفس الحالة » .

فأجابه جمال « فى تصورى أيوه - أو يشاركوه فى الأرباح بنسب متساوية » . وجاء رد كمال عليه مفاجأة له ولنا جميعاً على السواء وذلك بقوله « يبق فى المشمش » .

ويظهر أن المفاجأة فى قول كمال عقدت لسان جمال - فنظر إليه باندهاش ولكنه لم يرد عليه .

وأراد عبد الحكيم أن يخفف من وقع ما قاله كمال فذكر أنه يقصــد أن هذا سيحتاج إلى وقت طويل لتحقيقه .

القلق :

ثم عاد كمال وقال أن كل فرد أصبح غير مطمئن وقلق على مورد رزقه ويخشى أن يقطع عنه .

ورد عليه جمال بقوله أنه لا يرفت أحـداً وهناك لجنة خـاصة للنظر فى تظلمات من يصدر ضدهم قرار بالفصل من وظائفهم .

ولكن كمال استطرد وقال أن جمال أصـبح يشـتم الآن فى الأتوبيس والترام . ولما اسـتغرب جمال ذلك واسـتنكره قال له كمال « تبقى الأجهـزة اللى أنت معتمد عليها بتغشك » .

البرامكة :

كما أشـار كمال فى حـديثه الى ان مجموعة الأفراد المحيطة بجمال أصــبح يطلق عليها إسم البرامكة بين الناس .

ولما قيل له أن هناك أناس يتصــيدون الآن فى الماء العكر ويذكرون له هذا قال « إننى كنت أسمع هذا عن البرامكة عندما كنت أزاول عملى ، وكنت أقول للذين يعملون معى ويذكرون ذلك لى ـ بلاش كلام فارغ ـ كل واحد يهـتم بعمله بس » .

ولما سألنا جمال عما اذا كان أحـد منا قد سمع عن البرامكة أيضـاً ، أجبته من أنني سمعت ذلك من عز الدين شرف شقيق سامى سكرتير جمال . وكان ذلك بعد أن أصدرت قراراً بنقله من مكتبى إلى معهـد التخـطيط . وكان قد حضر إلى منزلى بعد صدور هذا القرار وطلب منى وهو يبكى أن أحتفظ به فى مكتبى بحجة أن الكثيرين من معارفة قد شمتوا فيه . ولما سـألته عن سـبب هذه الشماتة منهم قال « لأنهم يقولون عنا أننا البرامكة لوجود سـامى فى مكتب الرئيس ووجـودى فى مكتبكم وشقيق الآخر فى الخارجية » . ولقد أصررت بعد الذى سمعته منه على ضرورة تنفيذ قرار النقل .

محور بين كمال وبينى !!:

ولم يعلق جمال على ما ذكرته وهو كان يعتقد أن هناك محوراً بين كمال وبينى - وهذا غير صحيح . ولكن هذا الاعتقاد ظل يلازمه حتى توفاه الله رغم نفى ذلك له عدة مرات آخرها عام ١٩٧٠ عندما عادت العلاقة بيننا فى ذلك العام بعد قطيعة دامت ست سنوات .

وكان كمال قد ذكر أيضاً أن الناس فقدت ثقتها خاصة بعد أعتدائها على الميثاق الوطنى بإصدارها قرارات التأميم لبعض الشركات فى صيف عام ١٩٦٣ .

ورد جمال على ذلك بقوله « أنت لم تكن حاضراً الاجتماع ، ولم تكن تعلم أن فى هذا مخالفة للميثاق إلا من بغدادى عندما أبلغك اعتراضه على القرار » .

اعتداء على الميثاق :

والذى حدث بالنسبة لهذه التأميات هو أن جمال كان قد دعى مجموعتنا إلى الاجتماع به فى منزله فى مارس ١٩٦٣ . وعرض علينا إصدار قرار بتأميم بعض الشركات . وكنت قد اعترضت على إصدار مثل هذا القرار لمخالفته الميثاق الوطنى . ولأن الميثاق ينص على أن لا تتخذ مثل هذه القرارات إلا بعد عرضها على المجالس الشعبية وأخذ موافقتها عليها . وكانت الأغلبية من الزملاء قد وافقت على القرار الذى عرضه جمال . ولقد حاولت بعد ذلك إقناعه بتأجيل تنفيذ هذا القرار إلى أن يقوم مجلس الأمة فى يوليو ١٩٦٣ ، ثم يعرض الأمر عليه خاصة وأن المدة الباقية على قيامه لم تكن تتعدى شهور قلائل . وكان قد ظل متمسكاً بأن لا تعارض هناك فى القرار مع الميثاق . ولكنه اتفق معى بعد ذلك أمام حسن إبراهيم بعد أن ألححت عليه ورجوته فى عدم اتخاذ هذه الخطوة خشية أن يدفع ذلك الناس إلى عدم الاطمئنان وتهتز أيضاً ثقتها فى الميثاق والذى نردد أنه دستور المستقبل . وذكرت له أيضاً أنه لا يصح له وهو المتبنى للميثاق أن يكون أول من يعتدى عليه .وكان قد اقتنع بما ذكرته ولم يصدر القرار . ولكننى علمت بعد أن عدت من العلاج بالخارج فى أكتوبر ١٩٦٣ أنه كان قد دعى مجلس الرئاسة إلى الانعقاد فى الاسكندرية فى شهر أغسطس ١٩٦٣ وأخذ

موافقته على إصدار قرارات التأميم التى يشير إليها كمال . وكنت قد أبلغت كمال وهو معتكفاً فى إحدى زياراتى له فى شهر أبريل ١٩٦٣ عن ذلك القرار الذى اتخذ مخالفاً للميثاق ، وعن الحديث الذى جرى بعد ذلك بين جمال وبينى وموافقته على تأجيل إصدار هذا القرار حتى انعقاد مجلس الأمة .

فاتت علينا ! ! :

وأثار كمال بعد ذلك فى حديثه ماجرى فى القيادة السياسية واعتراضها على بعض مرشحى مجلس الأمة وأن هذا الذى جرى كان يتعارض مع مبدأ الحرية كل الحرية للشعب الوارد أيضاً فى الميثاق » .

وقد أجابه جمال بقوله « أن هذه النقطة كانت قد فاتت علينا ولكننا عدنا وأصلحنا هذا الخطأ »

وتوقف كمال عن الحديث عند هذا الحد ـ وحدثت فترة سكون طويلة . ولكن قطعها عبد الحكيم بسؤاله « هل فيه حد تانى زعلان » فتكلمت وقلت أننى سأتكلم عندما يأتى ذكر إعادة التنظيم السياسى للمرحلة القادمة » . وجاء رد جمال على هذا القول منى بأن ليس لديه أى مشروع خاص بالتنظيم لتلك المرحلة .

فقلت ـ لنتكلم عن التنظيم الحالى ـ وذكرت أن القيادة الجماعية الممثلة فى مجلس الرئاسة قد فشلت ولم تحقق الغرض من وجودها ، وأنها أصبحت لا تجتمع ولا يعرض عليها أى شيء من الأمور الأساسية ، ولا تصلها كذلك أية معلومات عن التطورات التى تحدث بالبلاد أو ما يجرى فيها ، ولا نعلم شيئاً عن الشئون الخارجية ولا عن المشاكل الداخلية ولا عن العمليات التى تجرى فى اليمن ـ وقد أصبحت بذلك معزولة تماماً ولا تمارس مسئولياتها . وكيف يمكن لأعلى مستوى فى القيادة السياسية أن يقود وهذه صورته .

فقال جمال إن السبب هو tention الشد الذى كان قد حدث بالمجلس .

فقلت ـ إن القيادة الجماعية لابد أن يحدث فيها تعارض فى الآراء ، ولابد أن نعوِّد أنفسنا على هذا . ولا يمنع ذلك من استمرارها .

فقال جمال ـ إننا كنا نجتمع كثيراً فى الفترة الأخيرة .

فقلت : إن هذه الاجتماعات كانت بغـرض النظر فى إعادة تنظيم الاتحـاد الاشتراكى ولكن مجلس الرئاسـة شيء آخـر وهو لم يجتمع منذ أغسـطس ١٩٦٣ عندما أخذت قرارات التأميم .

ثم ذكرت أننى قد أصبحت معـزولاً عن مجـريات الحـوادث وأصـبحت بذلك مسئولاً وغير مسئول فى نفس الوقت . وقد صبرت طوال الفـترة الماضـية حـتى أعتزل الحياة العامة . عند إعادة التنظيم .

فقـال جمال ـ إن المعلومات التى تصـلنى محـدودة وهى لا تفى بالغـرض الذى ذكرته .

فقلت ـ كان من الضرورى معالجته .

فقال ـ لماذا لم تخبرنى .

فقلت ـ سـبق أن أثرت هذا فى اجتماع مجلس الرئاسـة وعددنا الأسـباب التى أعاقت المجلس عن تأدية دوره . وكانت من ضـمنها عدم وصـول أية معلومات إليه . وكذلك عدم صدور القرارات الخـاصة بتشكيل السكرتارية الفنية اللازمة له والتى لم تصدر حتى الآن رغم تكرار طلب إصدارها .

فقال ـ إننى وقعت على هذه القرارات .

فقلت ـ كيف هذا ولم تبلغ إلينا رغم مرور أكثر من عام على التقـدم بهـا . والمجلس قد تجمد لعدم وجود جهـاز فنى يعـاونه فى مسئولياته . وأنه لا يعقـل أن تصدر هذه القرارات ولا يقوم عبد المجيد فريد (سكرتير المجلس) بإبلاغهـا إلينا وهو يعلم أننى قد أثرت هذا الموضوع أكثر من مرة فى المجلس .

فقال ـ يعنى أنا بخطط لعزلك عن الصورة .

فقلت ـ هذه هى النتيجة . وأنت مسئول عن نجاح القيادة الجماعية وهى هدف لأن مستقبل هذا البلد متوقف على نجـاح هذا التنظيم على المسـتويات المختلفـة ، ونجاحه فى أعلى مستوى يؤثر على المستويات الأخرى . وإلا فالبلد ستحكم حكماً ديكتاتورياً فى المستقبل . وأخشى أن يتسلط عليهـا فرد ويسـومها العـذاب إن لم نعمل على تلافى ذلك من الآن .

ولم يرد جمال على ما ذكرت لأنه كان يهدف إلى الصـورة التى وصـلنا إليهـا . ذلك لأنه كان قد أصبح لا يحتمل معارضة أو الاختلاف معه فى وجهات النظر .

ولكن عبد الحكيم هو الذى انبرى بالرد فقال إن الصورة لن تتضح إلا بعد وجود مجلس الأمة ، لأنه سيكون هناك مكتب سياسى ومجالس شعبية ومجلس الأمة ، وستصبح القيادة العليا بذلك فى الصورة بالنسبة لما يجرى فى البلاد والمشاكل أيضاً .

فقلت : ربما يكون ذلك صحيحا إلى حد ما إذا كانت هذه الأجهزة لها فعاليتها وأعطيت الفرصة . ولكن إذا تكرر نفس الشىء كما حدث مع مجلس الرئاسة فسنكون قد أسأنا إلى هذا البلد .

وسأل جمال بعصبية ـ فيه إيه تانى .

وقد جاء أيضاً بيومياتى الآتى : ولم أشأ أن أزيد عما ذكرته وذكره كمال ونويت أن أحتفظ بباقى النقاط فى نفسى إلى أن تتضح لى صورة التنظيم الجديد لاعتقادى أن نفس الصورة ستتكرر ولكن بشىء آخر . فسيصبح هناك مكتباً سياسياً بدلاً من مجلس الرئاسة ولجنة مركزية للاتحاد الاشتراكى . وأن يتشكل المكتب السياسى من مجموعتنا وستستمر سيطرة جمال طالما أن الاختصاصات والمسئوليات غير محددة ولا واضحة ، وكثير من الزملاء قد استسلموا من مدة لمثل هذه الأوضاع . وهو قد وجد فى ذلك تدعيماً لقوته أمام الرأى العام وبين أفراد المجموعة كذلك .

وإنى أرى أنه لن تكون هناك قيادة جماعية قوية بالمعنى المفهوم والمطلوب للمستقبل . وبدلاً من أن تقوم الدولة على مجموعة من المؤسسات السياسية لا على الأفراد فإن الدولة ستظل تدار بشكل إرتجالى وغير مضمون العواقب فى المستقبل .

وكان قد حدث بعد سؤال جمال الأخير فترة صمت ثم عاد وتكلم هو بعدها وقال : « ان المشكلة جذرية فكمال أثار نقطة جديدة ولأول مرة وهى مسألة الدين ، والبغدادى يتهمنى بأننى أعمل على عزله عن الصورة العامة وأن القيادة الجماعية فشلت بسببى . وأنا موافق على أن أمشى وتعملوا أنتم قيادة جماعية ناجحة » .

وحدث اعتراض من بعضهم على ماذكره جمال . ولكنه أخذ يردد أنه على استعداد لأن يستقيل . وقيل له إن هذا حل غير عملى . واقترح البعض أن يؤجل الاجتماع على أن يجتمع جمال على انفراد بكل من كمال وأنا . وفضل جمال أن نجتمع كلنا سوياً . واقترح أن يؤجل الإجتماع إلى موعد آخر بعد أن ظللنا مجتمعين ما يقرب من الثمانية ساعات وحتى يمكن لنا أن نذهب لتقديم واجب العزاء فى وفاة المرحوم محمد فهمى السيد فى الصيوان المقام لذلك .

وأثناء توجهنا من منزل جمال إلى سياراتنا للذهاب إلى العزاء دفعنى عبد الحكيم للركوب مع جمال فى سيارته ثم دفع كمال كذلك . ولكننا لم نتبادل الحديث أثناء الطريق إلا بعض الكلمات البسيطة . وحضرنا العزاء وعند انصرافنا منه طلب جمال من عبد الحكيم وأنور مرافقته فى سيارته رغم أن منزلهما فى غرب القاهرة ومنزله فى شرقها . ومن المفروض أن يتوجه كل منا بعد هذا الجهد إلى منزله ليسترح . ولكننى استنتجت من ذلك أنه يود أن يأخذ راحته فى التعليق والتحليل معهما على ما دار أثناء الاجتماع . وكان كمال قد طلب منى أن أوصله إلى منزله بسيارتى . وقد صرح لى أنه نوى على عدم الاشتراك فى الحكم بعد ما ظهر له هذا الاتجاه الجديد الخاص بملكية الشعب لأدوات الإنتاج . وقلت أن هذا كان مفاجأة لى أنا الآخر أيضاً . ولكننى لم أشأ أن أصرح له فى هذه اللحظة أو فى أى وقت سابق عن إتجاهى إلى الاستقالة خشية أن يشجعه موقفى هذا على التمسك باستقالته . وكنت دائم القول له أننى فى انتظار التنظيم الجديد وسأقرر موقفى من الاستمرار أو الاعتزال بعد أن تتضح لى صورته . وهو كان يحاول دائماً إقناعى بضرورة الاستمرار دون الإستقالة . ولقد ودعته وأنا بالسيارة ولم أشأ الدخول معه إلى منزله خشية أن يظن خطأ أننا نتفق سوياً على موقف موحد .

ومرت الأيام بعد اجتماع ٤ مارس دون أن ندعى إلى الاجتماع مرة ثانية كما اتفق . ولم أحاول الإتصال بكمال بعد ذلك الاجتماع حتى لا يفهم خطأ أننا نحاول التكتل للضغط على جمال .

وكان مجلس الأمة الجديد سينعقد يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤ . وكان لابد لى أن أتحرك وأحدد موقفى النهائى فى عدم الاستمرار والمشاركة فى المسئولية قبل هذا

التاريخ . ولما جاء يوم الاثنين ١٦ مارس قمت بإرسال خطاب إستقالتى إلى جمال وهذا نصه .

السيد رئيس الجمهورية

بعد التحية .

إن موعد انعقاد مجلس الأمة الجديد قد قرب ومعنى ذلك بداية مرحلة جديدة من مراحل ثورتنا مما يتطلب بطبيعة الحال إعادة تنظيم الأجهزة السياسية وعلى الأخص القيادات العليا منها على ضوء تجارب الماضى . ولما كنت غير راغب فى الاستمرار فى الحياة السياسية لأسباب سبق ذكرها فى اجتماعنا الأخير بمنزلكم يوم ٤ مارس ١٩٦٤ وهى تتعلق بالمرحلة الحالية من التنظيم . وكما تعلمون أن مبدأ القيادة الجماعية مبنى أساساً على المسئولية التضامنية والمشاركة فى إصدار القرارات وهو أمر حتمى لنجاح مثل هذه القيادة فى مباشرة مسئولياتها . ولكنه قد ترتب على عدم وضع هذا المبدأ الأساسى موضع التنفيذ عدم قدرة هذا المجلس على القيادة والقيام بواجباته الجماعية وهى فى نظرى أساسية وضرورية لضمان الأمن والاستقرار السياسى فى بلادنا فى المستقبل .

ومما لا شك فيه أن هذه النتائج لها انعكاسات على أعضاء فى مثل هذه القيادة . وقد تأثرت أنا شخصيا فى خلال الفترة الماضية من هذه النتيجة فى تحمل تلك المسئولية الضخمة لذا قررت من فترة الانسحاب من الحياة العامة وعدم المشاركة فى المسئولية فى المرحلة القادمة من التنظيم التى تبدأ حسب تقديرى من أول يوم لانعقاد مجلس الأمة الجديد - يوم ٢٦ مارس ١٩٦٤ . متمنيا لك وللزملاء دوام التوفيق .

عبد اللطيف البغدادى

١٦ مارس ١٩٦٤

وبعد مضى ثلاثة أيام على إرسالى هذا الخطاب - أى فى يوم الخميس ١٩ مارس صدرت جريدة الأهرام وقد جاء فى صفحاتها الأولى وبعرض الصفحة كلها « تطورات سياسية بالغة الأهمية » . « عبد الناصر يصدر خلال أيام إعلانا دستوريا بقواعد العمل السياسى والدستورى فى الجمهورية العربية المتحدة . »

« العمل بهذا الإعلان الدستورى يستمر حتى يتم مجلس الأمة المنتخب عملية وضع الدستور الجديد والدائم ».

« إلغاء أية آثار مازالت باقية للأحكام العرفية ولقانون الطوارىء ».

« الإفراج عن أى معتقل لا يكون هناك حكم قضائى يدينه فى أية تهمة من التهم ».

وعلق المحرر السياسى للأهرام وهو بطبيعة الحال الأستاذ هيكل على هذا. أما باقى الصحف فلم يرد فيها شىء مما ذكر فى جريدة الأهرام.

وكتبت فى يومياتى تعليقا على هذا الذى نشر: ما الذى جعل جمال عبد الناصر يعلن هذا الذى نشر فجأة مع أنه كان قد ذكر فى يوم اجتماع ٤ مارس أنه لم يفكر بعد فى التنظيم الواجب قيامه فى المرحلة القادمة. وهو ينشر اليوم هذه التطورات بعد يومين من تقديم استقالتى إليه - فهل يا ترى هو يقصد من ذلك إحراجى بعد تقديم استقالتى أمام الرأى العام من أننى غير موافق على تلك الإجراءات خاصة فيما يتعلق بالحريات وإلغاء قانون الطوارىء والأحكام العرفية. أوهل هو يقصد بهذا النشر السريع أن تصبح استقالتى وكأنها لاحقة لتلك القرارات لا سابقة لها. خاصة وأن الرأى العام لا يعلم شيئاً عن تلك الاستقالة. ربما يكون هذا هو ما يقصده ولو أن بعد الظن إثم رغم أننى لا أستبعد هذا من جمال. ولكن الصبر والوقت كفيلان بإظهار الحقيقة.

وفى اليوم التالى الجمعة ٢٠ مارس نشر أيضاً فى جريدة الأهرام ما يلى:

« تصفية الحراسات والتعويض عنها وعن التأميم ».

« التعويض يصرف على شكل سندات بفائدة ٤٪ قابلة للتداول فى البورصة بحد أقصى يحدده القانون ».

« تصفية الحراسات معناها تصفية أية آثار ترتبت عليها والهدف هو تصفية امتيازات الطبقة وليست تصفية أفرادها ».

« الأثاث والمجوهرات والتحف لا تمس بأى شكل من الأشكال وتبقى لأصحابها الذين كانوا تحت الحراسة ».

« لن تصرف أية تعويضات للذين تركوا البلاد ويعيشون الآن خارجها » .

« مرحلة جديدة تبدأ مبرأة من كل العقد والرواسب التى نشأت عن الاستغلال الطبق » .

« المرحلة التى تمت حققت بالتأميم سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج وقطعت خطوة ضخمة نحو إزالة المتناقضات الطبقية » .

« الأهرام ينشر وثيقة هامة : كشف بالذين تزيد ذمتهم المالية عن ٥٠ ألف جنيه من الذين خضعوا لأحكام الحراسة » .

وعلقت على ذلك أيضا فى يومياتى وقد جاء به أن هذا الموضوع سبق الاتفاق عليه من جهة المبدأ من مدة طويلة وهو العمل على تصفية الحراسات قبل انعقاد مجلس الأمة . أما الطريقة والوسيلة التى ستتم بها هذه التصفية فلم تكن قد نوقشت بعد حتى إعلان هذا الذى نشر اليوم فى جريدة الأهرام . وربما يكون الأمر قد عرض على الزملاء بعد تقديم استقالتى - وهذا ما أشك فيه .

ونشرت جريدة الأهرام أيضاً فى يوم السبت ٢١ مارس وبعرض صفحتها الأولى كذلك :

« وزارة جديدة تعمل مع مجلس الأمة الجديد » .

« على صبرى يرأس الوزارة الجديدة - والمنتظر أن يتم التشكيل خلال ثلاثة أيام » .

« اعضاء الوزارة الجديدة يقسمون اليمين أمام رئيس الجمهورية ويحضرون اجتماعاً رسمياً معه قبل بدء عمل مجلس الأمة الخميس القادم » .

« الاستعداد لاصدار قانون المجالس الشعبية المنتخبة التى أشار إليها الميثاق » .

« مراجعة دقيقة لجميع التعيينات التى تمت فى مجالس إدارات شركات القطاع العام إستعداد لمرحلة الإنطلاق الجديدة » .

« الإعلان الدستورى الذى ينتظر إذاعته بين لحظة وأخرى يتكون من ١٦٥ مادة أصلية ومادتين انتقاليتين » .

« موعد انتهاء مدة رئاسة الجمهورية الحالى - ينص عليه فى الإعلان الدستورى المنتظر » .

« إنتهاء العمل بالدستور المؤقت الصادر فى سنة ١٩٥٨ وانتهاء العمل بإعلان التنظيم السياسى لسلطات الدولة العليا الصادر فى ١٩٦٢ فور صدور الإعلان الدستورى الجديد » .

أين مجلس الرئاسة ! ! :

وكتبت الآتى فى يومياتى تعليقاً على هذا الذى نشر :

أن ما جاء فى جريدة الأهرام يؤكد المعنى الوارد فى خطابى لجمال وقرارى باعتزال الحياة العامةحيث أن مبدأ القيادة الجماعية لم يوضع موضع التنفيذ . وما نشر اليوم وما سبق نشره فى الأيام السابقة يؤكد لى أن هذه القرارات والإجراءات التى صدرت وأعلن عنها لم تعرض على مجلس الرئاسة كما ينص أمر قرار تشكيله . وأن كل ما نشر كان معداً من قبل ومن مدة . وما يدهشنى هو أن جمال كان قد صرح أمام جميع الزملاء يوم ٤ مارس أثناء الاجتماع أنه لم يفكر بعد فى تنظيمات المرحلة المقبلة عندما سألته عن ذلك .

وما نشر مسائل لها خطورتها وهى تمس السياسة العامة للبلاد وتحدد خط سيرها فى المستقبل . وهى لم تعرض على أعلى مستوى فى القيادة السياسية . وحتى لو قيل أنها عرضت بعد تقديم استقالتى فهل يكفى يومين أو ثلاثة لعرض مثل هذه المسائل الهامة ومناقشتها . وإن كانت قد عرضت فيكون الغرض تغطية الشكل فقط وليس القصد من عرضها هو بحثها ومناقشتها بجدية .

وأخلص من هذا أننى كنت على حق عندما قررت اعتزال الحياة العامة . ولقد زاد اقتناعى الآن بما أقدمت عليه فى عدم قبول الاستمرار فى تحمل مسئولية المشاركة فى نظام هذا هو أسلوبه . انها لمسئولية تاريخية خطيرة أن نفرط فى واجبنا وأن نتخذ موقفاً سلبياً إزاء ما يجرى من تصرفات خاصة والمسئولية فيها تضامنية .

استهانة بالرأى العام :

كما أن إصرار جمال على تعيين على صبرى رئيساً لمجلس الوزراء رغم فشله الواضح كرئيس للمجلس التنفيذى قبل ذلك التعيين مباشرة . ورغم موقف

شقيق زوجته جمال فؤاد أيضاً فى قضية الإستيراد والتصدير المعروضة حالياً على القضاء، واتهامه فيها بالرشوة، وما يدور حولها كذلك من لغط كثير بين أفراد الشعب ليدل على أن جمال قد أصبح يستهين بالرأى العام، بل ويتحدى مشاعر الشعب كذلك أو أن الغرور قد تملكه.

هذا ما جاء فى يومياتى تعليقاً على ما كان ينشر.

وكان كمال الدين حسين قد اتصل بى تليفونياً فى الصباح المبكر من يوم الأحد ٢٢ مارس وطلب أن نلتق. ولما حضر إلى منزلى اعتذرت له عن عدم اتصالى به منذ اجتماعنا يوم ٤ مارس، وصرحت له بأن السبب فى ذلك هو أننى كنت قد عزمت على تقديم استقالتى بعد ذلك الإجتماع. وأننى لم أشا أن أفصح له عن نيتى فى الإستقالة حتى لا أشجعه على التمسك بموقفه، ولخشيتى أيضاً أن يعتقد جمال خطأ أننا نتخذ موقفاً موحداً، وقلت له أننى إنتظرت من يوم ٤ مارس على أمل أن نجتمع ثانية مع جمال كما كان قد إتفق بيننا ولكن لما لم نجتمع رأيت أن أرسل إليه إستقالتى قبل أن ينعقد مجلس الأمة. وقد أرسلتها إليه يوم ١٦ مارس. ولم يكن كمال قد سمع بها من قبل ولذا فوجىء بالأمر وطلب الاطلاع عليها لمعرفة ما جاء بها. وبعد أن أطلع على مسودتها ذكر لى أن عبد الحكيم كان قد اتصل به يوم الثلاثاء ١٧ مارس وحضر إلى منزله واجتمع به لمدة ساعتين حاول فيها العمل على إقناعه بالاستمرار والمشاركة فى المسئولية. وأبلغه أيضاً أن جمال يرغب فى مقابلته فى مساء اليوم التالى - الأربعاء ١٨ مارس. وأنه أى جمال متفق مع كمال فيما أثاره من نقاط يوم الإجتماع ٤ مارس.

ويقول كمال أنه أقنع عبد الحكيم بأن النقاط التى كان قد أثارها فى منزل جمال أنها واردة فى الميثاق وتقريره، وقد أطلعه عليها. وأنه أى عبد الحكيم أبدى له إقتناعه بها. وتناقش مع كمال عن الدور الذى سيكون مسئولاً عنه فى المرحلة المقبلة من الحكم. وأنه سيكون عضواً فى اللجنة التنفيذية العليا للإتحاد الاشتراكى كما سيكون مسئولاً أيضاً عن أجهزة الرقابة فى الدولة. ولكن بعد أن انصرف عبد الحكيم من عنده اتصل به كمال تليفونياً وأبلغه أن صورة المشاركة التى ذكرها له غير واضحة وطلب منه عدم إبلاغ جمال بموافقته عليها. ولكن

اتضـح أن عبد الحكيم كان قد أبلغ جمال بالحـديث الذى جـرى بينهما وبموافقـة كمال أيضاً على المشاركة .

وقال كمال أنه عندما تقــابل مع جمال فى اليوم التالى ١٨ مارس ـ وأعاد إلى سمعـه ما كان قد ذكره يوم ٤ مارس فقـد اسـتمع إليه جمال بل ووافقـه على كل النقاط التى كان قد سبق وأثارها .

لا يعلم شيئاً :

ويستطرد كمال ويقول إنه لا يعلم شـيئًا عما أعلن على صـفحات الجـرائد من تنظيمات سياسية . كما وأنه لا يوافق عليها . وأن هذا الذى نشر ليس هو ما اتفـق عليه مع جمال وأنه قد حاول الاتصـال بى فى اليوم السـابق لهـذا اللقــاء بيننا ليستفسر منى عن حقيقـة هذا الذى نشر ـ وهل نوقش من الزملاء أم لا . ولما لم يجدنى فقد حاول الإتصال بعبد الحكيم ولكنه علم أنه قد سـافر إلى برج العـرب من يوم الخميس ١٩ مارس ولم يحضر بعــد . وذكر كمال أن وجــود عبد الحكيم هناك فى برج العــرب فى نفس الوقت الذى تعلن فيه هذه القــرارات أمر غير طبيعـى ، وأنه ربما يكون قد وقع خـلاف بينه وبين جمال . واسـتفسر منى عما إذا كان لدى علم بشىء عن هذا . فأجبته بأن لا علم لى بشىء . ولكننى ذكَّرته بما كان قد صرح به جمال يوم الإجتماع عن التنظيم السـياسى فى المرحلة المقبلة وأن ليس فى ذهنه شيئاً عما سيكون عليه .

هل نحن عيال ؟ :

وقال كمال أنه يحاول منذ اليوم السـابق الاتصـال بعبد الحكيم ليخـبره بعـدم موافقته على المشاركة بعد أن اتضحت له الصورة على حقيقتها بعد النشر الذى جرى على صفحات الجـرائد . وكان متأثراً لاعتقـاده أنه خـدع من عبد الحكيم وجمال . وقال « هل هم يعتقـدون أننا عيال ويلفـون على بهــذا الشكل » . وقام متجها إلى تليفـون منزلى ليحـاول الإتصـال منه بعبد الحكيم فى برج العــرب . ولكننى طلبت منه أن يقوم بهذا الاتصال من تليفونه الخاص حتى لا يفهـم خـطأ أننى الذى دفعته إلى هذا التراجـع منه وشـجعته عليه . والله يعلم أننى برىء من هذا .

وانصرف كمال من منزلى على أنه سيحاول الاتصال بعبد الحكيم ليخبره بتصميمه على الانسحاب بعد أن اتضحت له الحقيقة وحتى يقوم بإبلاغ ذلك إلى جمال .

ولم يستغرق وجود كمال فى منزلى أكثر من نصف ساعة .

وبعد خروجه اتصل بى حسن إبراهيم تليفونياً من منزله وطلب زيارتى . وهو كان فى الإسكندرية منذ يوم الأحد ١٥ مارس ولم يعد إلا اليوم صباحاً وذكر أنه سيمر علىّ بعد ساعة .

سحب البساط :

وبعد أن حضر دار حديثنا حول نشاطه فى الاتحاد الاشتراكى فى الإسكندرية . وإنه يعتقد أن التنظيم بصورته القائمة لا يرجى منه ولا أمل فيه . وإنه يعلم أن هناك تيارات مختلفة فى الإسكندرية تعمل ضده وعلى إضعاف مجهوده . وهو يخشى أن يسحب البساط من تحت قدميه ـ على حد قوله ـ بعد أن يكون قد بذل جهداً هناك . وكان يقصد أن أشقاء جمال وخاصة الليثى هم الذين يعملون على إضعاف مجهوده هناك .

ثم أخبرنى بعد ذلك إنه علم باستقالتى من زكريا محيى الدين عندما اتصل به حسن تليفونياً من الإسكندرية . وأن زكريا قال له « إزاى انت قاعد عندك والدنيا ملخبطة هنا فى القاهرة » . ولما استفهم منه حسن عما يقصده أخبره بموضوع الخطاب الذى أرسلته إلى جمال وذكر له مضمونه . وقال له أيضاً « لماذا يكتب بغدادى الاستقالة بالشكل ده ـ هل هو يعنى سينشرها ـ وفين وازاى » .

ولقد سألنى حسن عن الموضوع وتطوراته ـ فشرحته له بدءاً من يوم اجتماعنا فى منزل جمال فى ٤ مارس حتى يوم إرسال الخطاب إليه . وما دار فى هذا الاجتماع . وأخبرنى أنه كان قد عاد من الإسكندرية بعد هذا الاجتماع ببضعة أيام وتقابل مع جمال وعلم منه باختصار ما دار من نقاش فى ذلك اليوم . وأنه اتصل بجمال قبل حضوره إلىّ مباشرة وأن جمال قرأ عليه خطابى الذى أرسلته إليه . وبعد أن انتهى من قراءته له علق عليه بقوله « هو احنا سنتعامل مع بعض بالجوابات ولا إيه » .

أعصاب فى ثلاجة :

ويقول حسن أنه أبلغه بما كنت قد سبق وذكرته له من أننى ضاغط على أعصابى وقد وضعتها فى ثلاجة ، وأننى سأبذل كل جهدى فى الاستمرار حتى بداية المرحلة الجديدة من التنظيم محاولاً تجنب إيجاد أية مشاكل وحتى لا يقال أننى وضعتهم فى corner مأزق .

وسألت حسن عن صورة نظام الحكم فى المرحلة الجديدة ـ وهل هناك أمل فى أن يَعْدُل جمال عن طريقته وأسلوبه فى الحكم .

فأجاب ـ « أننى متفق معك على أن الصورة ستستمر على ما هى عليه ، والتنظيم الذى ذكره جمال لى فى التليفون يعطى نفسى نتائج التنظيم السابق . والتنظيم المقترح يتلخص فى وجود مجلس أمة ـ ومجلس وزراء ، والمسئولية فيه تضامنية ـ ونائب أول لرئيس الجمهورية مع نواب آخرين له ـ ونواب لرئيس الوزراء كذلك » .

ويقول حسن أنه اعترض على وجود نواب لرئيس الجمهورية واقترح على جمال أن يكتفى بنائب واحد يقوم بمتابعة الصورة العامة والمسائل المختلفة مع رئيس الجمهورية ، وعلى أن يقوم باقى الزملاء بالعمل فى الاتحاد الاشتراكى أو كمستشارين للرئيس . ولكن جمال اعترض على اقتراحه بحجة أن الناس فى بلدنا لا تحترم إلا أصحاب المناصب . وأنه أبلغ حسن عن نيته فى تعيين عبد الحكيم نائباً أول له .

لا أمل يرجى :

فقلت لحسن إذا كان ما ذكرت هو التنظيم الجديد المقترح فلا أمل هناك يرجى فى التغيير ، والذى يدل على ذلك هو أنه رغم الاعتراض على الأسلوب الجارى والمطالبة بالإنسحاب وعدم المشاركة فى المسئولية فإنه أى جمال قد أعلن ما أصدره من قرارات فى الصحف دون أن يعرضها على مجلس الرئاسة .

وتساءلت ـ هل هو اجتمع بكم لمناقشة هذه المسائل قبل إعلانها . ولكن حسن أجابنى بالنفى ، ومن أنهم لم يعلموا بها إلا بعد نشرها فى جريدة الأهرام .

فقلت - فى الماضى وعندما لم يكن هناك قيادة جماعية - والمسئولية كانت فردية وليست تضامنية كما هى فى القيادة الجماعية فمثل هذه الأمور لأهميتها كانت تعرض علينا لمناقشتها وأخذ الرأى فيها . ولكن اليوم ورغم وجود قيادة جماعية فإن التصرف يتم وكأن تلك القيادة غير موجودة . وإن هذا الذى حدث يزيد من اقتناعى فيما أقدمت عليه .

وسألنى حسن عما يذكره لجمال لأنه على حد قوله فى انتظار رد منى على العودة والمشاركة فى المسئولية . وكان حسن قد حاول أن يقنعنى بذلك ولكن منطقه كان ضعيفاً لأنه هو نفسه لم يكن مقتنعاً بما يحاول أن يقنعنى به .

وأجبته أن يبلغ جمال تمسكى بقرارى فى الانسحاب من الحياة العامة . وأن هذا لا يمنع من عودتى إلى المشاركة ثانية إذا تبين لى مستقبلاً أن الظروف مهيأة أكثر لهذه المشاركة وأن صالح بلدى يتطلب منى هذا .

سيارة كمال :

وأخبرنى حسن أن جمال يعتقد أن هناك محوراً بين كمال وبينى . وقد دلل له جمال على ذلك بأن على صبرى كان قد أبلغه أنه شاهد سيارة كمال واقفة أمام باب منزلى فى مصر الجديدة أثناء اعتكافه وعدم حضوره اجتماعاتنا - وكان هذا صحيحاً . وقد أكدت لحسن أننى لم أقطع زياراتى لكمال خلال فترة اعتكافه ذلك لاقتناعى أنه لا يصح أن يقف أى خلاف سياسى بيننا حائلاً دون استمرار صداقتنا .

وذكر لى حسن قبل أن ينصرف من منزلى أنه سيرفض منصب نائب الرئيس وأنه سيكتفى بأن يكون أميناً عاماً للجنة الاتحاد الاشتراكى فى الإسكندرية . وبمناقشته فى ذلك وجدت أنه على حق ، وأنه احتراماً لنفسه لا يصح أن يكون نائباً للرئيس ومسئولاً وهو فى نفس الوقت لا يمارس مسئولية هذا المنصب .

وكانت جريدة الأهرام قد طالعتنا أيضاً فى نفس اليوم ٢٢ مارس بالعناوين الآتية :

« المبادىء الهامة فى الإعلان الدستورى الجديد » .

« الإعلان الدستورى ينص على احترام أنواع ثلاثة من الملكية :

ملكية الشعب ـ الملكية التعاونية ـ الملكية الخاصة » .

« مجلس الأمة يملك سحب الثقة من الحكومة كلها أو من بعض أفرادها وعليهم أن يستقيلوا إذا حدث ذلك » .

« مجلس الأمة هو الذى يرشح رئيس الجمهورية ويعرض اسمه على الشعب للاستفتاء العام » .

« عبد الناصر أصدر أمس قانون دعوة مجلس الأمة الجديد إلى الاجتماع يوم الخميس القادم » .

« وافق مجلس الرئاسة أمس على قوانين تصفية الحراسات والتعويض عنها وعن التأميم » .

« على صبرى يشرع فى عملية تشكيل الوزارة الجديدة ، والتشكيل الوزارى يعلن يوم الثلاثاء » .

« عناصر جديدة تدخل الوزارة لأول مرة ويفكر فى أن يكون لرئيس الوزراء عدد من نواب رئيس الوزراء » .

وجاء الآتى فى يومياتى تعليقاً على ما دار من حديث بينى وبين كل من كمال وحسن :

ماذا يفهم من حديث كمال ومن حديث حسن .

محاولة استمالة كمال :

أننى أظن أنه عندما وصل خطاب استقالتى إلى جمال فقد اعتقد خطأ أننى قد أقدمت على هذه الخطوة بعد أن تأكد لى إصرار كمال على الاستقالة . وهو هذا عمل من جانبه على استمالة كمال إليه واقناعه فى العودة إلى المشاركة فى المسئولية . واعتقد جمال أن استجابة كمال إليه ستضعف من موقف وبالتالى تنهار خطتى واضطر بعد ذلك إلى العودة والمشاركة أو أن استقيل منفرداً دون كمال ، وأننى لأعتقد أن جمال كان قد استقر رأيه قبل وصول خطابى إليه على قبول

استقالة كمال . ولكن خطابى وما جاء به ربما هو الذى جعله يغير من تفكيره ويعيد النظر فى خطته . والذى يؤكد ذلك هو عدم اتصاله بكمال من يوم اجتماعنا فى منزله حتى يوم الثلاثاء ١٧ مارس عندما أرسل عبد الحكيم إليه ليقنعه بالمشاركة . وهو لم يتحرك فى الاتصال به إلا فى اليوم التالى لخطابى . ولقد تجنب كل من جمال وعبد الحكيم ذكر أى شىء عن استقالتى لكمال عند التقائهما به . وأننى لأعتقد أيضاً أن جمال قد تظاهر فقط بأنه متفق مع كمال فى كل النقاط التى كان قد أثارها يوم الاجتماع وذلك بهدف إرضائه حتى يحصل منه على موافقته فى الاستمرار معهم دون أن يستقيل .

ولقد بدأ جمال يعلن عن تلك القرارات التنظيمية وغيرها فى الصحف بعد أن اطمأن على موافقة كمال ، وفى اليوم التالى لهذه الموافقة مباشرة . ولكن كمال ثارت فى نفسه الشكوك عندما فوجىء بما ينشر فى جريدة الأهرام . وجاء إلى منزلى ليستفسر منى عن حقيقة هذا الذى نشر . وحتى اليوم ٢٢ مارس عندما جاء إلىّ لم يكن يعلم شيئاً عن استقالتى . وكانت مفاجأة له . وأعتقد أن الصورة قد اتضحت له فجأة وعرف أن جمال لم يكن جاداً عندما وافقه على وجهة نظره . ولقد أحس كمال أنه خدع ولذا قرر ثانية وهو فى منزلى أن يستقيل .

المنصب والمبدأ :

أما الحديث مع حسن فإننى استدل منه على أنه مقتنع بموقفى ، وأنه لا أمل يرجى فى المستقبل . وما ذكره عن نية جمال فى تعيين عبد الحكيم نائباً أول له فأعتقد أن غرض جمال من ذلك هو أن يشاع أننى لم استقل إلا بسبب الخلاف على من يتولى هذا المنصب . أى أن الخلاف على منصب وليس على مبدأ . وهو يعتقد أيضاً أن هذا سيضعف من موقفى فى الاستقالة . أو ربما يكون غرضه هو محاولة إبعاد عبد الحكيم عن الجيش وذلك لأن الأمر لا يستقيم فى أن يستمر يقود الجيش مع وجود رئيس وزراء ووزراء ومسئولياتهم تضامنية أمام مجلس الأمة وهو غير خاضع لهذه المسئولية . وأما تعيين عبد الحكيم نائباً أول رغم رأى جمال فيه وما قاله عنه أثناء الخلاف معه فليس هناك من مساءلة لجمال عنها إلا أمام التاريخ إن عرفت الحقيقة يوماً ما .

أما موقف جمال من إصدار تلك القرارات وإعلانها دون التشاور مع مجلس الرئاسة المسئول معه تضامنياً فلا يمكن لى أن أفسرها إلا أنه يحاول بوضوح ودون مواربة الإنفراد بالسلطة حتى تصبح أمراً واقعاً . ولا أعرف كيف سيكون موقف الزملاء أمام هذا التصرف منه . إنها مسئولية كل منهم أمام التاريخ .

الانتقام : حراسة وإعفاء :

ولم يكن قد مضى أكثر من أربعة وعشرين ساعة بعد زيارة كمال لى وبعد إنسحابه من المشاركة فى السلطة حتى اتخذ جمال إجراءاً تعسفياً مع شقيق . فلقد علمت فى الصباح المبكر من يوم الثلاثاء ٢٤ مارس أنه أصدر أمراً بوضع شقيق سعد تحت الحراسة . وقد تألمت فى نفسى أن يصل جمال إلى هذا الحد من محاولة الإساءة إلىّ . وقد اتخذ هذا الإجراء رغم الإعلان الدستورى الذى كان قد أعلنه قبل ذلك بيوم واحد فقط . ورغم قراره أيضاً الخاص بإلغاء قانون الحراسات والعمل على تصفية الموجود منها .

ولما أبلغت كمال بالإجراء الذى اتخذه جمال فوجىء واستغرب التصرف . وأبدى لى أسفه بعد أن ذكرت أن الذى دفع جمال إلى هذا الإجراء هوضيقه من إنسحاب كمال ثانية ورفضه المشاركة فى المسئولية .

وكنت قد اتصلت بصديق عبد الرءوف نافع وطلبت منه الحضور إلى منزلى حتى أسلمه يومياتى ليخفيها عنده ذلك لأننى خشيت أن يقوم جمال بالمزيد من الإجراءات التعسفية معى .

ولكن عندما حضر عبد الرءوف إلى منزلى علمت منه أن جمال قد أمر بإعفائه من منصبه كعضو منتدب لدار الهلال . وأنه قد علم بالخبر من الأستاذ على أمين الصحفى قبل أن اتصل به بنصف ساعة فقط . وأن الدكتور عبد القادر حاتم وزير الإعلام قد اتصل به أيضاً وأبلغه بالقرار .

ولقد علمنا فيما بعد أن سبب اتخاذ جمال هذا القرار هو أنه علم أن عبد الرءوف كان قد تحدث إلى الأستاذ على أمين عن تقديمى لاستقالتى وذكر له مضمونها الذى سبق أن أعلمته به . وعلم جمال بذلك الحديث الذى جرى بينهما من الأستاذ مصطفى أمين شقيق على .

وكان حسن إبراهيم قد حضر إلى منزلى أيضاً بعد أن اتصلت به . ولما علم بخبر إعفاء عبد الرؤوف من وظيفته وفرض الحراسة على شقيق قال « إن رأسى دارت بعد سماع الخبر ـ هل احنا وصلنا للحد ده من محاولة الإساءة إلى بعضنا » .

ودار الحديث بيننا حول الأسباب التى دفعت جمال إلى القيام بهذه التصرفات . وكان الرأى أنها عملية إنتقامية ، وكرد فعل منه للذى حدث خاصة بعد عودة كمال إلى الإنسحاب والاستقالة . وكذا خطابى الذى اعتبره جمال ـ على حد قول حسن ـ أننى قصدت به أن أسجل عليه تاريخياً أنه هو السبب فى فشل القيادة الجماعية .

وكنت قد علمت فى يوم الأربعاء ٢٥ مارس أن الذين كلفوا بوضع الأختام على مكتب شقيق هم من جهاز المباحث العامة ، وأنه قد طلب بعد ذلك من إدارة الحراسات أن تتولى الأمر . ولكن المسئولين فيها كانوا فى حيرة من أمرهم ولا يعرفون كيف يتصرفون لأن قراراً كان قد صدر بإلغاء تلك الإدارة يوم ٢١ مارس ١٩٦٤ . وليس هناك أيضاً من سند قانونى لهم لتنفيذ أمر الحراسة لأنه صدر بتاريخ ٢٤ مارس وبعد إلغاء تلك الإدارة .

تغيير فى تاريخ القرار :

ولكننى علمت فى مساء نفس اليوم أن تعليمات جديدة قد صدرت إلى إدارة الحراسات بأن تعتبر أن قرار فرض الحراسة كأنه صدر بتاريخ ١٣ مارس وليس بالتاريخ السابق الذى صدر به . واستغربت التصرف ولذا جاء فى يومياتى تعليقاً على ذلك ـ أننى لا أعرف كيف رضى جمال لنفسه أن يتخذ هذه الخطوة وأن يغير من تاريخ القرار بعد أن أطلع عليه موظفين صغار . وأن يعتدى بهذا الشكل على القانون الذى أصدره ولم يجف حبره بعد ، وعلى الدستور أيضاً الذى أعلنه فقط فى اليوم السابق لإصدار هذا القرار بالحراسة .

ولا أعرف أيضاً لماذا اختار جمال يوم ١٣ مارس بالذات ـ هل حتى يصبح وكأن خطاب استقالتى لاحق لهذا القرار منه ـ وهل هو لا يعلم أن الحقيقة لابد أن تتضح فى يوم من الأيام ـ وهل هو نسى أيضاً أننى أشرت فى خطاب استقالتى

إليه أن الأسباب التى تدفعنى إلى الإنسحاب من الحياة العامة قد سبق لى أن ذكرتها يوم ٤ مارس عندما اجتمعنا فى منزله . وخطابى إليه ما هو إلا تأكيد لهذا الذى سبق أن قلته يوم الاجتماع » .

سؤال وإجابتين :

وكنت قد سألت جمال فى مايوم عام ١٩٧٠ بعد أن عادت علاقاتنا معاً عن سبب اتخاذه هذا الإجراء الخاص بالحراسة وذلك أثناء تناول العشاء بمنزلى والذى حضره معه كل من أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى . وكان قد أجاب أن السبب هو عبد الرؤوف نافع إشارة منه إلى أنه تضايق عندما علم أن عبد الرؤوف قد تحدث عن استقالتى إلى بعض الصحفيين . ولكنه عاد وأجابنى إجابة أخرى بعد أن أعدت عليه نفس السؤال بعد ذلك بحوالى ستة شهور وكانت إجابته أنه لما وجد الناس تتكلم عن استقالتى فقد رغب - على حد قوله - فى أن يتحدثوا عن شىء آخر - وذكر - أنهم فعلاً قد نسوا الاستقالة وأخذوا يتحدثون عن موضوع الحراسة . واستغربت أن يجيبنى بهذه الإجابة . ولكنه على ما يظهر كان قد تعمد أن يقول ذلك ضيقاً منى لأننى أعدت عليه نفس السؤال ، وكنت ألقيه عليه كنوع من العتاب .

ولكن جمال بعد عام تماماً من فرض الحراسة على شقيق كان قد عاد وأصدر قراراً آخراً فى يوم الخميس ١٨ مارس ١٩٦٥ برفعها عنه . وجاء فى نص هذا القرار « أن ترد إليه كل ممتلكاته وأمواله وكأن القرار السابق لم يكن » . وقد اتخذ جمال هذا القرار بعد أن ظهرت نتيجة الاستفتاء عليه كرئيس للجمهورية والذى تم يوم الاثنين ١٥ مارس ١٩٦٥ . وكانت النتيجة قد أعلنت يوم الثلاثاء ١٦ مارس وحصل فيها على نسبة ٩٩,٩٩٩٪ من أصوات الناخبين . وذكر فى الصحف أنه لم يعترض عليه سوى ٦٥ شخصاً فقط . وقد ترددت شائعات كثيرة على ألسنة الناس حول هذه النتيجة وكيف كان يجرى الاستفتاء .

انتابتنى الدهشة :

وكنت قد عرفت سر إصداره قرار رفع الحراسة عن شقيق من محمد حسنين هيكل ثم تأكد لى أيضاً من حسن إبراهيم ومن مصادر أخرى . وكان هيكل قد طلب مقابلتى فى نفس اليوم الذى صدر فيه هذا القرار . وكنت قد قمت بواجب

العزاء فى وفاة والده فى صباح نفس اليوم . ولقد تقابلنا فى منزلى يوم السبت ٢٠ مارس ١٩٦٥ . وكان الحديث يدور بيننا فى موضوعات بعيدة عن السياسة عندما فاجأنى وأشار إلى موقفى وتقديره لموافقتى على جمال عند التصويت عليه فى الاستفتاء . وانتابتنى الدهشة ذلك لأننى لم أكن قد بحت لأحد عن هذا الموقف منى ، و التصويت كان سرياً . ولما سألته عن مصدر هذه المعلومات أجاب أن جمال كان قد علم بذهابى إلى إحدى اللجان للتصويت فى الاستفتاء . وأنه اهتم بنتيجة تلك اللجنة التى أدليت فيها بصوتى . ولقد تأثر على حد قول هيكل عندما اتضح له موافقتى عليه لأنه لم يمكن هناك من معترض واحد فى تلك اللجنة . وذكر هيكل أن ما يعلمه من جمال هو تقديره لى خاصة موقفى أثناء الاعتداء الثلاثى . وأنه إذا كنت قد تضايقت من تصرفات جمال معى بعد الاستقالة فهو أيضاً قد ضايقه خطابى إليه . ذلك لأن صيغته على حد قوله توحى بأنها كانت للنشر . وأن بعض فقرات منه كانت تتردد على ألسنة بعض الناس . وأنه كان يشاع أيضاً أننى لم أكن موافقاً على القرارات التى أصدرها مجلس الرئاسة بتأميم بعض الشركات فى أغسطس ١٩٦٣ .

وقد رددت على ما ذكره هيكل بأننى عندما كتبت خطاب استقالتى لم يكن فى ذهنى هذا الذى أشار إليه ، ولم أعمل على ذلك أيضاً . وأما عما يشاع من عدم موافقتى على قرارات التأميم فليس لى ذنب فيها لأنها أصدرت عندما كنت مريضاً فى لندن . وأما رأيى بالنسبة لها فكان معروفاً لجميع الزملاء قبل إصدارها بما يقرب من الأربعة شهور . ولم يكن اعتراضى عليها إلا لأنها مخالفة للميثاق الذى كان من الواجب علينا التمسك به واحترام ما جاء فيه .

وحاول هيكل الدفاع عن جمال فى بعض تصرفات صغيرة كان قد اتخذها لمضايقتى . وقد أشعرنى أيضاً بسروره لانتخابى جمال ، ووصف هذا التصرف منى بالرجولة .

وقرار جمال بفرض الحراسة على شقيق كان قد جاء كرد فعل منه لغضبه بعد إنسحاب كمال واستقالته . وقراره برفعها عنه جاء أيضاً كرد فعل منه لرضاه عن موقفى من الاستفتاء عليه .

زوج ابنتى فى القائمة السوداء :

ورغم هذا فلم يقف إيذاء جمال عند هذا الحد لكنه تعداه أيضاً إلى زوج

كريمتى المهندس محمد محمود نصير . وهو كان يعمل بالخارج فى الأعمال الحرة ومقيم فى لندن منذ أن تزوج ابنتى بعد استقالتى بشهور قليلة . وكان قد حضر مع زوجته وطفله الصغير إلى القاهرة فى إجازة لمدة أسبوع فى شهر نوفمبر عام ١٩٦٦ . ولكنه منع من السفر عندما أراد العودة إلى عمله وحجز فى مصر ، ووضع اسمه فى القائمة السوداء . وقد ضايقنى هذا التصرف من جمال ولكننى لم أحاول الاتصال به لرفع هذا الظلم الذى وقع على زوج ابنتى . وقد طرق زوج كريمتى جميع أبواب معارفه وهم كثيرون ومنهم زكريا محيى الدين وهيكل ولكن جمال صمم على موقفه ولم يستجب لأحد . ولقد تحطم ما كان قد بناه زوج ابنتى بالجهد الشاق والعرق وضاع عليه جهد عامين . وظل بالقاهرة يبحث عن عمل له لعدة شهور دون جدوى إلى أن عينه هيكل فى جريدة الأهرام ليتولى أمر وحدة العقل الحاسب الذى أنشأ بالجريدة . وهو كان ذو خبرة سابقة فى هذا العمل قبل أن يتجه إلى الأعمال الحرة . ومن الطبيعى أن هذا التعيين لم يتم إلا بعد أخذ موافقة من جمال عليه . ولم يكن هناك من سبب لهذا الإجراء الذى اتخذه جمال ضد زوج ابنتى غير أنه كان قد استقبل مع زوجته من المسئولين فى الأردن أحسن استقبال مجاملة منهم لى . وكان قد سافر إليها فى عمل قبل منتصف عام ١٩٦٦ . ولكن لما أبلغ جمال بهذا الاستقبال لها انتابه الشك . واعتقد خطأ أن زوج ابنتى موفد من قبلى فى مهمة سياسية . وقد دفعه هذا الشك إلى أن يضع تحركاته تحت المراقبة السرية فى الخارج ولفترة بعد هذه الزيارة . ولما لم يجد شيئاً أراد ـ على حد قوله ـ أن يريح نفسه وحتى يصبح تحت نظرهم فحجزه فى مصر ومنعه من العودة إلى عمله . وكنت قد علمت أن هذا هو السبب الرئيسى فى هذا التصرف منه من أحد الزملاء الذى كان لا يزال مشاركاً فى المسئولية فى ذلك الحين .

تخفيض المعاش :

وقد اتخذ جمال إجراءات أخرى أوذيت بها حتى معاشى لم يسلم من التخفيض . كما نبه على الصحف أيضاً بعدم ذكر أسمائنا فيها حتى فى الشكر على التعازى . ولم ينج بعض أصدقائى من الفصل من عملهم لا لسبب إلا لأنهم استمروا فى علاقاتهم معى ولم ينقطعوا عن زيارتى .

ولست أبغى ذكر تفاصيل هذه الإجراءات وإنما أردت أن أبين بما ذكرته أن مثل هذه التصرفات التى كان يتخذها جمال كانت تصدر كرد فعل منه لأى سبب من الأسباب يدفعه إلى الشك أو الانفعال. ولكنه كثيراً ما كان يلغى مثل تلك القرارات التى يكون قد اتخذها ضد بعض المواطنين عندما يعلم أن من صدر ضده القرار قد اتخذ موقفاً فيه تأييد أو دفاع عنه. وقد عرف البعض من المقربين إليه هذه الخصلة فيه. وكانت تستغل منهم فى رفع ضير يكون قد وقع على أحد أصدقائهم أو معارفهم. كما كانت تستغل أيضاً فى دفعه إلى إيذاء من يودون إيذائه باختلاق تصرف يدَّعون أنه قام به ويعلمون أنه سيكون له رد فعل عنده.

رد الخطاب : تحديد الإقامة :

ولم ينج كمال الدين حسين أيضاً بعد استقالته من إيذاء جمال حتى أنه أصدر أمراً بتحديد إقامته على أثر خطاب كان قد أرسله إليه. وكان كمال قد قام بإرسال هذا الخطاب يوم الثلاثاء ١٢ أكتوبر ١٩٦٥ وذلك على أثر ما كان يسمعه يتردد بين المواطنين عن تعذيب الاخوان المسلمين المعتقلين فى ذلك الحين. ولم يكن قد مضى يومين على إرساله هذا الخطاب حتى أمر جمال باعتقاله ونقله من منزله إلى استراحة الآثار الموجودة فى منطقة الأهرام، وحددت إقامته فيها ومعه زوجته وأولاده. ومن الغريب أن يتخذ جمال هذا القرار ويتم تنفيذه فى نفس الساعة التى كان يحتفل فيها بزواج ابنته. ولم يقتصر الأمر على تحديد إقامة كمال وحده، وإنما شمل أيضاً والده فقد حددت إقامته فى منزله فى مدينة بنها. وتم فصل عدد من أقاربه من وظائفهم، وفصل أيضاً ابنه مصطفى الملازم بالجيش.

لم يجد طبيبا لزوجته :

واستمر كمال محددة إقامته حتى توفيت زوجته وهى معه يوم ٩ يناير ١٩٦٦. ولم يجد طبيباً يقوم بإسعافها ولم يحضر إلا بعد عدة ساعات طويلة وبعد أن كان أمر الله قد نفذ. وخرج كمال من المعتقل ليشترك فى تشييع جثمانها. ولم يعد بعد ذلك إلى المعتقل ثانية. ومن الغريب أن زملائه لم يقوموا بواجب التعزية فى وفاتها.

وكان نص الخطاب الذى أثار جمال إلى درجة اعتقال زميل له هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد / جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

لا خير فى إذا لم أقلها لك.. اتق الله..

ومن يتق الله يجعل له مخرجاً.. قرآن كريم..

ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً..

ومن يتق الله يكفر عن سيئاته ويعظم له أجراً.. قرآن كريم

اتق الله..

قالها الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم.

(يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين)..

اتق الله.

ولا تكن ممن قال فيهم الله سبحانه وتعالى:

(وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم)..

اتق الله.

أراد الله بها الرسول والمؤمنين، وأمر بها الرسول أصحابه المؤمنين..

وقالها الخلفاء والأئمة لبعضهم ولولاتهم وللمسلمين. وقالها المسلمون للخلفاء والأئمة والولاة ولبعضهم بعضاً.

اتق الله.

قالتها تلك الأمة التى أعزها الله بقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله).

صدق الله العظيم

وسلام على من اتبع الهدى..

إمضاء

كمال الدين حسين

١٩٦٥/١٠/١٢

ولكن هذه المواقف من جمال ـ وهذه المنغصات التى كان يتبعها معنا لم تكن تحول بيننا وبينه عندما نشعر أن هناك خطراً يهدد أمن بلادنا . ولم نكن نتوانى عن إبداء الرأى له كتابة أو شفهياً . وهو من جانبه لم يكن يمتنع عن الاتصال بنا عندما يعلم برغبتنا فى هذا الاتصال ويستمع إلى الرأى الذى نبديه له . وهذه كانت خصلة حميدة فيه .

وهذه الإجراءات التى اتخذها جمال معى ومع كمال الدين حسين كثيراً ما تحدث فى البلاد التى لا يتوافر فيها سيادة القانون ويكون فيها هناك خصومة سياسية بين بعض القادة فيها أو صراع بينهم على السلطة ولكن لم يكن هناك بيننا هذا الصراع ولم نصل حتى إلى حد الخصومة السياسية أيضاً . كما أنه لم يكن هناك بيننا خلاف على المبادىء الأساسية للثورة ، وكل الخلاف كان ينصب أساساً حول أسلوب الحكم وطريقة جمال فى ممارسته للسلطة . ولقد قررنا اعتزال الحياة العامة ولم نحاول إثارة المشاكل ، وفضلنا الاعتزال فى هدوء . ورغم هذه التصرفات من جمال إلا أنه لم يحاول مهاجمتنا أو التعرض لموقفنا منه بصورة علنية أمام الشعب . وكنا نشعر أن العلاقة التى بيننا أقوى من كل هذه المنغصات التى يتخذها معنا . وكنت أحس بهذا الشعور عندما ألتق به صدفة فى أية مناسبة من المناسبات بعد أن افترقنا عن الاشتراك فى العمل السياسى معاً . وهو كان بحكم طبيعته ونشأته واضح فى تصرفاته ولا يعمل على الإيذاء فى الخفاء . وما يؤخذ عليه أنه لم يكن يرعى سيادة القانون فى مثل هذه التصرفات . وهو أمر له خطورته لأنه يهدد أمن المواطنين ويدعو إلى عدم الاستقرار .

وكان جمال قد حاول معى ومع كمال الدين حسين أيضاً فى أن يقنعنا بالعودة إلى المشاركة معه فى المسئولية بعد ظهور نتيجة الاستفتاء عليه فى مارس ١٩٦٥ . وأوفد إلىّ حسن إبراهيم كما أرسل عبد الحكيم إلى كمال لاقناعنا بهذا الأمر ولكننا اعتذرنا عن العودة إلى المشاركة لأن الأسباب التى كنا قد اعتزلنا المسئولية من أجلها كانت لا تزال قائمة . وقد أغضبه هذا الاعتذار منا .

الباب الثامن

حرب يونيو ١٩٦٧

حرب يونيو ١٩٦٧

كنت خارج المسئولية عندما وقعت تلك الحرب . وكان قد مضى ثلاث سنوات منذ أن اعتزلت الحياة العامة . ولم يمنعنا ذلك من أن نؤدى واجبنا ونقول رأينا الى جمال عندما أحسسنا أن الحرب بين مصر وإسرائيل على الأبواب ، وقد شاهدنا بعض أحداثها عن قرب ومن داخل القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية نفسها . ولم تدم الحرب طويلاً بل جاءت الهزيمة بعد ساعات قليلة من قيامها . وكان ذلك صدمة أليمة على نفوسنا . وجرت أحداث داخلية فى مصر يومى ٩ ، ١٠ يونيو ١٩٦٧ بعد وقوع الهزيمة . وكنا نشاهد ما يجرى والحسرة تملأ نفوسنا والألم يعتصر قلوبنا . وكنت قد دونت ما شاهدته من أحداث وماأحسست به من آلام فى يومياتى .

وقد التزمت منذ البداية أن أقدم للقارىء وأن أذكر له ما كنت قد دونته فى يومياتى بكل أمانة . وأننى لأعرف مقدماً أن ما سيأتى فى هذا الباب سيجر على المتاعب من بعض الأفراد الغير متفهمين لحقيقة ما جرى . ولكن ليس أمامى من حيلة غير أن أظل على التزامى قبل القارىء متحملاً من هؤلاء الأفراد هذه المتاعب التى أتوقعها منهم . ولست أريد منهم غير أن يتحللوا من عواطفهم

الشخصية . وأن يضعوا أنفسهم مكاننا أثناء تلك الأحداث وما كان يجرى . وأن لا يتحيزوا لأشخاص بل يكون تحيزهم فقط لمصر وللعرب . والواجب يتطلب منا أن نكون أوفياء لشعبنا ولبلدنا قبل أى شىء آخر . والوفاء للأشخاص مطلوب أيضاً بل وواجب كذلك . ولكن هذا الوفاء للأشخاص لا يجب أن نغلبه على وفائنا لشعبنا وبلدنا إذا تعارضا معاً .

وما كتبته فى يومياتى هى أحداث وقعت ومشاعر أحسست بها على أثر ما كان يجرى ، وألماً لبلادى وما حاق بها من مهانة وضياع . وإن كان هناك ما سيؤخذ على هذه المشاعر منى فلى عذرى لأنى كنت أرى الظلام يحيط بنا من كل جانب ومستقبل بلادنا فى الميزان إن لم يكن قد قارب إلى الضياع . ومع هذه الأحاسيس التى كانت تملأ نفسى كنت أشاهد ما يجرى وكأن النصر هو الذى تحقق وليس هو الخزى والعار .

وأننى لأعذر قلمى إن كان قد خط هذه الأحاسيس على هذه الصورة التى جاءت فى يومياتى ، وهو متأثر بما كان يحيط بنا . وأننى لأود من الآخرين الذين سيعتبوا على هذا الذى كتب فى يومياتى أن يعذروا هم أيضاً قلمى لأنهم ربما لم يحسوا بما أحسسنا به ولم يروا ما رأيناه .

وأنى لأعتقد أنه من الأنسب فى هذا الباب أن أضع هنا للقارىء الصورة كاملة لما كنت قد سجلته فى يومياتى - يوماً بعد يوم - أثناء تلك الأحداث . وأن أعدل فيه عن الأسلوب الذى سبق واتبعته فى الأبواب السابقة وهى محاولة جعل هذه اليوميات فى شكل مذكرات .

وكنت قد دونت أحداث هذه الحرب فى يومياتى بداية من يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ واستمررت فى تدوينها حتى انتحار المشير عبد الحكيم عامر . وهى فى حدود معلوماتى وما شاهدته بنفسى خلال تلك المأساة . وكان قد جاء بها :

١٥ مايو :

طالعتنا صحف اليوم بأن قواتنا المسلحة قد تحركت إلى سيناء . وجاء فيها أن هذا التحرك هو لمساندة سوريا ضد التهديدات الاسرائيلية والتى تقوم بحشد

قواتها العسكرية على الحدود المشتركة معها . وأن هذا التحرك من جانبنا هو تنفيذاً لاتفاقية الدفاع المشترك بيننا وبين سوريا .

وكان متحدث اسرائيلى قد ذكر قبل ذلك بأيام قلائل أن القيام بعملية عسكرية ضخمة هو الوسيلة الوحيدة لايقاف تلك العمليات التخريبية التى تقوم بها سوريا داخل الأراضى الاسرائيلية .

وكانت وزارة الخارجية السورية فى اليوم التالى لهذا التهديد الاسرائيلى قد أصدرت بياناً حملت فيه اسرائيل مسئولية ما قد يحدث فى المنطقة . وقد أشار البيان أيضاً إلى أن اتفاقيات الدفاع المشترك ستوضع موضع التنفيذ إن قامت اسرائيل بأى عدوان عليها مشيرة بذلك إلى اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر .

١٦ مايو :

ظهرت صحفنا اليوم وعلى صفحاتها الأولى العناوين الآتية :

- تحركت قوات الجمهورية العربية المتحدة طبقاً للخطة العسكرية الموضوعة .
- أنواع جديدة من المقاتلات النفاثة انضمت للقوات العربية فى سيناء .
- سندخل المعركة بأكبر قوة من النيران .
- حقيقة الموقف العسكرى على الحدود .
- عقد المشير عبد الحيكم عامر اجتماعات متتالية لوضع الخطة .

خطاب إلى جمال :

وفى صباح اليوم أيضاً زارنى حسن إبراهيم فى منزلى ومعه الدكتور رشوان فهمى نقيب الأطباء .ودار الحديث بيننا عن هذه التحركات لقواتنا العسكرية . واحتمال وقوع حرب بين إسرائيل وبيننا . ورأينا أنه من الضرورى أن نكتب إلى جمال رأينا فيما يجرى . وأن الواجب الوطنى يحتم علينا ذلك . وتم الاتفاق بين حسن وبينى على أن يقوم كل منا بكتابة مشروع خطاب إلى جمال يوضح فيه رأيه وتقديره للموقف . وعلى أن نلتقى فى المساء فى منزل حسن لمراجعة الخطابين واستخلاص النقاط المهمة فيهما ليتضمنها خطاب واحد جديد نقوم بالتوقيع عليه نحن الاثنين ونرسله إلى جمال .

وفى المساء التقيت مع حسن رغم هطول الأمطار بشدة وتوقف حركة المرور فى أغلب الشوارع الموصلة بين منزل حسن ومنزلى لارتفاع منسوب المياه فيها . وحضر رشوان هذا اللقاء أيضاً . واتفق على النقاط التى سيتضمنها الخطاب الذيى سيرسل الى جمال باكر ١٧ مايو .

ولم نشأ أن نشرك الأخ كمال الدين حسين معنا فى التوقيع عليه نظراً لظروفه الخاصة وعلاقته مع جمال بعد اعتقاله له .

١٧ مايو :

وقعت مع حسن على الخطاب الذى اتفق عليه وأرسل اليوم الى جمال . وفى المساء قمت بزيارة كمال ، وأبلغته بما اتخذناه ، وأطلعته على صورة من الخطاب .

وفيما يلى نصه :

السيد رئيس الجمهورية

تحية طيبة وبعد ،

لقد تتبعنا بكل اهتمام ما ينشر فى الصحف عن الحشود العسكرية الاسرائيلية على الحدود السورية . وكذا الاجراءات الحاسمة التى اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة رداً على ذلك . والاستعدادات التامة لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك بيننا وبين الشقيقة سوريا .

ولما كان الموقف له أهميته القومية والوطنية ، رأينا أن نكتب اليكم برأينا فى هذا الموضوع بعد أن تدارسناه فى ضوء المعلومات المحدودة المتوافرة لدينا . وذلك لإحساسنا بأن الواجب القومى يتطلب منا أن نساهم ولو بالرأى فى هذه المعركة .

ونحن نحب أن نؤكد أننا نؤيد ونقف وراء كل قرار يتخذ ويكون الغرض منه التصدى لإسرائيل ومنعها من الاعتداء أو التوسع على حساب أى دولة عربية بصرف النظر عن طبيعة النظام السياسى والاجتماعى فى تلك الدولة ومدى موافقتنا أو معارضتنا لهذه الأنظمة .

ومع تأييدنا المطلق لهذا الموقف نحب أن نبين أنه من الصالح أيضاً أن نكون

على بينه من أمرنا . ولا ننساق إلى معركة تحدد اسرائيل زمانها ومكانها . وهو أمر غير مرغوب فيه . وكنت سيادتكم على حق دائماً حينما ذكرت فى خطابكم أنه لابد لنا أن نختار نحن موعد وأرض المعركة .

ونحب أن نضيف أنه مما يثير الدهشة فى هذه الأزمة الحالية أن اسرائيل على غير عادتها تقوم اليوم بحشد قواتها بصورة علنية . وهى الحريصة دائماً على استغلال عنصر المفاجأة . . . فما الدافع وراء ذلك ؟ .

. . هل تقوم بمظاهرة عسكرية ، الغرض منها لفت أنظار العالم وتأزيم الموقف لحل مشكلة المنطقة المنزوعة السلاح ؟ .

. . هل تستعد اسرائيل للدخول فى معركة مع سوريا واضعة فى اعتبارها الظروف المعينة التى تساعدها على النصر فى الوقت الحاضر ؟ .

. . هل يقلق اسرائيل فعلاً تغلغل الفدائيين فى أرضها حتى يدفعها ذلك إلى اشتباك فعلى باسم الحرب الوقائية وحتى تدفع الهيئات الدولية للتدخل لوضع حل لهذه المشكلة بوضع قوات من البوليس الدولى على الحدود المشتركة بين البلدين ؟ .

. . هل الدافع لاسرائيل من هذا التصرف هو معرفة رد الفعل عندنا ، وهل نحن على استعداد لتحقيق ما أعلناه عن تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا أم أننا لسنا على استعداد ؟ .

. . هل الدافع هو وضعنا فى موقف حرج هو إما التقاعص عن تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك فيكون لذلك رد فعل سىء فى العالم العربى مما يؤثر على هيبتنا وموقفنا بين الدول العربية ، أو أننا سنحشد جزءاً كبيراً من قواتنا فى سيناء الأمر الذى يكلفنا الكثير قطعاً ، وبذا يزيد الضغط على مواردنا المالية .

. . هل الغرض من الحشود الاسرائيلية يكمن فى معركة اليمن ، والقصد هو تثبيت قوات لنا فى سيناء ، حتى لا يمكن مساندة قواتنا فى اليمن عندما يتطلب الأمر ذلك ، والواضح أن أعداءنا سيستغلون هذه الفرصة والقيام بمناوشات واسعة فى اليمن .

لعل الدافع لاسرائيل هو أحد هذه الأسباب أو كلها مجتمعة ، ولكن الذى لا شك فيه هو أن الاستعمار وراء هذه العملية أيضاً ، فهو يعمل بكل قواه فى الوقت الحاضر مدافعاً عن كيانه فى منطقة الشرق الأوسط ، وهو فى سبيل ذلك يسعى إلى استنزاف مواردنا الاقتصادية .

ولعزل الجمهورية العربية عن دول المنطقة يتخذ اجراءات أهمها :

(ا) ايجاد جو من الخوف من حركة التحول التقدمى الذى تتحوله الجمهورية والتهديد بأن هذا التحول يقضى على مصالح الحاكمين فى هذه الدول .

(ب) ايجاد جو من التشكك فيما حققته الجمهورية من تقدم اقتصادى لمصلحة المجتمع حتى لا يطالب بمثله الآخرون .

(ج) تحطيم هيبة الجمهورية العربية المتحدة بإيجاد جو من عدم الثقة فى تصريحاتها عن قدرتها على الدفاع عن الدول العربية إذا اعتدت عليها إسرائيل أو غيرها من الدول .

(د) تحطيم كل ما يدعو إلى الوحدة العربية الحقيقية وما يمت إلى القومية العربية الحقيقية .

ولاستنزاف مواردنا الاقتصادية يتخذ الاستعمار الخطوات الآتية :

(ا) ارغامنا على حشد الجيوش العربية ووضعها تحت حالة طوارىء دائمة وذلك باثارة بعض المناوشات هنا أو هناك وخصوصاً فى اليمن .

(ب) خلق جو متوتر يدفعنا إلى اتخاذ نفس الاجراءات من حشد جيوشنا ووضعها فى حالة استعداد وبذا يصبح الضغط على اقتصادنا مضاعفاً وهى محاولة للتغلب على سياسة « النفس الطويل » .

المهم هو ان مصالح الاستعمار تلتق دائماً مع مصالح ربيبته إسرائيل . والمهم أيضاً أن نكون على أتم استعداد لنقضى على كل ما يقومون به من مناورات أو تحركات وملاقاة أى خطوات تتخذ منها .

وكل ما نأمله أنه فى المرحلة الأولى من الاشتباك إن وقع بين سوريا وإسرائيل أن نكتفى نحن من جانبنا باستخدام قواتنا الجوية دون استخدام باقى

وحداتنا المسلحة إلا إذا تطلب الأمر وحتمت الضرورة استخدام قواتنا المسلحة بكل ثقلها، وهذا أمر لا يمكن تقديره إلا تبعاً لتطورات المعركة وظروفها ومداها.

إن كل ما نتمناه هو أن يحقق الله النصر لأمتنا العربية وأن يوفقكم فى اتخاذ القرارات التى تحقق هذا النصر سواء السياسية منها أو العسكرية والله الموفق.

والسلام عليكم ورحمة الله.

إمضاء

البغدادى ـ حسن إبراهيم.

القاهرة فى ١٧ مايو ١٩٦٧

١٨ مايو ١٩٦٧

طالعتنا صحف اليوم أن الجمهورية العربية المتحدة قد طلبت من أوثانت سكرتير عام هيئة الأمم المتحدة سحب قوات الطوارىء الدولية الموجودة على الحدود بيننا وبين إسرائيل.

ولقد حضر إلى زيارتى صباح اليوم صديق عمر الجمال سفيرنا فى كمبوديا، وهو فى أجازة يمضيها فى القاهرة. وتناول حديثنا طلب مصر الخاص بسحب قوات الطوارىء. ولقد خرجنا من مناقشة هذا الطلب أن جمال عبد الناصر يهدف إلى إرسال قوات من قواتنا المسلحة لاحتلال منطقة شرم الشيخ بعد انسحاب قوات الطوارىء منها والموجودة بها منذ انتهاء معركة السويس ١٩٥٦. وإذا تم له احتلالها فسيعمل على تهديد ملاحة السفن الإسرائيلية المتجهة إلى ميناء إيلات والدليل على ذلك هو عدم اشارته حتى الآن إلى شرم الشيخ ولا عن قوات الطوارىء التى بها حتى لا يفصح عن هدفه. وان احتجت إسرائيل على وضعنا قوات عسكرية بها فإنه سيتمسك بأن تلك المنطقة قطعة من أرض الوطن ولنا كامل السيادة عليها.

وقد خلصنا أيضاً من المناقشة أنه لو هددت الملاحة الإسرائيلية فى مضايق تيران فإن ذلك سيدفع إسرائيل إلى الحرب لعدة أسباب منها:

١ ـ ان سكوت إسرائيل عن هذا التهديد إن حدث معناه القضاء على ربع تجارتها الخارجية . وهى حجم تجارتها مع شرق أفريقيا وآسيا والتى تتم عن طريق ميناء ايلات .

٢ ـ سيكون فى ذلك أيضاً القضاء على ميناء ايلات والتى تعمل إسرائيل على تنميته من بعد حرب السويس وقد أقامت به عدة منشئات .

٣ ـ ستحرم إسرائيل من البترول الوارد اليها عن طريق هذا الميناء والذى يضخ فى أنابيب منها إلى حيفا لتكريره هناك .

٤ ـ إن إسرائيل تعلم أن جمال لو نجح فى تحقيق هذا الغرض فإن ذلك سيشجع العرب على محاولة مهاجمتها للتخلص منها بعد ذلك .

٥ ـ والغرب أيضاً يعلم أن نجاح جمال فى ذلك معناه نهاية مصالحه فى المنطقة بانتهاء أعوانه فيها . ذلك لأن جمال سينال من الشعبية بين الشعوب العربية مما يساعده على إضعاف هؤلاء الحكام والسيطرة عليهم .

أما بالنسبة لما يهدف إليه جمال من تحريك قواتنا العسكرية إلى سيناء فإنه لا يمكن أن يكون جاداً فى الدخول فى معركة حربية مع إسرائيل ، وإنما هو يهدف فقط الحصول على نصر باستعادة شرم الشيخ وتهديد ملاحة إسرائيل فى مضايق تيران دون الدخول فى معركة حربية . وهو ربما يعتقد أنه بتأزيمه للموقف فإن القضية فى الغالب ستحال إلى هيئة الأمم المتحدة فقط ولن تصل إلى درجة الحرب . وحتى لو صدر قرار من هيئة الأمم يلزمه بتوفير حرية الملاحة لإسرائيل فى هذه المضايق فهو لن يلتزم به اعتماداً على مواقف مشابهة من إسرائيل فى السابق وعدم تنفيذها لقرارات هيئة الأمم المتحدة فى مسائل كثيرة .

ورأينا فى النهاية بعد هذا الاستعراض للموقف أنه من الأصوب أن لا يعلن جمال عن اعتزامه بتهديد الملاحة الإسرائيلية فى مضايق تيران وذلك تهدئة لهذا الجو المشحون ، وحتى لا ندفع إسرائيل إلى حرب نعتقد أننا غير مستعدين لها . وأن لا يهتم جمال بمهاجمة بعض الدول العربية له إن اتخذ هذا الموقف .وعلى العموم فهو حتى الآن لم يعلن عن اتجاهه فى هذا الشأن .

٢١ مايو ١٩٦٧ :

أعلن يوثانت منذ يومين موافقته على سحب قوات الطوارىء الدولية من الحدود المصرية الإسرائيلية .

كما أعلنت إسرائيل أن انسحاب قوات الطوارىء سيجعل القوات المصرية فى مركز تستطيع منه تهديد الملاحة الإسرائيلية عبر مضايق تيران .

وقام جمال بإرسال رسائل إلى رؤساء بعض الدول الأفريقية يشرح فيها تطورات الموقف فى المنطقة .

كما قام عبدالحكيم بتفقد الخطوط الأمامية لقواتنا فى سيناء .

وأصبحت الأنباء كلها تشير إلى تدهور الموقف وإلى قرب حدوث حرب فى المنطقة . وأصدرت الجامعة العربية بياناً أعلنت فيه تأييد جميع الدول العربية للجمهورية العربية المتحدة والجمهورية السورية فى موقفها إزاء الحشود الإسرائيلية ، وأن أى عدوان على أرض عربية يعتبر عدواناً عليها جميعاً .

العرب فى كل مكان يعلنون تأييدهم لموقف جمال من إسرائيل .

واليوم أعلنت إسرائيل التعبئة العامة .

وأصدر عبدالحكيم أيضاً قراراً بتعبئة الاحتياطى كله .

واجتمع جمال مع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى .

تفاديا من التشنيع :

وقد زرت كمال الدين حسين فى المساء وعلمت منه أنه أرسل خطاباً إلى جمال . وأنه قد تقابل مع عبد الرحمن البزاز رئيس وزراء العراق السابق الذى حضر إلى القاهرة بدعوة من جمال بعد أن هاجمه مذيع صوت العرب الأستاذ أحمد سعيد فى الاذاعة واتهمه بأنه كان يتقاضى مبالغ من المال من الحكومة المصرية أثناء وجوده فى مصر . وأن جمال قام بإرسال هذه الدعوة إليه مجاملة منه له ورداً لاعتباره ونفياً لما ادعاه أحمد سعيد عليه .

ويقول كمال أنه قام بإرسال هذا الخطاب اليوم بعد أن أبلغه البزاز أنه علم

من جمال أننى وحسن إبراهيم قد أرسلنا إليه خطاباً عن رأينا فى الموقف وأنحى باللائمة على كمال لموقفه السلبى من هذه الأحداث . وذكر كمال أنه لذلك قام بإرسال هذا الخطاب تفادياً من تشنيع جمال عليه على حد قوله .

احدى الحسنيين :

وهذا نص خطاب كمال :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فنظراً للظروف التى يمر بها الوطن فى المستقبل القريب أو البعيد فإنى أرى واجباً على أن أبلغكم أنه إذا اشتبكت قواتنا المسلحة مع إسرائيل تحت أى ظرف من الظروف ، فإنى أضع نفسى تحت السلاح جندياً فى خدمة الوطن .

بصرف النظر عن جميع العوامل الماضية والحاضرة التى أثرت وتؤثر على تقدير الموقف وما يتبعه من قرارات ونتائج . وحسبى إذا جدت أمور أن أكون جندياً فى جبهة القتال أؤدى حق الوطن ، راجياً من الله احدى الحسنيين والسلام .

كمال الدين حسين

٢١ / ٥ / ١٩٦٧

وقد علمت اليوم أيضاً ٢١ مايو أن قواتنا العسكرية قد تحركت الى شرم الشيخ لتحل محل قوات الطوارىء الدولية التى انسحبت منها . وأن أوثانت فى طريقه إلى القاهرة لمقابلة جمال بخصوص هذا الموقف المتأزم فى المنطقة .

الاثنين ٢٢ مايو :

قام جمال بزيارة احدى القواعد الجوية فى منطقة القناة ، وأعلن فى كلمة له من هناك تصميمه على منع السفن الإسرائيلية من المرور فى مضيق تيران ، ومنع

السلع الاستراتيجية بما فيها البترول من المرور كذلك حتى لو كانت على أى سفن أخرى أجنبية غير إسرائيلية .

والغرض من إعلانه ذلك على ما أعتقد هو قطع الطريق على أوثانت الذى غادر نيويورك وفى طريقه إلى القاهرة .

خطوة منه ستزيد من حدة الموقف . ومعنى ذلك أن جمال لم يترك لنفسه باباً مفتوحاً حتى يمكن التراجع منه لو تطورت الأمور إلى ما هو أسوأ . والواجب أن يترك لنفسه مخرجاً حتى يمكنه التحرك فى المستقبل ويحول دون وقوع الحرب .

نفس التكتيك :

أرى أنه يكرر نفس التكتيك الذى اتخذناه عام ١٩٥٥ عندما تم التعاقد على شراء أسلحة من الاتحاد السوفيتى - وقامت أمريكا - وأرسلت وكيل وزارة خارجيتها بإنذار . وأعلن هنا عن اتمام الصفقة فى خطاب ألقاه جمال . وكان القصد من ذلك هو قطع الطريق على وكيل وزارة الخارجية الأمريكية وحتى يصبح الأمر بعد إعلانه أمراً واقعياً ومنتهياً حتى لا نقبل الإنذار .

وما حدث اليوم ما هو إلا تكرار لنفس تكتيك الماضى ولكننى أعتقد أن الموقف مختلف والظروف كذلك .

وقد ذكر جمال فى خطابه أيضاً أننا مستعدون للحرب إذا هددت إسرائيل بها .

٢٤ مايو :

جاء فى صحفنا اليوم أن أمريكا وانجلترا واستراليا تنصح رعاياها بمغادرة مصر وسوريا والأردن وإسرائيل . وأن جونسون رئيس الولايات المتحدة يرأس اجتماعات سرية لدراسة الموقف .

واستقبل جمال أيضاً أوثانت الذى وصل إلى القاهرة .

وطالب ديجول الرئيس الفرنسى بمباحثات على مستوى عال بين الأمريكان والسوفييت وانجلترا وفرنسا .

وأعلن الاتحاد السوفيتى تأييده للعرب وإدانة موقف إسرائيل .

الموقف يزداد تأزماً والحرب غالباً على الأبواب، هذا ما أراه.

الجمعة ٢٦ مايو ١٩٦٧:

سافرت يوم الثلاثاء الماضى ٢٣ مايو إلى الإسكندرية مع حسن إبراهيم وعبد الرؤوف نافع لتمضية عدة أيام بها حتى السبت ٢٧ مايو.

وهناك فى يوم الأربعاء ٢٤ مايو دارت بيننا مناقشة أثناء سيرنا على الكورنيش فى المساء. والظلام كان مخيماً على المدينة بسبب إجراء تجربة غارة جوية. وكان موضوع المناقشة ـ هل نكتب إلى جمال عبد الناصر برأينا فى الموقف مرة أخرى بعد أن طرأ عليه هذه الظروف الجديدة من سحب قوات الطوارىء الدولية، ومن إرسال مصر قوات عسكرية إلى شرم الشيخ، وماأعلنه جمال أيضاً فى القاعدة الجوية، وموقف إسرائيل من هذا الذى أعلنه ـ أم لا نعاود الكتابة إليه لموقفه من خطابنا السابق وعدم اهتمامه ولا اتصاله بنا ولو من باب المجاملة. ولم نصل فى هذه المناقشة إلى رأى نهائى ولكننا قررنا العودة إلى القاهرة فى اليوم التالى الخميس بعد أن تطور الموقف إلى هذه الصورة.

هل نكتب اليه..:

وفى القطار عاودنا مناقشة نفس الموضوع ورأينا تأجيل الكتابة إليه إلا إذا جد جديد، ذلك لأنه كان من الواجب علينا الكتابة إلى جمال يوم ١٨ مايو عندما قدرنا أن الموقف ربما يتدهور بعد أن طلب سحب قوات الطوارىء. وكان الرأى عندنا هو أن لا يتعجل جمال فى اغلاق مضايق تيران. وأن يعمل على تهدئة الموقف إلى وقت أكثر مناسبة لنا.

وبعد ظهر اليوم ـ الجمعة ـ أعدت التفكير ثانية فيما استقر عليه رأينا ورأيت أن الواجب الوطنى يتطلب منا الكتابة إلى جمال رغم موقفه من خطابنا السابق. وأن نقتصر فى الكتابة إليه هذه المرة بعد أن تطورت الأحداث على هذه الصورة إلى طلب أن يكون لنا دور فى المعركة التى نتوقع قيامها. ولقد أعددت مشروع خطاب إليه على هذا الأساس للاتفاق عليه مع كمال وحسن ولنوقع عليه سوياً.

وهذا نص الخطاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس الجمهورية

بعد التحية ،

اليوم وأمتنا تمر فى مرحلة من أدق مراحل تاريخها بعد ما قررتم استرداد حقوق سيادتنا على قطعة من أرض الوطن - على شرم الشيخ - ومزاولة حقنا فى السيطرة على الملاحة فى مضيق تيران - وثورة بعض الدول الغربية الاستعمارية وربيبتهم إسرائيل على ممارستنا لهذا الحق دفعهم إلى التآمر والتهديد باستخدام القوة ضدنا .

وأننا نرى أنه لزاماً علينا أن نشارك فى الذود عن حرية وطننا والدفاع عن حقوقه .

وأنه ليشرفنا أن نجد لنا مكاناً بين صفوف جنودنا فى الخطوط الأمامية حتى ننال شرف الجهاد عن وطننا - وهى أمنية طالما تمنيناها . وأننا نظن أن وطننا الآن فى حاجة إلى كل مجاهد ومقاتل فى سبيل حريته وعزته .

والله يوفقنا جميعاً وأن يحقق لنا النصر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد اللطيف البغدادى

٢٦ مايو ١٩٦٧

وفى هذا المساء قمت بزيارة الأخ كمال الدين حسين وعرضت عليه مشروع الخطاب لينضم إلينا فى التوقيع عليه إذا اتفق معنا ، وحتى لا نظهر وكأنه فى جانب وحسن وأنا فى جانب آخر . وكمال يرى أن خطابه السابق إلى جمال يؤدى الغرض . وأن الخلاف بين الخطابين هو أنه يود حمل السلاح عندما يحدث اشتباك . وأما مشروع خطابى فإنه يطالب بتحديد مكاننا فى المعركة من الآن وأننا فى انتظار الاستجابة لهذا المطلب منا .

وبعد المناقشة معه طلب منى أن أؤجل إرسال الخطاب إلى جمال حتى باكر

السبت لابداء رأيه فيه بصفة نهائية . وطلبت منه إبلاغى برده قبل الساعة الحادية عشر صباحاً لأنى لم أخبر حسن به بعد .

ولقد ألقى جمال كلمة اليوم أمام قادة العمال العرب ، وأعلن فيها أننا سندمر إسرائيل إذا بدأت هى بالعدوان . كما أعلن كذلك أن اللجنة التنفيذية العليا قد فوضته السلطة لتنفيذ الخطة حسب الوقت المناسب الذى يراه .

السبت ٢٧ مايو :

اتصلت بحسن إبراهيم الساعة العاشرة صباحاً واتفقت معه على أن يقوم بزيارتى عند منتصف الساعة الثانية عشر .

وحضر كمال الدين حسين إلى منزلى فى الساعة الحادية عشر . وكان عندى بعض الزوار . والحديث كان يدور بيننا بطبيعة الحال حول الموقف . واشترك معنا كمال فى الحديث ثم حضر حسن إبراهيم فانصرف الزوار .

وقمت بعرض مشروع خطابى على حسن ولكنه سألنى عن الدافع الذى جعلنى أغير من رأيى السابق فى عدم الكتابة إلى جمال ، فأجبته أن الواجب الوطنى يتطلب منا بعد أن هددت الدول الغربية وإسرائيل بإستخدام القوة ضدنا أن نكتب إليه وأن ننسى موقفه من خطابنا السابق وعدم اتصاله بنا . وأوضحت لحسن أيضاً الغرض من إشراك كمال معنا فى التوقيع على الخطاب ، حتى لا يظن جمال أننا منقسمون على بعضنا . وقد أكد كمال أن هذا هو السبب الذى دفعه أيضاً إلى الموافقة على التوقيع معنا على الخطاب الذى سنتفق عليه ونرسله إلى جمال .

وقال إنه لهذا السبب رأى أن يكتب مشروع خطاب آخر بديلاً لخطابى وفيه نفس الروح ولكنه عدل فيه بعض الشىء حتى لا يكون هناك تناقض بين خطابه السابق الذى ارسله إلى جمال وهذا الخطاب الذى سيوقع عليه معنا .

وقرأ كمال علينا الخطابين ـ ورأينا أن نأخذ بخطاب كمال مع إجراء بعض التعديل فيه . وكتبت الخطاب الذى تم الاتفاق عليه وسلم إلى حسن إبراهيم ليقوم بإرساله إلى جمال عبد الناصر بعد أن وقعنا عليه نحن الثلاثة .

وهذا هو نص للخطاب :

السيد رئيس الجمهورية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فقد جدت فى الموقف أمور - إذ طالعتنا الأنباء والتصاريح بأن هناك احتمالاً كبيراً فى أن تدخل إسرائيل المعركة ، وأن تستخدم أمريكا وبعض الدول الغربية القوة لفتح طريق الملاحة الإسرائيلية لخليج العقبة .

وفى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ أمتنا ينتظر الوطن من كل مخلص من أبنائه أن يؤدى واجبه كاملاً لنصرته والذود عنه - ولذلك فإن ضميرنا الوطنى يلزمنا بأن نتواجد فى الموقع الذى يتحتم علينا أن نكون فيه حيث نساهم فى التأهب للقاء العدو .

وإنا لفى انتظار تحديد موقع لنا فى هذه المعركة سواء فى جبهة القتال أو فى أى مكان ترونه حيث نتمكن من أداء واجبنا .

وختاماً نرجو الله أن يوفقنا جميعاً وأن يكتب لوطننا النصر والسلام .

البغدادى - كمال الدين حسين - حسن إبراهيم

السبت ٢٧ مايو ١٩٦٧ - القاهرة

الأحد ٢٨ مايو ١٩٦٧ :

اتصل بى حسن إبراهيم تليفونياً اليوم حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وأبلغنى أن جمال عبد الناصر يود مقابلتنا نحن الثلاثة باكر الاثنين ظهراً - عند منتصف الساعة الثانية عشر ، وتم الاتفاق على أن نجتمع ثلاثتنا فى منزل حسن قبل التوجه إلى منزل جمال بحوالى ساعة للتشاور فى الأمر قبل لقائه .

ولقد عقد جمال عبد الناصر مساء اليوم الأحد أيضاً مؤتمراً صحفياً حضره عدد كبير من الصحفيين الأجانب ووكالات الأنباء .

ولاحظت أنه فى إجاباته على أسئلة الصحفيين قد زاد من تشدده فى موقفه بالنسبة للملاحة البحرية فى مضايق تيران - وعدم السماح بمرور السفن

الإسرائيلية بها ولا السماح أيضاً بمرور المواد الاستراتيجية إلى إسرائيل وعلى أى سفن كانت.

وأبدى ترحيبه كذلك فى ملاقاة العدو عسكريا - وأظهر أن استعداده أصبح كاملا لملاقاة إسرائيل. وانه كان يعد نفسه منذ عشر سنوات مضت انتظارا لهذا اللقاء. وحاول أن يبعد امريكا عن المعركة بردوده الهادئة بالنسبة اليها. ولقد لعب جمال فى هذا المؤتمر دور البطل القوى الواثق من نفسه وساعده فى هذا تجمع العالم العربى كله من حوله ومساندتهم له فى هذا الموقف.

وقد نال جمال اعجاب الجماهير لهذا الموقف البطولى - معتقدين أنه قادر على اجتياح اسرائيل فى ساعات قليلة - متأثرين بهذا الدور الذى أجاد لعبه.

الاثنين ٢٩ مايو ١٩٦٧

اجتمعنا نحن الثلاثة فى منزل حسن قبل ذهابنا الى موعد جمال عبد الناصر بحوالى نصف ساعة.

ودار الحديث بيننا حول التصرف منا اذا ما طلب جمال أن نعمل معه كنواب لرئيس الجمهورية أو أعضاء فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى.

وكان فيه بعض التحفظات من كمال وحسن بأنهما استقالا لأسباب، وهذه الأسباب لا زالت قائمة - ويفضلان العمل كمستشارين مثلا فى هذه الظروف. وكنت أرى القبول دون أية تحفظات، وأن تكون مزاولتنا للمسئولية التى تعرض علينا مرتبطة فقط بالمعركة واستمرارها وأن تنتهى بانتهائها. وذلك حتى لا يكون موقفنا مناقضا للخطاب الذى أرسل منا الى جمال.

مشاركة النصر:

ولكننا خلصنا فى النهاية على أن جمال غالبا لن يتقدم الينا بمثل هذه العروض ذلك لأنه يعتقد أنه قد حقق نصرا وهو لا يريد أن نشاركه هذا النصر. كما وأنه لا يحب أيضا أن يظهر وكأنه فى حاجة الينا فى هذه الظروف. وهو فقط أراد من هذه المقابلة أن لا يؤخذ عليه تاريخيا - مع هذه الظروف التى تمر بها بلادنا - اننا مددنا يدنا إليه وهو لم يقابلنا بنفس تلك الروح الوطنية التى دفعتنا الى الكتابة اليه مرتين. وأن المقابلة معه لن تكون الا مقابلة مجاملة ليس الا.

بل وتناولنا بالحديث ما الذى سيقوله أيضا لنا . وقد صدق حدسنا فعلا .
وما حدث فى المقابلة أنه عندما دخل علينا فى حجرة صالون منزله وبدأ يسلم علينا كنت بالصدفة الأول فى السلام ، ولاحظت عليه أنه أطال النظر الى شعر رأسى . فسألته عن السبب الذى جعله يطيل النظر اليه .

فأجابنى ـ بأنه زاد بياضا .

فقلت ـ عجزنا .

فرد ـ أنا معجزتش .

واعتقد أنه أراد بذلك أن يشير الى ما كان قد جاء على لسانه فى مؤتمره الصحفى أمس ردا منه على سؤال لأحد الصحفيين الاجانب والذى سأله عما إذا كان لا يزال فى مقدورة مواجهة معركة عسكرية كما واجهها أثناء أزمة السويس بعد أن كبر سنه الآن .

وقد أجابه جمال على ذلك بقوله « اننى لست خرعا كأيدن » . اشارة منه الى الانهيار الذى كان قد حدث لأيدن على اثر معركة السويس

غير مسئول عن النتائج :

ولذلك عندما رد على بأنه لم يعجز فقد ذكرت بعدها نفس اجابته على ذلك الصحفى .

وقلت ـ « أصلك ما انتاش خرع زى ايدن » .

وضحكنا جميعا بعد هذا الحديث . وقد ساعد هذا فى إذابة الثلج الذى كان بيننا الى حد ما .

وبدأ جمال حديثة بأن ذكر أنه كان يود الاتصال بنا عندما ارسلنا اليه الخطاب الأول ولكن لم يكن لديه الوقت الكافى لكثرة مشاغله. وأشار الى التحفظ الذى كان قد ورد فى خطاب كمال اليه ، وقوله فيه « بصرف النظر » . وعقب على ذلك كمال بقوله أنه يقصد أنه لم يشترك فى تقدير الموقف وهو غير مسئول عن النتائج .

ولم يعلق جمال على ذلك انما استطرد فى الحديث قائلا « ان البلد بلدكم والثورة ثورتكم ، والواحد بيتخانق مع أخوه ومع مراته ، واحنا برضه بشر - يمكن كل واحد اختار له طريق يمشى فيه - ولكن البلد بلدنا كلنا - والثورة ثورتنا - وعلى العموم الموقف كويس ومطمئن » .

وأشار جمال الى خطابنا الأول وتقديرنا للموقف وذكر أن الخطة مبنية من الأساس على سحب قوات الطوارىء الدولية - والرجوع الى شرم الشيخ .

فقلت : اننا استنتجنا هذا يوم ١٨ مايو عندما طلبت مصر سحب قوات الطوارىء . واستفسرت منه عما اذا كان لدينا فرقتان عسكريتان فى سيناء أو أكثر .

فرد على باعتزاز قائلا - خمس فرق - منها فرقتان مدرعتان وثلاثة مشاة . وسألناه عن تقديره لموقف اسرائيل - وهل من المنتظر أن تتحرك عسكريا وتحارب . وهل لدينا أية معلومات تدل على ذلك . ولكنه استبعد هذا وذكر انها ان تحركت فلن يكون ذلك قبل ستة أو سبعة شهور . ولما استفهمنا منه عن موقف أمريكا - أجاب - ولا حاجة .

ولما سألته عما اذا كان ممكنا كسب القضية فى هيئة الأمم إن أحيل اليها موضوع الخلاف .

فرد بأنه مطمئن لذلك . وقد وجهت اليه هذا السؤال لاعتقادى أنه يؤزم الموقف مقدرا أن الموضوع سينتهى بأن يحال الى مجلس الأمن .

ولذا قلت بعد ذلك ربما تحاول اسرائيل الاستيلاء على قطاع غزة حتى تساوم به على شرم الشيخ إن أنتقل الخلاف الى هيئة الأمم .

فسكت جمال ولم يعلق على ما ذكرت .

ولما سألته عن موقف الاتحاد السوفيتى .

السوفيت مستعدون لمساندتنا :

أجاب - انهم مستعدون لمساندتنا الى آخر درجة .

فسألته ثانية - هل هم على استعداد للاشتراك فى المعركة ودخول حرب ثالثة من أجلنا لو تدخل الغرب.

فأجاب - انهم ابلغوا شمس بدران بمساندتنا عندما كان عندهم - ووافقوا على جميع طلباتنا - من ارسال طائرات بسرعة - وتسليح فرقتين - واحدة مدرعة - وواحدة مشاة.

وقال أيضاً إنهم أرسلوا لنا ليأخذوا رأينا فى زيارة اشكول رئيس وزراء اسرائيل لهم. وهو طلب منهم أن يقوم بزيارة لموسكو، ووافقنا.

فقال كمال - أنا خايف ليفهم أن مشاكلنا بتحل فى موسكو.

فرددت عليه بسرعة حتى لا يتكهرب الجو مع جمال من هذا الذى ذكره كمال بقولى ان براون وزير خارجية بريطانيا كان قد سافر اليهم وليس معنى هذا أن مشاكل بريطانيا بتحل فى موسكو.

وقال جمال أيضا أن الملك حسين قد طلب أن يأتى لزيارتنا. وألح على سفيرنا فى عمان حتى كاد يقبل... من أجل أن نوافق على قيامه بهذه الزيارة، وانه **على استعداد لتغيير حكومته بحكومة أخرى وطنية. وذكر جمال أنه وافق على** أن يقوم الملك حسين بهذه الزيارة لمصر ولكن دون اعلان عنها. وقال انه سيحضر باكر - وسينزل بطائرته فى مطار الماظة وليس فى مطار القاهرة الدولى. **وأشرنا فى حديثنا معه بعد ذلك إلى ظاهرة تجمع العرب ززحدتهم فى هذة الأزمة** وبصورة مشرفة لم تحدث من قبل.

نايم حبيت أصحيه:

فقال جمال تعقيبا على ذلك أصلى لقيت العالم العربى نايم ويائس - فحبيت أصحيه

وشاهدنا أثناء جلوسنا معه من نافذة الصالون حضور سيارته ووقوفها أمام باب المنزل - وهو كان على موعد للقاء أعضاء مجلس الأمة فى سراى القبة الساعة الواحدة بعد الظهر، بعد مسيرتهم التى كانوا سيقومون بها تحيه له. لذا استأذننا فى الانصراف حتى يذهب اليهم فى الموعد المحدد.

وذكر له حسن ابراهيم اثناء انصرافنا من عنده « احنا فى الخدمة ، ونحب نشارك فى المعركة » . ولكن جمال سكت ولم يرد بكلمة الأمر الذى جعل حسن لم يعرف كيف ينهى الحديث .

مناقشة . . احنا فى الخدمة :

وبعد وصولنا الى منزلى اشار كمال الى الجملة الأخيرة التى ذكرها حسن لجمال « احنا فى الخدمة » وقال إنه تضايق منها خاصة وأن جمال لم يرد عليه ـ ولم يحاول حتى مجاملة حسن فيما ذكر .

ولكن حسن رد على كمال بأنه كان يقصد ويعنى ما يقول ، وانه قصد بذلك أن يعطيه الكرة ـ على حد تعبيره ـ وأنه أراد أن يؤكد له بأننا نعرض خدماتنا حتى لا يقول بعد ذلك أنهم قابلونى ولم يفتحوا الموضوع .

ورد كمال عليه بقوله ـ اننا قد أشرنا فى خطابنا بما يحتم عليه هو أن يحدد العمل الذى يمكن أن نقوم به ان كان يرغب فى ذلك .

وحاولت انهاء هذة المناقشة التى ليس من تحتها طائل وفيها إحراج لحسن

فقلت إن حسن يقصد بما ذكره بأننا فى خدمة الوطن ، وانه يعيد عليه ما جاء فى خطابنا حتى يحرجة وليتضح موقفه وعدم استجابته لهذا المطلب منا حتى فى هذه الظروف .

والذى أثار دهشتنا أكثر من أى شىء آخر فى هذا الحديث الذى جرى بيننا وبين جمال هو اعتقاده أن الروس مستعدون لدخول حرب ثالثة من أجلنا ـ وكيف يمكنه أن يصدق مثل هذا القول .

وتناقشنا نحن الثلاثة فى هذا الأمر بعد أن عدنا من عنده الى منزلى . والرأى الذى توصلنا اليه هو أن الروس من صالحهم إعطاء هذا الانطباع لجمال ذلك لأنه هناك ثلاث حالات سيسفر عنها هذا الموقف المتأزم بيننا وبين اسرائيل ـ وروسيا هى التى ستستفيد فى كل حالة من هذه الحالات الثلاث .

والحالة الأولى : هى أن ينتهى الموقف باسترداد شرم الشيخ دون أن تقع

الحـرب ـ وسـيستفيد الروس بذلك دعائيا على الأقل فى المنطقـة العـربية بأن مساندتهم لنا كانت وراء هذه النتيجة .

وأما الحالة الثانية : هى أن ننتصر فى المعركة الحربية وتنهزم اسرائيل ـ وهذا بالطبع ستستفيد منه روسيا وسيدعم وجـودها فى المنطقـة بحجـة أنهـا كانت وراء هذا النصر الذى حققناه بما أمدته لجيشـنا من السـلاح وبتأييدها أيضـا لنا فى المعركة وفى المحافل الدولية .

وأما الحالة الثالثة : هى أن تقـع الحـرب وتكون فى غير صـالحنا وننهـزم أمام اسرائيل . وهنا أيضا ستستفيد روسيا لاحتياجنا اليها فى مدنا بالسلاح ومساندتها لنا فى الضغط على اسرائيل ـ وشدة احتياجنا اليهـا فى هذة الحـالة يسـاعدها فى زيادة سيطرتها علينا .

روسيا لن تجازف بالحرب :

هذة هى الحالات الثلاث المحتملة وروسيا مستفيدة فى كل حـالة منهـا . ولكن السؤال المحير هو كيف يمكن أن يصـدق جمال هذا الذى قام شمس بابلاغه اليه . وهو يعلم بالتأكيد أن روسيا لا يمكن ان تجازف بدخـول حـرب ثالثة من أجلنا . وكان من الأبدى للروس أن يدخلوها عندما اضـطرهم الرئيس كيندى الى سحب صواريخهم من كوبا . وما حدث فى هذة الأزمة كان موجهـا اليهـم مباشرة وليس الى دولة أخرى يقومون بمسـاندتها ، وابتلع الروس وقتهـا كبرياءهم تفـاديا لهذة الحرب رغم وجود حكم فردى فيهـا وهو خـروشوف . واما اليوم ومع وجـود قيادة جماعية فى روسيا فان الامر يزداد صـعوبة اكثر فى اتخاذ مثل هذه الخـطوة والصدام مع الغـرب من أجلنا والتعـرض لقيام حـرب ثالثة لا يعـرف إلا الله نتائجها ومدى خسائرها وذلك ليس من صالحهم .

الثلاثاء ٣٠ مايو ١٩٦٧

حضر اليوم الملك حسين ظهراً كما أخبرنا جمال أمس . ولم يعلن عن حضـوره إلا بعد الظهر . كما أعلن عن توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين الأردن ومصر .

الأربعاء ٣١ مايو

أعلنت إسرائيل عن تشكيل وزارة حرب .

وقدمت أمريكا إلى مجلس الامن مشروعاً تطالب فيه جميع الأطراف بضبط النفس .

السبت ٣ يونيو :

كنت مدعواً لتناول العشاء عند حسن إبراهيم بمنزله وبعض الأصدقاء وذهبت الى حسن قبل حضور الأخوان بنصف ساعه لأناقش معه الموقف . وأخبرته بالاشاعات الدائرة فى البلد ، وما كنت قد سمعته بأن الهجوم الليلة ، وأن الناس متوقعة الاشتباك فى أية لحظة . وأن اسرائيل لا بد أن تقوم بالهجوم بعد أن أعلنت التعبئة العامة وبعد أن قامت بتشكيل وزارة حرب . وأن خضوع أشكول رئيس وزراء إسرائيل وقبوله موشى ديان كوزير للدفاع رغم العداء الذى بينهما يؤكد ذلك ، والمعركة لا بد أن تكون قريبة .

وحاول حسن استبعاد هذا مقدراً أن اسرائيل لن تتحرك الآن . وحاولت أن أوضح له رأيى ومن أننى أعتقد أن اسرائيل لابد أن تفعل شيئا خاصة بعد توقيع إتفاقية الدفاع المشترك بيننا وبين الاردن . وأن كل تصرفاتهم توضح هذا الإتجاه .

اسرائيل لن تتحرك قبل ٧ اسابيع :

فأخبرنى حسن أنه كان قد اتصل بجمال عبد الناصر يوم الخميس الماضى - أول يونيو - تليفونيا ليخبرة برد فعل مقابلتنا له عند الرأى العام بعد نشر الخبر فى الصحف وأنه كان حسنا . وان جمال أبلغه بوصول عدة برقيات له من بعض الأشخاص تؤكد هذا المعنى الذى ذكره حسن . ويقول حسن إن الحديث دار معه حول الموقف . وأن جمال أخبره أنه لا يتوقع من اسرائيل أن تتحرك الآن ، وليس قبل سبعة أسابيع . واستوضحته لماذا سبعة أسابيع وليس أكثر وليس أقل . فقال هذا ما ذكره جمال .

الأحد ٤ يونيو

أعلن اليوم انضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والأردن. وألقى جمال كلمة بعد توقيع الاتفاقية - ومما جاء فيها «اننا ننتظر المعركة على أحر من الجمر».

الموقف يزداد حرجاً وتعقيداً.

الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧

فى الساعة التاسعة صباحاً إلا الربع سمعت من منزلى طلقات المدفعية المضادة للطائرات وبصورة كثيفة وكذا صوت انفجارات مكتومة من قنابل الطائرات يأتى من بعيد. أخبرت زوجتى أن الحرب قد قامت بيننا وبين اسرائيل إستنتاجاً مما أسمعه. وهى لم تصدق ما قلته لها. وفتحت الراديو لأستمع إلى الأخبار - وحوالى الساعة التاسعة والنصف اعلنت الإذاعة أن الطائرات الاسرائيلية تغير على بلادنا وتقوم بضرب جميع مطاراتنا فى الجمهورية العربية المتحدة - ومعنى ذلك أن الحرب قد قامت، وأن اسرائيل قد بدأت بالعدوان. وهى تحاول تدمير سلاحنا الجوى مستغلة عنصر المفاجأة.

١٥٠ طائرة على الأرض:

وأخذت الإذاعة تذيع من حين لآخر عن عدد الطائرات التى اسقطناها للعدو. واستمعت أيضا فى نفس الوقت من جهاز آخر اذاعة اسرائيل لأحصل على معلومات - وقد أذاعت أنها دمرت عدداً كبيراً من طائراتنا على الأرض. وذكرت أن عدد الطائرات التى دمرتها مائة وخمسون طائرة. وكانت الساعة حوالى العاشرة صباحا.

واتصل بى حسن ابراهيم تليفونياً وتكلمنا عما يجرى وطلبت منه الحضور الى منزلى. كما طلبت من كمال الدين حسين الحضور أيضا لمناقشة ما يجب علينا عمله فى هذه الظروف.

وحضر حسن ثم حضر كمال بعد ساعة وتأخر بسبب الغارات الجوية - أخذنا نناقش ما يجب علينا عمله. وطلبت أن نستبعد كرامتنا وحساسيتنا من الموضوع

بعد أن أثير أننا سبق ومددنا يدنا للتعاون معهم ، وكتبنا إليهم بذلك ، وأنهم وقفوا منا موقفا سلبياً ، وأن أى تحرك الآن من ناحيتنا للوقوف بجانبهم سيكون وكأننا نفرض أنفسنا عليهم .

ولكننا فى النهاية وجدنا أنه من واجبنا رغم هذا الموقف من جمال أن نعمل على الاتصال بعبد الحكيم تليفونيا وليس بجمال حيث أن عبد الحكيم هو المسئول عن المعركة حالياً . واتفقنا أن يقوم حسن بهذا الاتصال ويخبره بوجودنا نحن الثلاثة معاً فى منزلى . وبأننا نعتقد أن هذه المعركة كما هى معركتهم فهى معركتنا أيضاً . وأنه يهمنا أن نقف بجانبهم . وأن يسأله عما إذا كان ممكنا الذهاب إليه أم أنه مشغول .

يشرفه ان تذهب اليه :

وقام حسن بالاتصال بعبد الحكيم من منزلى بعد منتصف الساعة الثانية عشرة ظهراً بقليل وأبلغه بما تم الاتفاق عليه بيننا . ورد عليه عبد الحكيم بأنه يشرفه أن نذهب اليه .

وذهبنا إلى مبنى القيادة العامة للجيش بمدينة نصر ، وهو قريب من منزلى وتقابلنا مع عبد الحكيم فى الدور الخاص بالعمليات ، وسألناه عن الموقف ، وكانت الساعة حوالى الواحدة بعد الظهر . فأخبرنا بأننا أسقطنا للعدو حتى الآن ٧٣ طائرة .

خسرنا اغلب طائراتنا :

وسألناه عن خسائرنا فى الطائرات ـ فلم يحدد لنا العدد وإنما قال خسرنا أغلب طائراتنا ، ونحن لا نعرف عدد الطائرات التى لدينا حتى نقدر مدى الخسارة . وقام عبد الحكيم من على مكتبه عندما سألناه عما سيفعلونه بعد أن أصبحت قواتنا دون غطاء جوى كاف ، واتجه نحو خريطة معلقة على الحائط لصحراء سيناء وحدد لنا مواقع قواتنا المدرعة والمشاة عليها ، وبين لنا اطمئنانه الكامل لمركز هذه القوات ، وأنه قد وضع فى الاعتبار إمكانية الدفاع عن أنفسهم حتى لو لم يكن هناك غطاء جوى لهم يحميهم من هجمات طائرات العدو . وأشار إلى أن كل دبابة قد عمل حساب حمايتها من الطائرات المغيرة عليها

وذلك بعمل حفرة فى الأرض لنزولها فيها وبحيث لا يظهر منها إلا مدفعها فقط حتى يمكنها استخدامه .

وبعد أن شرح لنا خطة قواتنا المحتشدة فى سيناء ، وباختصار شديد ، واطمئنانه للموقف هناك تماماً ، أخبرناه أننا لا نريد إزعاجه فى عملة ونرغب فى أن نعمل شيئا . ولكنه رد بأن ليس هناك ما يشغله . وأن كل قائد قوة فى سيناء يعرف الأوامر التى لديه وما يجب عليه عمله . وأنه بعد أن تنتهى المعركة الجوية سنجده بدون عمل . وطلب منا أن نجلس معه .

يظهر أن أعصابه انهارت :

وفى أثناء وجودنا معه لا حظنا أن محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية كثير الاتصال به . وأنه لا يدير معركة جوية ، وإنما على ما يظهر يبكى له فى التليفون . ويظهر أن أعصابه قد انهارت ، لأننا لاحظنا أن عبد الحكيم كان يحاول تشجيعه ببعض الكلمات ، ويطلب منه مسك اعصابه ، ويشجعه بقولة كم عدد الطائرات التى أسقطناها حتى الآن ـ فيرد عليه بالعدد ـ فيردده عبد الحكيم بصوت مرتفع لنسمعه ـ ثم يقول له وزعلان ليه بأه بعد كده .

ثم يعود صدقى ويتصل به ثانية ، ويردد لعبد الحكيم ماسبق وأن قاله له ـ وأن استمرار موجات غارات العدو على مطاراتنا لا بد وأن يكون هناك طائرات اخرى امريكية وانجليزية تقوم بمساعدة الطائرات الإسرائيلية لأن العدو لا يملك هذا العدد من الطائرات . فيطلب منه حكيم إحضار ما يثبت له ذلك .

وفى مرة طلب صدقى عبد الحكيم . وأخبره أن طائرات العدو قد أغارت على مطار الأقصر وضربت طائراتنا هناك . وكانت بعض طائراتنا قد نقلت إلى هذا المطار بعد ابتداء الضرب صباح اليوم . وكانت أصلاً فى مطار بنى سويف . وقيل أن أحد الطيارين القدامى واسمه حسنى مبارك قد شاهد الطائرات المغيرة وهى من النوع الأمريكى ، وأنه يؤكد ذلك .

طلب بالبحث عن حل سياسى :

وطلب عبد الحكيم جمال عبد الناصر تليفونيا وأخبره أن عدد الطائرات المغيرة

كثيره جداً أكثر مما يملك العدو . وأن هناك طائرات أمريكية تغير على مطار الأقصر ، وقد تعرف عليها أحد الطيارين وهو طيار قديم وله خبرته . وطلب عبد الحكيم من جمال فى النهاية أن يبحث عن حل سياسى . ولكن جمال كان حريصاً ولم يتسرع ويأخذ برأى حكيم وإنما طالبه بأن يثبت له تدخح الطائرات الأمريكية . وأن يحضر له مثلاً طائرة منها يكون قد تم إسقاطها .

واتصل عبد الحَكيم بمطار الأقصر وتحدث شخصياً مع الطيار حسنى مبارك وسأله عن نوع الطائرات التى أغارت على مطارهم هناك ، وهل هى أمريكية أم إسرائيلية . فأجابه بأنها كانت اسرائيلية .

وقلت لعبد الحكيم إن كان هناك طائرات أمريكية وانجليزية تقوم بمساعدة إسرائيل فإن ذلك غالباً يكون بعمل غطاء جوى بها فوق أرض إسرائيل نفسها حتى تتمكن إسرائيل من دفع كل طائراتها فى الإغارة علينا . وحتى لا ينكشف أمر تلك الطائرات أيضاً ان سقطت احداها ، ولأن سقوطها سيكون داخل الأراضى الاسرائيلية فى هذه الحالة .

وقد لاحظنا منذ البداية أن حكيم هو الذى يحاول إدارة المعركة الجوية وليس هناك إدارة لهذه العمليات بالمعنى المعروف . وكان يحاول توجيه صدقى ويشد من أزره ويشجعه لأنه على ما يظهر قد فقد السيطرة على نفسه .

وكان حسين الشافعى قد حضر الى مكتب عبد الحكيم وهو معفر الثياب . وعلمنا منه أنه كان يرافق رئيس وزراء العراق الذى وقع على اتفاقية الدفاع المشترك فى زيارة للقاعدة الجوية بمطار فايد بالاسماعيلية . وأن المطار قد هوجم من الطائرات الاسرائيلية أثناء نزول الطائرة التى كانوا يركبونها إلى الأرض . وكانوا قد تركوا الطائرة وأخذوا يزحفون على الأرض بعيداً عنها للاختفاء من الطائرات المغيرة .

ولما سألته عن عدد الطائرات المغيرة على المطار فى الدفعة الواحدة ذكر أنها أربع طائرات ، وأن الفاصل الزمنى بين كل موجة وأخرى كان يتراوح بين عشر دقائق وخمسة عشر دقيقة .

ليسوا ألف طائرة :

ولما سألت عبد الحكيم عن عدد المطارات التى تهاجمها الطائرات الاسرائيلية ذكر أنها تسعة . وبعملية حسابية قدرت أن كل موجة من الطائرات المغيرة على مطاراتنا التسع تتكون من حوالى ٣٦ طائرة ، ولا يمكن أن تزيد عن خمسين طائرة . وإذا فرض أن هناك خمسون طائرة أخرى فى انتظار أن تقوم بدورها فى الاغارة على نفس الأهداف بعد أن تنتهى الموجة السابقة لها ـ وخمسون طائرة أخرى أيضاً فى طريقها إلى نفس الأهداف ، فيكون مجموع عدد الطائرات المستخدمة كلها حوالى مائة وخمسون طائرة . ومع التجاوز يمكن أن نقول حوالى مائتين أو مائتين وخمسون وليس ألف طائرة كما يذكر صدقى .

وكان صدقى قد حضر إلى مكتب عبد الحكيم ليقنعه بأن هناك طائرات أخرى غير إسرائيلية تقوم بالهجوم على مطاراتنا وقدر عدد الطائرات المغيرة بما يقرب من ألف طائرة . ولكننا أقنعناه بتلك العملية الحسابية أن ما يذكره مغالى فيه . ولكنه أراد أن يثبت أن اسرائيل ليس لديها طائرات ذات مدى يمكن أن يصل بها إلى مطار الأقصر . وأن الطائرات التى أغارت على المطار هناك غير إسرائيلية . ولكن بقياس المسافة بين مطار إيلات بإسرائيل ومطار الأقصر على الخريطة المعلقة على الحائط بمكتب عبد الحكيم تبين أن فى أمكان الطائرات الاسرائيلية أن تقوم بتلك الغارات مع استخدام خزانات وقود إضافية .

وطلب عبد الحكيم من صدقى قبل أن يغادر المكتب أن يعيد تنظيم (طائراته المتبقية لديه وكانت الساعة حوالى الثانية والنصف بعد الظهر .

وسألنا عبد الحكيم عن لماذا لا تصعد طائراتنا وتتصدى لطائرات العدو أو تغير على مطاراته لأننا لم نكن نسمع إلا هجمات طائرات العدو علينا ـ وكأنه ليس هناك دور لقواتنا الجوية . فقام باصدار أوامره إلى صدقى بالعمل على قذف ومهاجمة مطارات العدو بعد ظهر اليوم ـ وكان ذلك قبل أن ننصرف من عنده . وكانت الساعة قد قربت من الثالثة بعد الظهر .

وانصرفنا ونحن على اعتقاد بعد أن أصدر عبد الحكيم تلك الأوامر أن قواتنا

الجوية ستقوم بدورها فى تعقب طائرات العدو وضربها وتدمير مطاراته رداً على هجماته فى الصباح.

تهديد بالقتل:

وفى المساء عدنا إلى القيادة ووجدنا عبد الحكيم مشغولا بالاتصال بضابط فى مطار العريش اسمه اللواء الديب، ويطلب منه دفع مدفع ٥٧ ملم مضاد للدبابات من مطار العريش إلى بلدة العريش لأن دبابات العدو كانت قد وصلت إليها. ودهشت كيف وصلت دبابات العدو إلى العريش رغم انتشار قواتنا على طول الجبهة. وسألت مستفسراً عن هذا ـ ولكن لم يجبنى أحد عن هذا التساؤل منى. وكل ما قيل أنها لابد أن تكون قد تسللت عن طريق بعض الدروب أو الوديان.

واستمر عبد الحكيم يتابع الاتصال التليفونى مع هذا الضابط من حين لآخر ويسأله عما إذا كان قد أرسل المدفع أم لا. ويظهر أن هذا الضابط جبان لأنه يحاول الاحتفاظ بالمدفع للدفاع به عن نفسه. وقد استمر عبد الحكيم ثلاث ساعات يواصل الاتصال بهذا الضابط من حين إلى آخر ولكن دون فائدة. وكان عبد الحكيم يهدده بأنه سيقتله إن لم يرسل المدفع إلى بلدة العريش حتى أصبح موضع تفكه بيننا.

وزاد اندهاشنا كيف يمكن لقائد عام كعبد الحكيم أن يشغل نفسه بموضوع مدفع طوال هذا الوقت. وأين القيادات المحلية. وتذكرنا عام ١٩٥٦ أيام معركة السويس وكيف كانت تدار.

وسألنا عبد الحكيم عما اذا كانت طائراتنا قد قامت بواجبها وهاجمت طائرات العدو ومطاراته بعد الظهر تنفيذاً لأوامره التى أصدرها. ولكنه أبلغنا أنها لم تصعد ولم يشأ أن يخبرنا عن السبب فى ذلك.

زمان يا سلاحى:

وفى هذه الأثناء حضر جمال عبد الناصر إلى مكتب عبد الحكيم. وتصافحنا وجلس معنا وقال « وله زمان ياسلاحى ». وقال لعبد الحكيم بعد أن جلس نفس فكرة الغطاء الجوى لسماء إسرائيل بطائرات أمريكية وانجليزية واستبعد قيامها

بغارات علينا . ولكن عبد الحكيم أخبره بأننا أسقطنا طائرة أمريكية فى ترعة الإسماعيلية . وأكد له جمال أنه تبين إنها اسرائيلية وليست أمريكية . وطلب من عبد الحكيم الإتصال بالمهندس مشهور أحمد مشهور رئيس هيئة قناة السويس ليتأكد بنفسه منه عن صحة الخبر . وفعلاً اتصل به عبد الحكيم وأكد له مشهور أنها طائرة إسرائيلية .

وطلب جمال من عبد الحكيم أن يطمئنه على قطاع غزة . وذكر أنه يعتقد أن اسرائيل سيكون هدفها الاستيلاء عليه وذلك حتى يمكنها أن تساوم به مقابل شرم الشيخ .

ثم سأل جمال عبد الحكيم عن خسائرنا فى الطائرات ولكن حكيم تهرب من الإجابة عليه بحجة أن بيان الخسائر لم يصله بعد . وبعد الحاح من جمال نظر حكيم إلى كشف أمامه على المكتب وقال المتبق لدينا ٤٧ طائرة منها ٣٥ طائرة صالحة للاستعمال والباقى فى التصليح ويمكن استخدامها بعد أن يتم تجهيزها . وسكت جمال ولم يعلق بشىء وإنما سأله عن الموقف فى الجبهة . وكان حكيم يتهرب من الرد بأن يشغل نفسه فى الرد على التليفون ويعطى أوامر فرعية وصغيرة جداً ولا يصح أن يشغل نفسه بها كقائد عام .

ولكن بعد فترة قدم شمس لجمال تقريرا كان موجودا على مكتب حكيم وقال له «سير العمليات » .

جمال يطلب ١/٤ ساعة من حكيم :

وأخذه جمال وجلس على طرف مكتب عبد الحكيم وأخذ يتطلع إلى ما جاء فيه ـ وأنا أرقبه ـ وبدأت تظهر على وجهه علامات عدم الارتياح التى أعرفها عنه .

وفى أثناء اطلاعه عليه نظر إلى عبد الحكيم وقال له « إن خان يونس سقطت ورفح المدينة محاصرة ـ والاتصال بها مقطوع ـ وغزة تهاجم » .
ثم قال لعبد الحكيم « لابد لنا أن نعرف الموقف على حقيقته لأنه على ضوئه سنأخذ قرارنا على الاقتراحات المقدمة إلى مجلس الأمن » .

وكان الاقتراح المقدم فى مجلس الأمن الليلة هو انسحاب جميع القوات المتحاربة والعودة إلى الخطوط التى كانت عليها قبل ٤ يونيو - والسماح أيضاً بحرية الملاحة فى شرم الشيخ .

ولكن عبد الحكيم ظل رغم طلب جمال يشغل نفسه بالرد على التليفونات . وطلب منه جمال أكثر من مرة أن يتفرغ له ولو لمدة ربع ساعة ولكن دون فائدة فهو مستمر فى الانهماك فى الرد على التليفونات . وكأنه كقائد عام ليس لديه (staff) مساعدين للقيام بهذه الأعمال البسيطة .

والغريب والملاحظ أن اتصالاته كانت بضباط فى الجبهة مسئوليتهم محدودة - ولم يتصل - ولو مرة واحدة بقائد الجبهة هناك عبد المحسن مرتجى ليسأله عن الموقف وتطوراته أو ليعطيه توجيهاته بعد أن تطورت المعركة إلى هذه الصورة التى نلاحظها .

وفى النهاية بعد أن فرغ صبر جمال قام ودخل إلى حجرة النوم الملحقة بمكتب عبد الحكيم .

وبعد فترة دخلت إلى الحجرة للذهاب الى دورة المياه وهى من داخلها - فوجدت جمال نائماً على السرير ضاجعاً ، وعلى ما يظهر يفكر فى المأزق الذى أصبحنا فيه وكيفية الخروج منه - ورحب بى عندما شاهدنى داخلاً الغرفة - فقلت له مجاملاً إنشاء الله ربنا سيوفقنا - وقلت هذا لشعورى بخطورة الموقف وعواقبه . وهو لابد أيضاً يشغل باله : فرد على بأنه حضر إلى هذه الغرفة ليتصل تليفونيا بمكتبه . واعتقد أنه ذكر هذا لى حتى ينفى ظنى من أنه متألم للصورة التى وصلنا إليها من أول يوم فى المعركة .

ولكننى قلت « إننى ألوم القوات الجوية - وكان يمكنها أن نقوم بدور أحسن من كده بكتير ولا تضرب بهذه الصورة » .

قال : إن القيادة حصل لها Paralization شلل .

قلت : « أننى لاحظت فى الصباح أن أعصاب القيادة كانت مهزوزة ومنهارة » وأقصد بذلك صدقى .

وسكت جمال . وجاملته بكلمتين . ودخلت إلى دورة المياه وخرجت منها ولم أتحدث إليه .

نقول أننا توغلنا فى أرض العدو :

وبعد وقت قصير خرج جمال من غرفة النوم ، وطلب من عبد الحكيم أن يرسل شيئاً للصحف عن المعركة لتعرف الناس الموقف على حد قوله . وذكر « أن نقول مثلاً أننا توغلنا فى أرض العدو وخلافه ـ لأن العدو يذيع بيانات عن المعركة ونحن لا نذيع شيئاً » .

ثم قام بعد ذلك وقال « أظن نروح ننام ونسيب عبد الحكيم يشتغل » . وكانت الساعة بعد منتصف الليل بنصف ساعة .

وانصرف جمال وانصرفنا من بعده مباشرة .

وعلقنا على الموقف ـ كمال وحسن وأنا ونحن فى طريقنا إلى المنزل ـ بأن المعركة تدار بنفس طريقة إدارة المعركة سنة ١٩٥٦ بعد تأميم القناة ـ عبد الحكيم يهتم بصغائر الأمور وكأنه ليس قائداً عاماً ـ الموقف ينذر بالخطر ـ سلاحنا الجوى أنتهى ـ الصورة مظلمة ـ وتشاءمنا من النتائج .

الثلاء ٦ يونيو ١٩٦٧ :

استمعت إلى إذاعة إسرائيل . ومن ضمن الأخبار التى أذاعتها سقوط خان يونس ـ ورفح ـ وأنهم على أبواب غزة . وأذاعت أيضاً سقوط أم أكتاف وأنهم يهاجمون القسيمة . وان عدد الطائرات التى دمرت لنا على الأرض وفى الجو ٣٠٠ طائرة . ولا أعرف هل هذا الرقم صحيحاً أم لا لأن عبد الحكيم لم يخبرنا أمس بخسائرنا فى الطائرات وإنما ذكر المتبق منها فقط . ولست أعلم عدد الطائرات التى عندنا . ولم نشأ أن نسأله أمس للتحفظ الواضح من جانبه نحونا .

هذه الأخبار هزتنى رغم تقديرى أن قطاع غزة صعب الدفاع عنه لعدم وجود عمق فيه . وهزنى أيضاً عدد الطائرات التى دمرت وأسقطت فى يوم واحد . إنه شىء لا يعقل .

ثم حضر حسن وكمال إلى منزلى وأخبرتهما بما سمعته من إذاعة اسرائيل . وقد رددته إذاعة لندن . وذهبنا إلى مكتب عبد الحكيم . وبعد فترة من جلوسنا أخبرته بما سمعته من إذاعة اسرائيل وسألته عما اذا كانت أم أكتاف سقطت حقيقة فنظر إلىّ ولم يشأ أن يؤكد الخبر أو يكذبه .

ثقلاء :

إننا نحس من تصرفاتهم معنا أننا ثقلاء عليهم وغير مرغوب فينا . إننا نتألم لهذا الموقف منهم ونتحمله لأنه ليس من المعقول أن تكون بلدنا فى حرب ونحن جلوس فى منازلنا . ولم يحدد لنا عمل نؤديه رغم طلبنا ذلك قبل أن تبدأ المعركة . ورأينا أن نكتفى بوجودنا جانبهم إرضاء لضمائرنا فربما يأتى الوقت الذى يمكن الاستفادة بنا . إننا نحس من عبد الحكيم أنه يتعمد إخفاء المعلومات عنا . وكل ما نعرفه كلمة من هنا وكلمة من هناك دون أن تتضح لنا الصورة كاملة . وهو لم يشأ أن يقول لنا الموقف ولو بصورة عامة ، وما هى الخطوات التى سيتبعونها . ورضينا بكل هذا وقررنا أن نستمر فى الذهاب إلى هناك .

وفى أثناء جلوسنا فى مكتبه علمنا أن طائرات العدو ومدرعاته تهاجم مدرعاتنا فى القسيمة . وعلى ما يظهر أنهم يخشون أن ينجح العدو فى فتح ثغرة بين خطوطنا .

وكانت الشكوى أن طائرات العدو تشدد هجماتها على قواتنا وليس هناك من طائرات لنا للتصدى لها .

الموقف استمر على هذه الصورة حتى انصرافنا ظهرا .

الموقف يزداد سوءا :

أننا نشعر أن الموقف يزداد سوءا - وأن القيادة غير قادرة على التصرف ، وهى لا تعمل على تحريك مدرعاتنا لسد هذه الثغرة خوفا من هجوم الطائرات عليها .

وعدنا فى المساء إلى مكتب عبد الحكيم ووجدنا زكريا محى الدين هناك - وسألته عن الموقف وأخبار المعركة . ففجأنى بقوله « قررنا الإنسحاب العام وأن تنسحب قواتنا إلى غرب قناة السويس » .

وكان وقع هذا الخبر على نفسى كوقع الصاعقة ولم أصدق ما أسمع .

وسألته عن السبب فى هذا القرار الخطير .

فقال : أن الطائرات تصطاد مدرعاتنا وهى فى الصحراء مكشوفة لها ، ولابد أن تنسحب إلى المناطق الزراعية حتى يمكن إخفائها عنها .

فقلت دون أن أدرى ـ دى فضيحة ـ ده عار .

فرد علىّ بقوله : المسألة ليست مسألة كرامة ولا شهامة إنما المطلوب هو إنقاذ أولادنا . والعدو دمر لنا فرقتين .

فقلت : أن رومل انسحب فى الصحراء ١٥٠٠ ميل ، وعبر البحر مرتين دون غطاء جوى ، والهجوم كان عليه من ناحيتين من تونس والعلمين ونجح فى انسحابه ـ وتكتيكه معروف فى الدفاع عن مدرعاته دون وجود غطاء جوى له .

فرد : بأن أوكلنك كان عندما لا يتوفر لديه غطاء جوى يجرى بمدرعاته حتى يصبح خارج مدى طائرات العدو .

هو الذى أخذ القرار :

فسألته عن رأى جمال عبد الناصر فى هذا الإنسحاب .

فقال : هو الذى أخذ القرار لينقذ أولادنا .

وأخذت أردد كلمة العار والفضيحة .

فقال : هذا شىء انتهى وأصبح جزءا من التاريخ .

وحاول كمال حسين من جهة أخرى إقناع عبد الحكيم بالصمود والقتال ، وكان يصيح به أن لدى الفرقة المدرعة من قوة النيران ما يمكنها من أن تدافع عن نفسها ضد غارات الطائرات . ولكن عبد الحكيم أصم أذنيه عن سماع كلام كمال وإلحاحه بالصمود .

وكان عبد الحكيم دائم الاتصال بقياداته فى الجبهة ويصدر إليهم أوامر الانسحاب ويظهر أنه لم يكن هناك خطة للانسحاب . وكانت أوامره لكل من اتصل به ـ الانسحاب ليلا ومحاولة الوصول إلى غرب قناة السويس قبل طلوع النهار ـ وترك أسلحتهم الثقيلة والاكتفاء بالخفيفة منها ـ وأن يسيروا فى مجموعات صغيرة متفرقة .

ضاع الشرف :

وقد شاهدنا مأساة وهى تجرى أمامنا ضاع فيها الشرف والمستقبل .

وجلسنا نتحدث همسا عن هذا الانهيار أو عن هذه الصورة المخزية وقلبنا ينفطر ألما وحزنا . ولم أحس بمعنى انفطار القلب إلا الليلة . وكنت أعتقد أنها كلمة لا تدل على معناها ولكنه اتضح لى أن الإنسان يشعر فعلا بهذا الإحساس ، وأنه حقيق عندما يكون الألم شديدا وعاصفا .

جلسنا ولم نعرف كيف نتصرف ـ ليس لنا الحق فى ابداء الرأى ومناقشة آراء الآخرين . فجلسنا وكأننا فى مأتم تماما . الجو ثقيل والمستقبل مظلم والخزى ينتظرنا جميعا .

وفى النهاية قررنا أن نخرج من هذه الغرفة التى تقرر فيها مستقبل أمة ومصير شعب وحكم عليه بالخزى والعار مدى الدهر .

وخرجنا وذهبنا إلى منزلى وجلسنا وأخذنا نتحدث عن صورة المستقبل المظلمة وهذه الكارثة التى حلت بنا . وكيف لا تقاتل هذه القوة الضخمة وتمحى من الوجود وهى فى أماكنها ـ انه أشرف لها ألف مرة عن هذا الانسحاب المزرى .

تحطيم الآلهه :

أننا نشعر وكأننا فى حلم . كابوس رهيب . هل يدمر سلاحنا الجوى فى يوم ، وتدمر قواتنا الأرضية فى يوم واحد آخر . هل هذه القوة الضخمة لا تصمد أكثر من ٣٦ ساعة .

وأخذنا نعود بذاكرتنا إلى التصرفات فى الجيش ، وأسلوب الحكم ، وهذه هى نهاية كل نظام مثل هذا النظام ـ ومقامرة جمال عبد الناصر بمستقبل أمة بأكملها فى سبيل مجده الشخصى . وكنا نعرف من قبل أنه يقامر وكنا نندهش من هذا التصرف . وهو كان قد قدر أنه سيحقق نصرا يرفعه إلى السماء دون أن يخسر شيئا . فجاءت النهاية ـ نهاية نظامه ، وخزى وعار على الأمة ـ ربما يكون خيرا من يدرى . ربما أراد الله انقاذ هذه الأمة من استعباد جمال لها ومن تأليههم له . واستمرار هذه الصورة كان سيؤدى بها إلى أسوأ مصير . فربما أراد الله بهذه الأمة أن تصحو من غفوتها وتحطم الآلهه ـ وتصحو لنفسها ، وأن لاتدع شخصا آخر يسيطر عليها كما سيطر جمال ـ من يدرى .

وقدرنا هذا المساء أن جمال وعبد الحكيم لابد أن ينتحرا بعد هذا الذى جرى ، وليس أمامهما مفر من ذلك .

ورأينا عدم الذهاب باكر إلى مكتب عبد الحكيم ، فالأمر قد انتهى ونحن فى انتظار ما يأتى به الغد ، من صور سوداء مظلمة لايعرف مداها إلا الله .

الأربعاء ٧ يونيو :

حضر حسن وكمال إلى منزلى وأخذنا نتحدث فى الكارثة التى حلت ببلدنا والمستقبل المظلم الذى ينتظرها ـ ونعود ونردد ما سبق أن قلناه عن المأساة التى نحن بصددها ـ وكأننا تحت كابوس ضخم . ورأينا أنه من الأفضل أن نذهب بعد الظهر إلى مكتب عبد الحكيم ولا ننقطع عن الذهاب حتى لايؤول عدم ذهابنا إلى معنى آخر لا نحب أن نتصف به .

ليس من المعقول ترك سيناء :

وذهبنا فى المساء وعلمنا عندما وصلنا من عبد الحكيم أنه قرر أن تتخذ قواتنا المنسحبة موقعا لها فى المنطقة المحصورة بين بير الجفجافة وبير جبل الحسن لمقاومة القوات الاسرائيلية المتقدمة داخل سيناء . وورد على لسانه أنه ليس من المعقول ترك سيناء لإسرائيل . فأسعدنا هذا الخبر وعاد إلينا الأمل . وقال عبد الحكيم أن فرقة مشاة قد تمركزت فى هذه المنطقة . وأن الفرقة الرابعة المدرعة فى طريقها إلى هذا الموقع أيضا حتى يمكن استخدامها كقوة ضاربة . وهذه الفرقة كانت قد عبرت القناة إلى الضفة الغربية منها ولكن صدرت إليها الأوامر بالعودة إلى هذه المنطقة . وسمى عبد الحكيم هذا الموقع الذى تمركزت فيه هذه القوة بالخط الثانى ولو أنه لم يكن معدا من قبل كموقع دفاعى . وسعدنا بما سمعناه لأننا سنقاتل ونخسر المعركة بشرف . وقال عبد الحكيم أيضا أنه اضطر لارجاع بعض القوات التى كانت قد عبرت القناة ثانية إلى سيناء لأخذ مكانها فى هذا الموقع ، وأنه حدث بعض الفوضى والاضطراب نتيجة هذا الموقف .

مقابلة السفير السوفيتى :

ولما سألنا عبد الحكيم عن السبب فى اتخاذ هذا القرار الجديد ـ أجاب بأنه

كان قد قابل السفير السوفيتى أمس وطلب منه أن تعمل روسيا على أخذ قرار من مجلس الأمن بايقاف القتال وعودة قوات كل بلد إلى مواقعها السابقة لتاريخ ٥ يونيو مع موافقتنا على توفير حرية الملاحة فى مضايق تيران . ويقول ـ ولكن السفير الروسى عاد إليه وأبلغه أن القرار سيكون ايقاف القتال فقط ، وعلى أن تبق قوات المتحاربين فى الأماكن التى وصلت اليها . ويستطرد عبد الحكيم ويقول ـ ومعنى هذا هو تسليم سيناء لليهود ـ ولذا ـ قررنا الصمود والقتال حتى لا تصل القوات اليهودية إلى ضفة قناة السويس .

واتصل عبد الحكيم أثناء وجودنا بقائد الجبهة الشرقية الفريق عبد المحسن مرتجى وعلم منه على ما يظهر أن الفرقة الرابعة المدرعة قد وصلت إلى مواقعها فقال له حكيم « برافو » وكأننا قد حققنا النصر . ولم يسبق لنا أثناء تواجدنا بمكتب عبد الحكيم طوال الفترة الماضية أن سمعناه يتصل بمرتجى ـ وهذه هى أول مرة .

الرمانة :

وحضر إلى مكتب عبد الحكيم الأخ عبد المنعم أمين وهو كان عضوا فى مجلس قيادة الثورة فى بداية قيامها وذكر لنا عند حضوره أنه سمع فى إذاعة صوت أمريكا اليوم ومن حوالى ساعتين أن اسرائيل تدعى استيلاءها على بلدة الرمانة التى تقع على الطريق الساحلى الموصل بين العريش والقنطرة ـ وهى لا تبعد الا ٣٢ كيلو مترا عن الضفة الشرقية لقناة السويس ، ومعنى هذا أن قوات العدو أصبحت بالقرب من القناة وعلى وشك تهديد مدينتى القنطرة وبور فؤاد . ولم يكن عند عبد الحكيم علما بهذا . وبالسؤال علم بعد حوالى ساعتين أن هناك فعلا طابورا من قوات العدو ومتقدما نحو بلده الرمانة ، ويقدر أن به ١٦ دبابة . فأخذ عبد الحكيم يرتب كيف يمكن إيقافه ـ وتناقش فى هذا مع صدقى قائد القوات الجوية لضرب هذا الطابور بالطائرات . وابدى صدقى استحالة هذا ليلا . فاستبعد عبد الحكيم هذا الحل . وطلب من ضابط البحرية الموجود بهيئة مكتبه واسمه عبد الرحمن فهمى أن تقوم البحرية بضرب هذا الطابور بالصواريخ . وابدى له هذا الضابط صعوبة تحقيق ذلك لأن المسافة التى ستكون بين زورق الطوربيد الذى سيقوم باطلاق الصواريخ ومكان الطابور

حوالى ثلاثين كيلو مترا على الأقل. وهو يخشى أن ترتطم الصواريخ بإحدى التباب الموجودة بالقرب، من الساحل. ورأى عبد الحكيم أخيرا تحريك قوة عسكرية من القنطرة والاسماعيلية للتصدى لهذا الطابور الاسرائيلى.

وكان السؤال الذى يدور فى أذهاننا أثناء هذا هو كيف أمكن لمثل هذا الطابور أن يتوغل إلى هذه المسافة داخل أراضينا دون علم به من القيادة العسكرية المصرية. ولكن هكذا تدار المعركة التى سيتقرر على نتائجها مصير أمة ومستقبلها.

ورأينا أن نتصرف بعد ما حضر زكريا وحسين الشافعى وثروت عكاشة - ووجدنا الحجرة وقد امتلأت بالوافدين. ولكن عند انصرافنا طلب عبد الحكيم من كمال الدين حسين أن يبقى معه الليلة - فتركناه معه وانصرفنا.

الخميس ٨ يونيو:

المسئول الأول:

لم نذهب إلى القيادة فى الصباح. واجتمعت مع حسن فى منزلى وحضر بعض الأصدقاء. ولم يكن لنا من حديث الا ما يجرى فى ميدان المعركة. والأخبار التى تتجمع لدينا من هنا ومن هناك عن سوء الموقف وتأزمه. وأن النهاية تقترب يوما بعد يوم بل ساعة بعد ساعة. والكل يتألم ونكاد نموت حزنا وألما وأسى على ما ضاع - وهو أغلى شىء فى الوجود - الشرف. ونتساءل عن الأسباب التى ساعدت على هذا الانهيار بهذه السرعة فلم نجد الا جوابا واحدا - وهو نظام الحكم - اسلوب جمال فى ادارة دفة الأمور فى هذه البلاد - هو المسئول الأول - هذا هو الأصل دون الدخول فى تفاصيل فرعية - مع عدم اعفاء عبد الحكيم من المسئولية طبعا لأنه كان عاملا اساسيا فيما وصل اليه الجيش من انحلال وضعف.

وكنا نتحدث عن كيفية الخروج من هذا الظلام، وكيف يمكن المحافظة على شرف بلادنا. فكنا لا نجد الا الظلام يحيط بنا من كل جانب وليس هناك بثق من نور - نلف وندور فى حلقات مفرغة فى حديثنا عن الكارثة التى حلت بنا - ومن المسئول عنها وكيف الخروج منها - حديث معاد طوال الوقت.

وانتهت زيارة الاصدقاء ودق التليفون . وكان المتكلم كمال الدين حسين .وكانت الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر . وقال لى أنه سهر أمس فى القيادة وتركها إلى منزله فى الساعة التاسعة والنصف صباحا ـ أى صباح اليوم ـ ونام له بضع ساعات . وانه سيمر على بمنزلى وهو فى طريقه الى القيادة حوالى الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر .

وقد حضر الى منزلى حوالى الساعة الرابعة واخبرنى بتفاؤله . ومن أن قواتنا فى المكان الذى يقولون عنه أنه الخط الثانى . وقد ردت أمس طابورا اسرائيليا واشتبكت معه . واخبرنى أن القوة التى قيل عنها أمس أنها موجودة فيما سمى بالخط الثانى ليس صحيحا . وأن كل هذه المعلومات افتراضية . وقد تبين له هذا أثناء وجوده بالقيادة طوال ليلة أمس . ويقول ان المعلومات كانت متضاربة . وأن كل من يعمل مع عبد الحكيم يكذب ولا يذكر الحقيقة . وقد اتضحت له هذه الصورة من مناقشاته معهم أثناء الليل . ولكنه قال « على العموم القوة الموجودة ستقاتل ، وسنخسر المعركة ، ولكننا سنخسرها بشرف » . وان هذا هو ما اراد أن يخبرنى به قبل ذهابه إلى القيادة . وأخبرته بأننى سأحضر مع حسن إلى القيادة حوالى الساعة السابعة مساء .

نهاية كفاح سنين طويلة :

وفى الساعة السادسة مساء اتصل بى كمال تليفونيا من القيادة وسألنى لماذا لم أذهب إليهم ـ وشعرت من حديثه أنه فى حالة يأس شديد . وقد تبين لى هذا من صوته والحاحه الشديد على بالذهاب فورا . واتصلت بحسن وطلبت منه أن يحضر الى بسرعة لنذهب إلى القيادة وأبلغته بحديث كمال واحساسى بأنه فى حالة معنوية سيئة . ومر على حسن وذهبنا سويا . »

وعندما دخلت مكتب عبد الحكيم توجهت إلى كمال وسألته عن الموقف . فقال وهو فى حالة يأس شديد « اننى عندما حضرت الى هنا بعد المرور عليك ـ علمت عند وصولى أنهم قرروا الانسحاب نهائيا من سيناء ـ والطائرات الاسرائيلية تهاجم قواتنا المكشوفة بالصحراء بصورة قاسية » . وانضم إلينا حسن أثناء هذا الحديث ـ وشعرنا وكأن كل منا يقول للآخر دون أن يتحرك لسانه أنها النهاية ـ

نهاية كفاح سنين طويلة ـ أضاعها طموح فرد فى سبيل مجده الشخصى ـ وأضاع شرف أمة وهو أغلى ما يمكن فى الوجود ـ واحتل جزء من أرض الوطن الغالى بمن ؟ باليهود ـ يا للعار الذى لن يمحى أبد الدهر.

جمال يبتسم :

وفى أثناء انتظارنا حضر جمال عبد الناصر ودخل الحجرة ومن خلفه محمود الجيار .دخل جمال عبد الناصر يبتسم والجيار فاغرا فاه بالابتسامة ـ فدهشت وتساءلت بينى وبين نفسى هل يمكن لإنسان فى مثل مسئوليته أن يبتسم فى مثل هذه الظروف ـ يبتسم على ضياع مستقبل وشرف أمة بأكملها ـ وهو المسئول الأول عن هذا ـ ولم أصدق ما أراه بعينى.

همس بضرورة الانتحار :

وجلسنا دون أن نتكلم ـ وكل منا يهمس فى أذن الآخر ـ لابد أن ينتحر جمال أو يستقيل فورا على الأقل ـ وأن ينتحر عبد الحكيم ، وشعرنا بالكابوس وقد ازداد ضغطه على كل من بالغرفة حتى اننا كنا نشعر أننا نكاد نختنق ولا نستطيع التنفس ـ ورغبتنا فى الانصراف من هذا الجو ـ ولكن رأينا أن ننتظر قليلا حتى لايساء فهمنا فى هذا التصرف.

ودخل ـ وبعد أن سلم علينا قال لعبد الحكيم ببساطة « أن استراتيچية اليهود مكتوبة اليوم فى جريدة انجليزية ـ انهم يودون احتلال بور سعيد لضمان حرية الملاحة لهم فى قناة السويس ». فدهشت من أن رئيس الدولة والذى قرر الحرب لم يعرف استراتيچية العدو من قبل ولم يتبينها إلا اليوم من جريدة انجليزية.

واستطرد جمال عبد الناصر فى الحديث موجها كلامه إلى عبد الحكيم « اليهود ـ زى ما احنا تعبانين هم تعبانين أيضا ـ ويمكن التصدى لهم ـ ويمكنك استخدام الدبابات الخاصة بالحرس الجمهورى » وعدد هذه الدبابات كما سمعت ستون دبابة.

قواتنا عبرت القناة :

ونظر إليه عبد الحكيم بعد هذا الحديث منه لفترة دون أن يتكلم ثم قال مشيرا بيده « قواتنا عبرت القناة ».

فسأله جمال عن القوة المتبقية منها فى سيناء والتى لم تعبر القناة بعد. فرد عبد الحكيم عليه بأن المتبق منها أفراد فقط وليس لديهم من أسلحة إلا أسلحتهم الصغيرة.

فسكت جمال عبد الناصر - ثم بعد فترة طلب أن يتصلوا بزكريا محى الدين ليحضر إلى مكتب عبد الحكيم.

وحضر زكريا بعد مدة وجيزة من طلب جمال. وكنا جميعا فى صمت خلال هذه الفترة. ولما حضر زكريا بدأ جمال يتكلم معه عن المقاومة الشعبية وعمل ترتيبها فى مدن الاسماعيلية والسويس وبورسعيد. وسأل عن عدد البنادق المتوفرة التى يمكن توزيعها على أفراد المقاومة فتبين أنها ٢٥ ألف بندقية ولكنها فى حاجة إلى ذخيرة. وسأل جمال وزير الحربية شمس بدران عن الذخيرة التى يمكن توفيرها - فاتصل بدوره بمدير التسليح تليفونيا يسأله - وفى أثناء حديثه معه قال له « هات كشف بها وتعالى » فرد عليه بأنه فى مدينة الاسماعيلية - وفهمنا ذلك لأن شمس كرر قوله - فضحك جمال عبد الناصر.

شمس وديان :

وكنت دائم القول لحسن وكمال تصوروا أن شمس هذا هو المسئول عندنا والمقابل لموشى ديان عند اليهود - كنت أذكر هذا كلما ذهبنا إلى مكتب عبد الحكيم. وكان شمس طوال أيام المعركة موجودا مع عبد الحكيم بالمكتب وينام معه فى سرير واحد فى الغرفة الملحقة بمكتبه. وكان واضحا لنا جهله بإدارة العمليات الحربية ويظهر أنه يعلم هذا عن نفسه. ولذا لم يكن يعمل شيئا طوال هذه الأزمة إلا تقديم بعض الأوراق لعبد الحكيم الواردة إلى مكتبه - هذا هو كل ما كان يعمله وزير الحربية.

أعود ثانية الى موضوع المقاومة الشعبية - لما طلب جمال اتخاذ الترتيبات اللازمة لاعدادها تبين أن حتى هذه الصورة من المقاومة لن يكون لها وزن يذكر. وحدث حديث بينهم فهمنا منه أنهم فى انتظار إحدى المراكب السوفيتية - وأنها فى طريقها إلينا - وهى تحمل ٦٠,٠٠٠ بندقية - وترفض دخول مياهنا الإقليمية

إلا إذا وفرنا لها حراسة جوية خاصة . وقيل أنه لا يمكن توفير هذه الحراسة لعدم توافر الطائرات عندنا

ورأينا نحن الثلاثة أنه من الأفضل لنا أن نستأذن وننصرف ـ وقمنا للانصراف فسألنى جمال الى اين . فقلت « نستأذن حتى نترككم على حريتكم فربما ترغبون فى مناقشة بعض الأمور » .

الجيش راح :

فرد على محركا يديه الاثنتين قائلا « نناقش أيه ما الجيش راح » . ومستطردا بقوله « أنا أحب أسمع أى شىء ترغبون فى قوله » . موجها الكلام لنا نحن الثلاثة فرددت عليه ومعى حسن فى صوت واحد بأننا لسنا فى الصورة .

فقال لنا ما معناه أنه هو كذلك . ومدللا عليه بعدم حضوره إلى مكتب عبد الحكيم إلا يوم الاثنين الماضى فقط والليلة .

فقلنا له « هل يمكن ان نعرف شيئا عن الموقف السياسى » . واضعين فى أذهاننا إذا كان الموقف العسكرى ميئوسا منه أو هو فى حكم المنتهى فعلا ـ فما هى الحلول السياسية التى فى ذهنه لمعالجة الموقف .

وبدأ جمال يتحدث قائلا « فى البداية ـ يوم ٥ يونيو قرر مجلس الأمن إيقاف القتال مع عودة قوات كلا الطرفين إلى الخطوط السابقة لتاريخ ٤ يونيو ـ ولكننا لم نوافق . وفى يوم ٦ يونيو كان قد أتضح أن الموقف العسكرى أصبح فى صالح اليهود فقدم إلى مجلس الأمن أقتراح بإيقاف القتال فقط . « وهنا قاطعته بسؤالى « أليس هناك تنسيق بيننا وبين الاتحاد السوفيتى فى مجلس الأمن » . فسألنى جمال لماذا . فقلت ـ لأن الاتحاد السوفيتى وافق على اقتراح إيقاف القتال هذا ونحن لم نوافق على هذا القرار . فسألنى ـ من الذى قال إننا لم نوافق عليه . فقلت ـ إذاعتنا وصحافتنا اعلنتا أن خمس دول عربية لم توافق على هذا الاقتراح وهى الجمهورية العربية وسوريا والعراق والجزائر والكويت ـ وأما الأردن فسبق أن وافقت على إيقاف القتال من قبل وأوقف القتال معها فعلا ـ ولكن جمال رد على ذلك بقوله ـ انهم هم الذين يقولون ذلك ، ونحن لم نقل موافقين أو غير موافقين .

اين الروس :

فسألته : لماذا لم نوافق على إيقاف القتال يوم ٥ يونيو ـ بعد ما خسرنا أغلب طائراتنا ، وحتى نأخذ بذلك الفرصة وكأنها هدنة لنا لإعادة تنظيم قواتنا والحصول على طائرات من الروس بدل التى فقدناها ثم نعاود الحرب ونأخذ المبادرة ونضرب طائرات ومطارات اسرائيل ردا على ما فعلته معنا . فرد على بقوله : حتى لو كنا وافقنا فاليهود كانوا سيستمرون فى القتال حتى يحققوا أهدافهم .

فقلت : واين الروس ومساندتهم لنا كما وعدوا .

فرد على بقوله : أنهم مذعورون من الامريكان .

فتساءلت : ألم يضعوا هذا فى اعتبارهم عندما وعدوا بمساعدتنا حتى الدخول فى معركة مع الامريكان عند محادثتهم مع شمس بدران .

وكنت أشير بذلك الى حديثه معنا أثناء مقابلتنا له فى منزله يوم ٢٩ مايو الماضى ـ وقوله أن الروس وعدوا بالوقوف إلى جانبنا ـ حتى لما سألته يومها سؤالا صريحا عما إذا كانوا هم على استعداد لدخول حرب ثالثة من أجلنا ـ فانه أكد ان هذا ما وعدوا به . وأن رسالتهم إليه مع شمس بدران تعطى له هذا المعنى .

وقد اجابنى جمال على هذا التساؤل منى بتكرار ما سبق أن ذكره من أنهم مرعوبين من الأمريكان .

فسألته : « ألم يكن فى امكانهم أن يرسلوا لنا طائرات مقاتلة بسرعة لتعويض ما فقدناه حتى يمكن لنا الصمود فى المعركة .

المماطله .. وموت يا حمار :

فقال : انه اتصل بهم أربع مرات لهذا الغرض . وانهم وافقوا بعد المماطلة . وطلبوا منه أن يحصل على تصريح لهم من حكومة يوغوسلافيا لتسمح للطائرات بالنزول فى مطاراتها وهى فى طريقها إلينا ، ولكنهم عادوا إلى المماطلة ثانية بعد موافقة يوغوسلافيا على هذا المطلب مما دعى تيتو إلى استدعاء سفيرهم وسفيرنا

هناك واجتمع بهما معا وطلب من كل منهما أن يبلغ حكومته بموافقته على نزول الطائرات وهى فى طريقها إلينا فى المطارات اليوغوسلاڤية. ولكن الروس مع ذلك عادوا وقالوا لجمال سنرسل الطائرات إليكم مفككة فى صناديق عن طريق البحر إلى الموانى الجزائرية على أن يتم إعادة تركيبها هناك ثم تطير إلينا من الجزائر. وعلق جمال على ذلك بقوله ـ وهذا طبعا يأخذ وقتا طويلا ـ يعنى موت ياحمار ـ على حد تعبيره.

فسألت: ألم يكن من الممكن أن يرسلوا لنا هذه الطائرات المقاتلة مفككة داخل طائرات الانتينوف ـ وهى على ما سمعت من الممكن أن تحمل الطائرة الواحدة منها ست طائرات ميج مفكوك اجنحتها, وتصل إلينا فى ظرف خمس ساعات من روسيا ـ وارسالهم عشر طائرات انتينوف يوميا معناه توفير ستين طائرة مقاتلة لقواتنا فى اليوم الواحد.

فاستفهم منى جمال عما إذا كانت الطائرة الانتينوف تحمل أكثر من طائرة واحدة مقاتلة.

فاكدت له أنها تحمل ست طائرات. وأن هذا هو ما يدرس فى كلية أركان الحرب الروسية للطيارين.

وسألنى جمال عن المدة اللازمة لتركيب اجنحتها بعد وصولها، واجبته بانها تتم فى ١٢ ساعة.

وبعد هذا الحديث سكت جمال لفترة ثم طلب استدعاء على صبرى.

حرج:

وبعد وقت قصير قام جمال عبد الناصر ودخل حجرة النوم الملحقة بمكتب عبد الحكيم ـ وطلب زكريا. وبعد خروج زكريا من عنده أخبر عبد الحكيم أن جمال يرغب فى رؤيته. فاحسسنا بالحرج مما يجرى وأنه غير مرغوب أن نعلم ماذا يدور بينهم من حديث ـ لذا انصرفنا. وكانت الساعة الثامنة مساء. وعدنا إلى منازلنا.

وفى حوالى الساعة العاشرة والربع مساء اتصل بى حسن ابراهيم تليفونيا ليخبرنى بأنه سمع من إذاعة صوت أمريكا الآن أننا وافقنا على ايقاف القتال ـ وأن مندوبنا فى مجلس الأمن الدكتور محمد عوض القونى قام بإبلاغ ذلك إلى المجلس .

وتساءلت مع حسن فيما اذا كان جمال قد قرر ذلك وابلغه إلى مندوبنا فى مجلس الأمن قبل حضوره إلى مكتب حكيم أم أن هذا القرار قد استقر رأيه عليه فقط وهو فى مكتب عبد الحكيم وأثناء مقابلته لزملائه واحدا اثر الآخر فى الغرفة المجاورة . وهذه المقابلات معهم ربما كانت لهذا الغرض . واستنتج أنه طلب حضور على صبرى ليخبره بالقرار وحتى يقوم بإبلاغه إلى مندوبنا فى مجلس الأمن . ولكن ما هى المكاسب التى سيحققها جمال الآن بموافقته على إيقاف القتال . إن إيقاف القتال اليوم بعد وصول القوات الاسرائيلية إلى الضفة الشرقية للقناة لا يحقق شيئا إلا الخزى والعار . وكان يجب عليه فى هذه الحالة اعلان استمرار القتال لا ايقافه ـ واعلان اننا خسرنا معركة ولكننا لم نخسر الحرب بعد ـ وانها مستمرة وقائمة حتى نسترد الأرض التى فقدناها ـ ولن نسترد اعتبارنا ثانية الا بعد استرداد تلك الأرض وتحريرها من اليهود . ولكننى لا أعرف ما الذى يدور فى ذهن جمال ـ ولا ما هى خططه فى المستقبل .

الجمعة ٩ يونيو ١٩٦٧ :

اعلن صباح اليوم أن جمال عبد الناصر سيلقى خطابا فى المساء على الشعب ـ الساعة السابعة والنصف .

وكان عندى كمال وحسن وبعض الأصدقاء . والكل يتساءل ماذا سيقول هذا الرجل بعد الذى حدث . واتفقت مع حسن على الذهاب إليه فى منزله بعد الظهر لسماع الخطاب معه .

التنحى :

وذهبت إلى منزل حسن ، وحضر الدكتور رشوان فهمى أيضا . وقلت لهما انى استنتج أن جمال عبد الناصر سيعلن فى خطابه تنحيته عن الرئاسة . وأن يقوم

رئيس مجلس الأمة بسلطة رئيس الجمهورية طبقا للدستور، ولكنهما لم يتفقا معى فى هذا الاستنتاج لأنه على حد قولهما لا يقدم على مثل هذه الخطوة للخطر الذى سيحدق به لو تنحى فعلا عن السلطة.

واستمعنا إلى خطاب جمال، وأعلن تنحيته وترشيح زكريا محى الدين رئيسا للجمهورية بدلا منه، ولم نفهم دستورية تعيين زكريا. وتوقعنا - ولم يكن جمال قد انتهى من خطابه بعد بأن المسيرات الشعبية ستبدأ. وفعلا سمعنا بعد انتهاء خطابه مباشرة الهتافات ورأينا تحركات شباب الاتحاد الاشتراكى فى الاتوبيسات واللوارى رغم الظلام الذى يخيم على المدينة لحظر الانارة، ورغم طلقات المدفعية المضادة للطائرات. واستنتجنا من هذا الذى يحدث أن الأمر مدبر ومرتب من قبل بأن تتحرك المنظمات وتطالب ببقائه.

وأردنا أن نشاهد هذا الذى يجرى بأنفسنا فركبنا سيارة حسن - نحن الثلاثة - وتوجهنا بها نحو منزل جمال وهو قريب من منزل حسن فوجدنا عددا ضخما من شباب الاتحاد الاشتراكى متجمعا حول منزله رغم قصر الوقت بعد انتهاء خطابه - فمن أين احضروا هذه الاتوبيسات واللوارى ليتواجدوا بهذه السرعة - لا بد أن تكون قد جهزت من قبل. وأن هناك استعدادا لهذا التحرك.

الحسره:

وعدنا ثانية إلى منزل حسن ونحن نتحسر على هذا الذى يجرى فى الوقت الذى لا يزال فيه الكثير من أفراد قواتنا المسلحة هائما فى صحراء سيناء، والعدو يطاردها، ودماء شهدائنا أيضا لم تجف بعد على رمال الصحراء هناك.

وتركت حسن بعد فترة وعدت إلى منزلى وكانت الساعة قد قربت من العاشرة مساء. وسمعت فى الإذاعة بعد وصولى بأن زكريا سيلقى بيانا هاما. وظللت بجوار الراديو لسماع هذا البيان. وأخذ المذيع يذيع كل بضع دقائق أن نستمع إلى بيان هام من زكريا. وفى النهاية جاء المذيع ليقول لنا بيان هام من جمال عبد الناصر. لم يذعه بنفسه إنما ألقاه المذيع نيابة عنه. وفيه يقول «إنه ازاء هذه المشاعر الفياضة التى أظهرها المواطنون ومجلس الأمة فإنه سيذهب باكر إلى المجلس لمناقشة موضوع تنحيته معه». وكان مجلس الأمة قد دعاه

رئيسه أنور السادات إلى الانعقاد بعد أن التى جمال خطاب تنحيته . وما جاء فى بيان جمال عن ذهابه إلى مجلس الأمة سيدفع المنافقين وما أكثرهم إلى تجميع أفراد أجهزتهم ليقفوا بها فى الطريق الذى سيسلكه لاستقبالة وتحيته . يا للمهزلة الكبرى التى تجرى - انه حتى فى وقت الهزيمة يستخف بهذا الشعب وبهذه الصورة المهينة .

وأما بيان زكريا الهام فقد لزم المذيع الصمت ولم يعد يذكره . الاذاعة تمجد فى جمال طوال الليل - وتطالبه بالبقاء ، ولا ترضى بديلا .

انى فقدت ثقتى فى كل شىء .

السبت ١٠ يونيو :

القاهرة تموج بالجموع التى تحركت ليلة أمس ومنذ الصباح الباكر من المحافظات - كل مسئول شحن اكبر عدد من البشر التابعين له إلى القاهرة وكل مسئول فى القاهرة دفع أغلب التابعين له الى شوارع المدينة - فى الطريق الذى سيمر به جمال إلى مجلس الامة .

الناس أغلبها لا تعرف الصورة الحقيقية للموقف - متحمسة لبقاء جمال ومتمسكة به - العاطفة هزتهم - غير مقدرين للمأساه التى نحن فيها - وغير مقدرين النتائج لهذه المعركة - لا يعرفون أن اليهود على الضفة الشرقية لقناة السويس - لا يقدرون أن الضفة الغربية لنهر الاردن قد احتلتها قوات اليهود أى ان ثلاثة ارباع مملكة الاردن قد احتلها اعداء العرب - لا يعرفون أن اليهود يرمون بكل ثقلهم الآن على القوات السورية - وسوريا تستنجد بمجلس الأمن لايقاف القتال بصورة مخزية - واليهود يهدفون إلى الاستيلاء على جزء من الاراضى السورية - على منطقة الجولان - ومتجهين نحو دمشق لتهديدها .

الزعيم الذى حطم كبرياءنا :

هذه هى الصورة صباح اليوم - السبت ١٠ يونيو . وجماهير شعبنا تتجمع فى شوارع القاهرة تصرخ بطلب بقاء جمال . ومجلس الامة منعقد من منتصف ليلة امس . والكتل البشرية محيطة بمبنى مجلس الأمة انتظارا للزعيم الذى حطم

كبرياءنا . والإذاعة تنشد الأناشيد والأغانى والإشادة بجمال انتظارا لتحركه من منزله فى موكبه ـ موكب النصر ـ يا للعار ـ إلى مبنى السلطة التشريعية لمناقشة موضوع تنحيته كما جاء فى بيانه .

وكان من المفروض أن يتواجد فى المجلس الساعة الحادية عشرة ولكن الساعة قد قربت الآن من الواحدة بعد الظهر ولم يعلن عن تحركه بعد . إنه لا بد فى انتظار تجمع عدد اكبر من الجماهير فى الشوارع .

وفجأة ودون مقدمات يعلن المذيع عن بيان هام للسيد زكريا محى الدين . وبعد فترة يتقدم زكريا من ميكروفون الاذاعة ويلق بيانه ، ويشيد فيه بجمال وانه لا يوافق على اقتراحة بأن يتولى هو ـ اى زكريا ـ رئاسة الجمهورية ويقول لا بد من استمرار جمال فى مركز القيادة ليقود الأمة إلى النصر .

وتعلق الإذاعة على هذا الموقف الوطنى لزكريا .

ثم تنقلك الإذاعة إلى مجلس الأمة ـ أنور السادات رئيس المجلس يعلن لأعضائه « أن جمال لم يتمكن من الحضور إلينا لانسداد الشوارع الموصله من منزله إلى المجلس بالآلاف من المواطنين ولا يمكنه التحرك مع وجود هذه الكتل البشرية ـ وهذة الكتل تحول دون وصوله إلينا أو وصولنا إليه ، وأن هذه الجموع الهادرة أصبحت تصل بيننا وبين القائد والزعيم كأشد ما تكون الصلة » .

ثم يتكلم أنور السادات رئيس السلطة التشريعية ويقول ولكنه ـ أى جمال ـ أرسل رسالة إلى المجلس وهو يشرفه أن يقرأها عليهم . ثم يقف ليقرأ الرسالة ويقف المجلس كله معه . ويقول جمال عبد الناصر للشعب فى رسالته « إن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لى أمر لا يرد ـ ولذلك فقد استقر رأيى على أن أبق فى مكانى وفى الوضع الذى يريده الشعب منى أن أبق فيه حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان » .

الرقص طربا :

ويقوم أعضاء المجلس التشريعى بالهتاف والتصفيق والرقص أيضا ـ لهذا النصر الذى حققه جيشنا ورئيس الدولة على العدو .

يا للمهزلة الكبرى بدلا من أن يقوم المجلس بطلب مناقشة أسباب هذه الهزيمة وكيف يدمر لنا جيش من ست فرق، وتحطم لنا أربعمائة طائرة وكل ذلك فى ظرف ست وثلاثين ساعة ـ وبدلا من أن يسأل عن الكارثة وكيف حدثت ومن المتسبب فيها ـ ومحاسبة المسئولين عنها. بدل ذلك يرقص طربا وفرحا. ولا يسأل ولا يخطر على بال أحد من أعضائه أن يسأل.

ولكن الذى حدث هو أن اختنق صوت أنور أثناء إلقائه رسالة جمال وأخذ يجاهد نفسه حتى يستطيع الاستمرار فى الكلام. وقام رئيس الوزراء محمد صدقى سليمان وحمد الله وشكر باسم الحكومة جمال عبد الناصر لاستجابته لرغبة الشعب. وقام سيد مرعى وكيل المجلس ليقول كلمة المجلس فى هذا الموقف التاريخى. وقال إنه يطلب من الله أن يلهمه قدرة فوق قدرته وفوق قدراتهم جميعا ليكبح جمال عواطفه التى تملأه وتملأهم جميعا ـ ويبكى بل ويغمى عليه.

ثم قام المجلس بعد ذلك وخول جمال عبد الناصر سلطاته كلها ليقوم بالتعبئة الكاملة والشاملة لكل قوى الشعب العامل وإعادة البناء العسكرى والسياسى بما يكفل مناعته وقوته على مواجهة كل التحديات ـ هكذا جاء قرار المجلس.

هذه هى الصورة المصغرة لما حدث اليوم.

ولم أكن متصورا كيف سيذهب جمال عبد الناصر إلى مجلس الأمة فى عربة مكشوفة ويمر بها فى شوارع القاهرة يحيى هذه الجموع المحتشدة فى الشوارع. كيف يمكنه أن ينظر إليهم وهو يعلم الحقيقة. وان كانوا هم مخدوعين فأظنه لا يمكن أن يكون مخدوعا.

ماذا يحدث لو انتصرنا ؟:

وما الذى كان يفعله جمال عبد الناصر لو تحقق النصر إن كان يفعل هذا مع الفشل والعار ـ ما الذى كان سيحدث لو انتصرنا.

هل هذه التمثيلية ستنتهى بانتهاء هذا المشهد أم أنها من عدة فصول ـ وهناك فصول أخرى قادمة ـ إننا فى انتظار رفع الستار عن باقى المشاهد. ولابد أن تعرف الناس الحقيقة ـ ولا يمكن أن تختفى إلى الأبد مهما عمل من تشويش على

جميع محطات الاذاعات الاجنبية . إن مصدر معلوماتنا الآن من إذاعتنا وصحافتنا فقط لا غير ـ عزلة عن العالم الخارجى .

الاثنين ١٩ يونيو ١٩٦٧ :

طالعتنا صحف اليوم ـ جريدة الأهرام فقط ـ بأنه ستشكل وزارة جديدة يرأسها جمال عبد الناصر بنفسه وسيتم تشكيلها اليوم . وذلك ضمن عملية شاملة لتعبئة طاقات الدولة ـ على حد قول جريدة الأهرام . وأنه بدأ أمس فى تشكيل الوزارة وسيعلن مساء اليوم ، ويؤدى أعضاؤها اليمين الدستورية صباح غد ـ وتباشر مسئوليتها فورا .

وجاء أيضا أن عبد الناصر سيتولى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى تحقيقا للوحدة الكاملة بين الدولة وقوى الشعب .

وذكر أن ذلك لمواجهة المرحلة الحالية من النضال الوطنى .

وفى إذاعة نشرة الاخبار الساعة الخامسة مساء بعد الظهر أعلن تشكيل الوزارة الجديدة . ولم يحدث تغيير جوهرى فيها غير أن نواب رئيس الجمهورية قد تولوا مناصب وزارية . وهم زكريا محى الدين ـ ولم يذكر له عمل محدد ، وحسين الشافعى وقد تولى وزارة الأوقاف والشئون الاجتماعية ، وعلى صبرى وقد تولى الادارة المحلية ومحمد صدقى سليمان رئيس الوزارة السابقة ولقد أصبح نائبا للرئيس وتولى وزارة الصناعة والقوى الكهربائية والسد العالى .

ودخل الوزارة :

الدكتور عبد المنعم القيسونى وزيرا للتخطيط
سيد مرعى وكيل مجلس الأمة وزيرا للزراعة
عبد العزيز السيد وزيرا للتربية والتعليم

وأخرج من الوزارة :

سيد يوسف وزير التربية والتعليم
حمدى عبيد وزير الادارة المحلية .

عـزيـز يسن	وزير الاسكان .
أنور سلامة	وزير العمل .
أحمد خليفة	وزير الأوقاف والشئون الاجتماعية
محمود عبد السلام	وزير النقل
عزت سلامة	وزير التعليم العالى .

وفى المساء أعلن أن جمال عبد الناصر سيذهب الى جامع سيدنا الحسين لحضور الاحتفال بمولد النبى « ﷺ » ـ ولم يسبق له أن حضر هذا الاحتفال من قبل . واعتقدت انه ذهب لالقاء خطاب فى الجماهير ولكنه اكتفى بحضور الحفل .

الثلاثاء ٢٠ يونيو ١٩٦٧ :

اتصل بى صباح اليوم تليفونيا مصطفى بن الأخ كمال الدين حسين وأبلغنى أن والده يرغب منى فى الذهاب إليه . ولما أخبرته أننى سأقوم بذلك فى المساء لارتباطى مع أصدقاء سيأتون لزيارتى فى الصباح ألح على فى الذهاب إلى والده فورا . ودهشت للأمر خاصة وأن هذه هى أول مرة يتصل بى كمال بهذه الطريقة . واعتقدت أن هناك سببا منع كمال من الاتصال بى شخصيا ولكن زاد اندهاشى عندما علمت من مصطفى أنه يتحدث من تليفون خارجى رغم صلاحية تليفون منزل والده .

واتصلت بكمال وأبلغته بحديث مصطفى معى ومن أننى سأذهب اليه فى المساء . ولكنه طلب منى أن اذهب إليه فورا وأن ألغى الموعد المتفق عليه مع اصدقائى . ولما كان ذلك من الصعوبة بمكان لأنهم كانوا فى طريقهم الى فى هذه الأثناء لذا وعدته بالتواجد عنده عند الظهر .

ولما تقابلت معه سألته عن سبب هذا الاستعجال فى اللقاء وعن سر اتصال مصطفى بى من تليفون خارجى ـ ولابد أن يكون من وراء ذلك شيئا له أهميته . فأجابنى من أنه أراد أن يأخذ رأيى فى موضوع ، وهو قد طلب من مصطفى الاتصال بى من تليفون خارجى حتى لا تعلم الرقابة المفروضة على تليفونه بوقوع هذا الاتصال بيننا . وذكر أنه نسى أن تليفون منزلى مراقب هو الآخر .

ولا مدفع بالقاهرة :

وبعد هذا بدأ كمال فى ذكر الموضوع الذى من أجله طلب أن يتم هذا اللقاء . فقال إن جمال عبد الناصر اتصل به تليفونيا صباح اليوم الساعة التاسعة وطلب منه أن يتولى قيادة المقاومة الشعبية ، وأنه أفهم كمال أن ليس هناك مقاومة شعبية تذكر . وانها تحتاج الى مجهود شاق وسريع . كما ذكر له أن اليهود ينوون دخول القاهرة فى ظرف أسبوع حتى يمكنهم إملاء شروطهم علينا . ويقول كمال أن جمال ذكر له وهو يضحك أن ليس بالقاهرة ولا مدفع واحد للدفاع عنها .

وقال كمال إنه ذكر لجمال أن الموضوع له أهميته ، وهو يتطلب مناقشته معه ، وانهما اتفقا على الالتقاء فى منزل جمال الساعة السابعة من مساء اليوم . وطلب منى كمال الرأى بعد أن ذكر لى ذلك .

فقلت إن الأمر يحتاج الى تفكير ، وسألته عن شعوره هو شخصيا ومدى استعداده لقبول هذه المهمة . فأجابنى « الإحساس بالواجب ـ وليس أمامى مفر من القبول » .

فقلت « إن الاحساس بالواجب ضرورى ولكنه من المهم أيضا ان نتعرف أولا على الدافع الذى دفع جمال إلى عرض هذه المسئولية عليك خاصة وأن زكريا الآن هو المسئول عن المقاومة الشعبية ولم يمض على تعيينه فيها إلا فترة بسيطة ـ فهل رأى جمال مثلا أنك أقدر من زكريا فى هذا الامر أو أنه محتاج إليه فى عمل آخر غير المقاومة ، وهل عدم تحديد عمل له فى التشكيل الوزارى الذى أعلنه القصد منه الاستفادة به فى نشاط آخر معين ـ وما هو هذا النشاط . أم أن جمال يهدف إلى شيء آخر غير ذلك بتوليك تلك المسئولية ـ وما هو هذا الشيء . هل لأنه سمع ما يتردد على ألسنة الناس بعد إعلان التشكيل الوزارى من أن تضافر الجهود الذى كانوا يطالبون به لم يتحقق ـ وهو بهذا الدور الذى يود أن تقوم به يريد أن يغطى هذا الموقف الذى يأخذه الرأى العام عليه ، ويحاول بذلك أن يبين أنه عمل على الاتصال بنا جميعا للتعاون معه ولكننا خذلناه ولم نتجاوب معه .

ـ وأن الدليل على ذلك هو قبولك تولى مسئولية المقاومة الشعبية . وحتى يصبح اللوم فى هذه الحالة واقعا علينا لا عليه » .

ـ هل هذا هو ما يهدف اليه ـ ربما . ولكن الأمر أيضا يستدعى منا أن نضع فى اعتبارنا وقبل كل شيء الواجب الوطنى وعدم التقاعص عن بذل أى جهد ممكن فى هذه الظروف » .

ليس هناك من خيار :

وكان لابد لنا والأمر كذلك من أن نتناول بالمناقشة أهمية المقاومة الشعبية مع هذه الظروف الصعبة . وكيف يمكن العمل على انجاحها حتى يمكنها أن تتصدى للعدو . خاصة وأنه ليس هناك من قوى أخرى غيرها يمكن الاعتماد عليها للقيام بهذا التصدى . وأخذنا على هذا الاساس نعرف ماهية المقاومة الشعبية ـ وما هو الدور الذى ستقوم به ـ وكيف يمكن بث روح النضال والحماس والتضحية فى الجماهير الشعبية التى ستقوم بهذا الدور . ووجدنا أن هذا الأمر متصل تماما بوحدة وتضامن الجبهة الداخلية وشعور الشعب نفسه بأهميته وكيانه وتوفير سيادة القانون والأمن له . والشعب لن يشعر بذلك إلا إذا أحس أن عهد الحراسات والاعتقالات قد ولى وانتهى ، وأن قوانين الطوارىء وقانون ١١٩ لسنة ١٩٦٤ قد أوقف العمل بها . وحتى يشعر كل فرد من أفراد الشعب بأن هناك فعلا تغييرا أساسيا عما كان يجرى من قبل فلابد من الاعلان عن تلك التغييرات فورا لتطمئن نفوسهم . وحتى يمكن اقناع الشعب بجدية هذا الاتجاه الجديد فلابد من الاعلان عن قيام مجلس أمن وطنى يشكل من عدة أفراد من المدنيين والعسكريين ومن المشهود لهم بماضيهم فى الكفاح ومواقفهم ، وممن يطمئن الناس إليهم . وأن يكون الأمر شورى بينهم ولا تصدر القرارات إلا بأغلبية الآراء فيه . ويكون جمال عبد الناصر عضوا فى هذا المجلس . والمجلس هو الذى ينتخب رئيسه .

ولقد وجدنا ان هذا ربما يكون هو السبيل إلى الحد من سيطرة جمال وإلى انجاح المقاومة الشعبية وضمان وحدة الجبهة الداخلية . وان قبل جمال هذه التغييرات المقترحة فليس هناك ما يمنع كمال من قبول هذه المهمة .

واقترحت على كمال أن نذهب إلى جمال سالم لنتشاور معه فى هذا الأمر أيضا . وذهبنا إلى جمال سالم فى منزله . وعرض عليه كمال موضوع اتصال جمال عبد الناصر به وطلب منه أن يتولى قيادة المقاومة الشعبية ـ وطلب منه الرأى . واجاب جمال سالم ان ليس أمام كمال من خيار غير قبول المهمة . ولكنه عاد وتراجع عن هذا الرأى واتفق معنا على ما وصلنا إليه بعد مناقشة الأمر معه . وذكر أنه من المفيد أن يطالب جمال عبد الناصر بتكوين هذا المجلس المقترح . وان تكوينه والاعلان عنه يعطى الأمان للناس بأن الدكتاتورية وتسلطها قد زال . وأن هذا يساعد كثيرا فى انجاح المقاومة الشعبية .

وفى النهاية طلبنا من كمال عندما يتقابل مع جمال عبد الناصر أن لا يتسرع ويعلن موافقته على ما اقترحه عليه ، بل عليه أولا أن يتبين اتجاهاته من هذه الاقتراحات التى وصلنا اليها . وأن يعرف مدى استعداده لتنفيذها . وعلى ضوء ما تبين له من المناقشة يمكنه اتخاذ قراره فى قبول المهمة أو رفضها .

وانصرفنا من عند جمال سالم بعد أن ترك الأمر لكمال لاتخاذ القرار الذى يرضى به ضميره ويريحه بعد تلك المناقشة .

واتفقت مع كمال أن يمر على بمنزلى بعد الانتهاء من زيارته لجمال عبد الناصر . وفى المساء حوالى الساعة الثامنة إلا عشر دقائق فوجئت بكمال وقد حضر إلى منزلى ـ ومعنى ذلك أن اللقاء بينهما لم يستغرق وقتا طويلا وهو مؤشر على أنهما لم يتفقا سويا . وأحسست من صوت كمال وقسمات وجهه أنه غير مستريح . وسألته عما إذا كان هناك ما يضايقه .

فأجابنى أن جمال عبد الناصر ذكر له كلمة أثناء المناقشة بينهما ضايقته . ولما سألته عنها ـ قال أنه سيذكرها لى أثناء سرده للحديث الذى دار بينهما .

مصر أهم من اليمن :

وبدأ كمال فى سرد ذلك الحديث . وقال أن جمال هو الذى بدأه ذاكرا أنه متعب ولا ينام ـ فدعى له كمال بالتوفيق . وسأله كمال عما إذا كان قد قرأ النقاط التى كان كمال قد سبق وأرسلها إليه بعد أن أثارها معه فى مقابلة سابقة

بينهما من عدة أيام قلائل أى فى نهاية الأسبوع الماضى . ولكن جمال رد عليه بأنه كان مشغولا ولم تتح له الفرصة لقراءتها . وتساءل كمال عما إذا كان من الممكن أحضارها لأنه كان قد كتب بها بعض النقاط حول الجبهة الداخلية . ولكن جمال رد عليه بأنه لا يتذكر أين وضعها . فذكر له كمال أنه يرغب فى الحديث معه عن الجبهة الداخلية ذلك لأنها جزء لا يتجزء من المقاومة الشعبية - وشبَّه أهمية الجبهة الداخلية بأهمية وحدة الشعب العربى وتضامنه فى هذه الأزمة . وكرر له كمال ما سبق وأن قاله فى المقابلة السابقة معه عن ضرورة الاستفادة برؤساء الدول العربية المنتجة للبترول فى القيام بالضغط على الدول الغربية خاصة أمريكا للضغط بدورها على اسرائيل حتى لا تتشدد فى طلباتها - ولأن الوقت فى صالح اسرائيل ولابد من السعى لإجبارها على الانسحاب من الأرض التى احتلتها بسرعة . ولكن جمال عبد الناصر قال له أن الدول العربية المنتجة للبترول تسمح للشركات الاجنبية بالقيام بنقل البترول مقابل تعهد مكتوب منها بأنها لن تمون به أسريكا ولا إنجلترا وهذا يعنى - على حد قوله - أن المقاطعة شكلية . كما اتهم جمال أيضا الملك فيصل بالتواطىء مع الغرب ضدنا . فطلب منه كمال أن ننسى خلافاتنا مع باقى الدول العربية حاليا حتى يمكن الاستفادة بهم . وأن يعمل على التفاهم مع فيصل وتسوية مشكلة اليمن . فرد عليه جمال بقوله « ونترك البدر يدخل اليمن » . فقال له كمال « ان مصر اهم لنا من اليمن ، وأنا أقول لك ذلك مخلصا . ولما نيجى على أنفسنا مع بعض أحسن ما نيجى على أنفسنا مع اليهود » .

موافق ولا . . لأ :

ولكن يظهر أن جمال كان قد ضاق بمناقشة كمال فقال له « قل لى أنت دوختنى - أنت موافق ولا لأ » . ويقصد بذلك موضوع المقاومة الشعبية .

وتضايق كمال من ذلك ورد عليه بقوله « نترك موضوع دوختنى على جنب لأن ما يهمنى هو بلدى وأنا باحاول أرضى ربنا » .

فقال له جمال « يخص عليك - أنت بقيت شكاك - أنت عارف أن دى هى طريقتى فى الكلام » .

فرد عليه كمال بقوله « أنا باكلمك بإخلاص ، واعتقد أن موضوع المقاومة الشعبية ونجاحها مرتبط بالجبهة الداخلية ، وهو موضوع له أهميته ـ وما حدث فى الجيش من محسوبية وشللية ، وتعيين قيادات من المحاسيب وإعطاء امتيازات للقلة الغير صالحة هى التى تسببت فيما حدث فى الحرب ـ ونفس هذه الصورة موجودة فى الجبهة الداخلية ـ فى الشركات والمؤسسات والوزارات وكل الأجهزة ـ ومن الضرورى الآن أن تحس الجبهة الداخلية بأن الصورة ستتغير عن ذى قبل . وسبق أن قلت لك فى مقابلتى السابقة أن تطلب بغدادى وحسن ابراهيم وتاخذ رأيهما فى هذا الموضوع لأنه من المهم أن تستمع لأناس يقولون لك الحقيقة ويصدقوك القول .

فرد عليه جمال بأنه كان مشغولا .

ثم قال له كمال أنه يرى أنه من المفيد أن يتكون مجلس أمن وطنى من مجموعة من الأشخاص الوطنيين من مدنيين وعسكريين ويكون الأمر شورى بينهم لتطمئن الناس وتشعر بالاستقرار ـ وفى هذه الحالة يمكن لنا أن نخاطبهم عن الحريات والأمن ، وان نتحدث اليهم عن حقيقة ما حدث ولا نموه عليهم كما تفعل وسائل الإعلام عندنا حاليا وبذلك نضمن تجاوبهم وتحمسهم .

ويظهر أن جمال عبد الناصر فهم أن قبول كمال لتولى قيادة المقاومة الشعبية مرتبط بتوفير الأمن والاستقرار للجبهة الداخلية . وان الحل لذلك هو مجلس أمن وطنى ، ومعنى هذا أن يتولى هذا المجلس السلطة فى البلاد بدلا من انفراد جمال بها .

دكتاتور :

وقد رأى جمال على هذا الاساس أن ينهى المناقشة لأنه كدكتاتور لا يقبل مثل هذا الوضع خاصة وأنه لا يزال يفكر فى اليمن وكيف يسمح للبدر بالدخول اليها رغم أن مصر نفسها أصبحت محتلة باليهود . وعلى ذلك رد على كمال بقوله أنه سيفكر فى الموضوع .

ويقول كمال إن جمال بعد هذا الحديث معه سكت برهة ثم سأله « هل قابلت

بغدادى النهاردة » . وأجابه كمال بالايجاب . وأضاف بأنه ذهب معى أيضا إلى جمال سالم لمناقشة ما عرض عليه .

ولما ذكر كمال ذلك قلت له إن جمال سيعتقد أنك اتخذت هذا الاتجاه بتأثير منا عليك . فأجابنى بأنه قال له بعد أن سأله هذا السؤال أنه سبق وكتب له رأيه عن الجبهة الداخلية فى المذكرة التى كان قد أرسلها اليه بعد مقابلته معه فى نهاية الأسبوع الماضى .

وبعد أن ذكر لى كمال هذا الحديث الذى دار بينهما أحسست بأنه غير سعيد . ولما استوضحت منه عن سبب ذلك قال لأنه كان قد وقع تحت ضغط شديد أثناء اجتماعه اليوم مع محمد أبو الفضل الجيزاوى ومصطفى مراد وبهجت رمضان وفتح الله رفعت . وكان قد اجتمع بهم فى منزله بعد اجتماعى به بناء عن طلبه . وكانوا يطالبونه بالموافقة على طلب جمال عبد الناصر وذلك حتى يمكن توزيع السلاح على الوطنيين بدلا من أن يوزع على الشيوعيين . وأن هذه فرصة لتسليح الوطنيين .

وذكر لى أثناء انصرافه أنه نسى أن يذكر لجمال عبد الناصر اقتراحى باستخدام أفراد القوات المسلحة فى المقاومة الشعبية ـ وكنت قد ذكرت هذا الاقتراح لكمال أثناء المناقشة قبل مقابلته لجمال عبد الناصر وكان ذلك بغرض إعداد المقاومة الشعبية بسرعة نظرا لضيق الوقت . وان يستفاد بأفراد القوات المسلحة فى هذا الأمر إلى أن يعاد تسليح الجيش من جديد ويعد للحرب . وأن استخدام أفراد القوات المسلحة فى هذه المهمة أيسر وأسرع لأنها معدة وجاهزة بقياداتها من الضباط .

ولقد أحسست أن كمال لم يكن مستريحا بعد عودته من عند جمال . وأعتقد أن السبب فى ذلك هو عدم تأكده الواضح من موقفه فى عدم قبول المهمة . وهل فى ذلك مصلحة للوطن أم كان الواجب عليه قبولها حتى لو لم تتوفر هذه الضمانات للجبهة الداخلية . ويظهر أن ضغط اخوانه عليه الذين اجتمع بهم ونصيحتهم اليه بالقبول دون قيد أو شرط قد أثر عليه . ولو أننى اعتقد أنه قد اتخذ الطريق الصواب .

الأربعاء ٢١ يونيو ١٩٦٧ :

أذيع اليوم فى نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر تعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية . وكان قد عين وزيرا للإصلاح الزراعى فى الوزراة التى أعلن تشكليها أول أمس .

ويعنى ذلك أن جمال لم يستجب للاقتراح الذى تقدم به كمال ، وأنه قد صرف النظر عن الاستفادة به فى هذه المهمة . وجمال اليوم أشد تمسكا بالانفراد بالسلطة عن ذى قبل لضعف مركزه بعد تلك الهزيمة ، وزيادة حرصه أيضا فى ظل هذه الظروف الحالية يدفعه إلى ذلك مع طبيعته الشكاكة أصلا .

وقد أعلن اليوم أيضا أن رئيس اتحاد جمهوريات الاتحاد السوفيتى - بودجورنى والمرشال زخاروف رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة للاتحاد السوفيتى قد حضرا إلى القاهرة وذلك لاجراء محادثات مع جمال عبد الناصر . ومعروف أن كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فى نيويورك حاليا يرأس وفد بلاده فى هيئة الأمم المتحدة لمناقشة موضوع أزمة الشرق الأوسط والعدوان الاسرائيلى على البلاد العربية .

٢٦ أغسطس ١٩٦٧ :

ترددت الشائعات عن اعتقال عبد الحكيم عامر أمس . وأن إقامته قد حددت فى المنزل الذى يشغله بالجيزة . وقيل أن هذا الاجراء قد اتخذ معه بعد أن تبين أنه كان يحاول العودة إلى السلطة عن طريق القوة بعمل انقلاب عسكرى .

مهادنه للضرب :

وكانت هناك شائعات تتردد من مدة على أن عبد الحكيم قد سمح لبعض ضباط الجيش المطلوب اعتقالهم بالإقامه عنده بمنزله لحمايتهم من هذا الاعتقال . وقيل إنه أقام حرسا خاصا حول منزله . وقد أحضر هؤلاء الحراس من بلدته إسطال فى الصعيد . وان منزله أصبح قلعة مسلحة وسط القاهرة . وكان هذا الوضع غريبا حقا وكأنه قد استقل بهذه القطعة من أرض الوطن وأعلن العصيان . وجمال عبد الناصر كان لا يحرك ساكنا . وكنت أعتقد أن جمال يهادنه

ليضربه عندما تحين الفرصة . وقد قلت هذا لكمال حسين من عدة أيام مضت عندما حضر إلى الإسكندرية عائدا من القاهرة واخبرنى أن العلاقة بين جمال وعبد الحكيم على أحسن ما يرام . وأنهما يتزاوران ويتصلان ببعضهما تليفونيا . وقد ذكر أن عبد الحكيم قد هدأ عندما اطمأن على أن امتيازاته مستمرة .

ولكنني ذكرت لكمال بأن جمال يحاول بذلك خداع حكيم وهو يخدره ليضربه بعد ذلك . وقد اندهش كمال اليوم عندما سمع بخبر تحديد إقامة عبد الحكيم واعتقال الضباط الذين كانوا مقيمين بمنزله .

وكنت اعتقد أنه من الضرورى لجمال أن يؤمن الوضع الداخلى قبل سفره إلى مؤتمر القمة لرؤساء الدول العربية بالخرطوم يوم ٢٧ أغسطس . ولا يمكنه أن يترك عبد الحكيم حرا طليقا بعد هذه التصرفات التى صدرت منه .

٢٩ أغسطس :

نشر اليوم بيان عن سبب تحديد إقامة عبد الحكيم عامر وذلك بعد عودة جمال عبد الناصر من الخرطوم . وقد نشر هذا البيان فى الأهرام فقط .

الثلاثاء ١٢ سبتمبر :

نشر فى الصحف اليوم أقوال بعض المتهمين فى قضية التآمر المتهم فيها عبد الحكيم عامر وبعض ضباط الجيش منهم صلاح نصر وشمس بدران وعثمان نصار وآخرين .

الخميس ١٤ سبتمبر :

عدت من الإسكندرية إلى القاهرة فى صباح اليوم ومعى ابنى طارق استعدادا لدخوله الجامعة .وستعود باقى العائلة فى نهاية الأسبوع القادم .

ولقد علمت فى المساء من محمد نصير زوج ابنتى بأن عبد الحكيم عامر قد انتحر اليوم وتوفى . ووقع على الخبر وقع الصاعقة ، ولم أصدق . ولكنه أكد لى أن هذه المعلومات من أحد ضباط المخابرات العامة . وأن هذا الضابط سيحضر عنده الساعة الحادية عشر مساء لعلمه بوجودى وليبلغنى الخبر بنفسه . وقد حضر فعلا وأكد لى الخبر .

الجمعة ١٥ سبتمبر :

انتشر خبر انتحار عبد الحكيم ووفاته وتناقلته الناس .

وأعلن بيان فى الإذاعة عن ذلك الساعة الحادية عشر مساء .

السبت ١٦ سبتمبر :

نشر البيان عن حادث الانتحار فى الصحف .

واتصل بى كمال الدين حسين من بنها وسألنى عن الحادث وأنه لم يعلم به إلا من صحف اليوم .

بكينا :

وحضر من بنها إلى منزلى وتبادلنا الرأى فى القيام بواجب التعزية لأسرة المرحوم عبد الحكيم . ولما سألنا عما إذا كان هناك مأتم فى بلدته حيث تم دفنه علمنا أنه لم يكن هناك معزون واضطرت اسرته إلى العودة إلى منزله بالجيزة . ولما ذهبنا إليهم فى المساء للقيام بواجب العزاء لم نجد غير أفراد الأسرة أى الزوجة والأولاد فقط . ولم يكن هناك من الرجال غير حسين عبد الناصر شقيق جمال وهو زوج ابنة عبد الحكيم ، ومحمد عزب زوج ابنته الأخرى . واستقبلنا أولاده على سلم المنزل الخارجى عندما علموا بحضورنا بالصويت والنحيب والارتماء على صدورنا . وكان موقفا مؤثرا حتى أننا بكينا ونحن على سلم المنزل لهذا الموقف المؤثر . وتذكرنا الناس وهى تسعى إلى عبد الحكيم وهو فى السلطة ، والخدمات التى كان يسبغها على الكثيرين ليضمن ولاءهم له ـ أين هم الآن . والأولاد يبكون طوال الوقت ويسألوننا لماذا قتلوه ـ وأنه لم ينتحر وإنما هم الذين قتلوه ـ ويرددون اين أخوته ـ كلهم فى المعتقل ـ وأين أصدقاؤه وزملاؤه والضباط ـ ولماذا لم يحضر أحد منهم . لم يعزهم فى وفاته سوانا ـ يا للأسف على الرجال .

وخرجنا من منزله ونحن فاقدين الثقة فى كل المعانى ـ وفى كل الناس .

هل هذه هى نهاية عبد الحكيم عامر ـ يالله .

هذا مشهد آخر من مشاهد تلك المأساة التى تجرى على أرض الوطن العزيز . وأننا لفى انتظار مآسى أخرى ـ أمر لابد منه ـ كنتيجة حتمية لما وصلنا اليه .

البغدادى فى صور

السيد عبد اللطيف البغدادى مع الرئيس جمال فى إحدى جلسات مجلس الرئاسة ويرى بجواره كمال الدين حسين



السيد عبد اللطيف البغدادى يقدم أحد مدعويه للرئيس جمال فى حفل خطوبة كريمة البغدادى



السيد أحمد اهيدجو أثناء تسليمه وسام إلى السيد عبد اللطيف بغدادى

حديث باسم بين عبد اللطيف البغدادى وأنور السادات وحسين الشافعى وكمال الدين حسين والمشير عامر أثنا تواجد الرئيس جمال وتيتو فى محطة مصر

السيد عبد اللطيف البغدادى أثناء إحدى المآدب فى احتفالات الوحدة



السيد عبد اللطيف البغدادى أثناء مغادرته لمطار القاهرة فى طريقه إلى ألمانيا



السيد عبد اللطيف البغدادى لحظة وصوله إلى المطار فى ألمانيا وكان فى استقباله السيد ايرهارد رئيس الوزراء



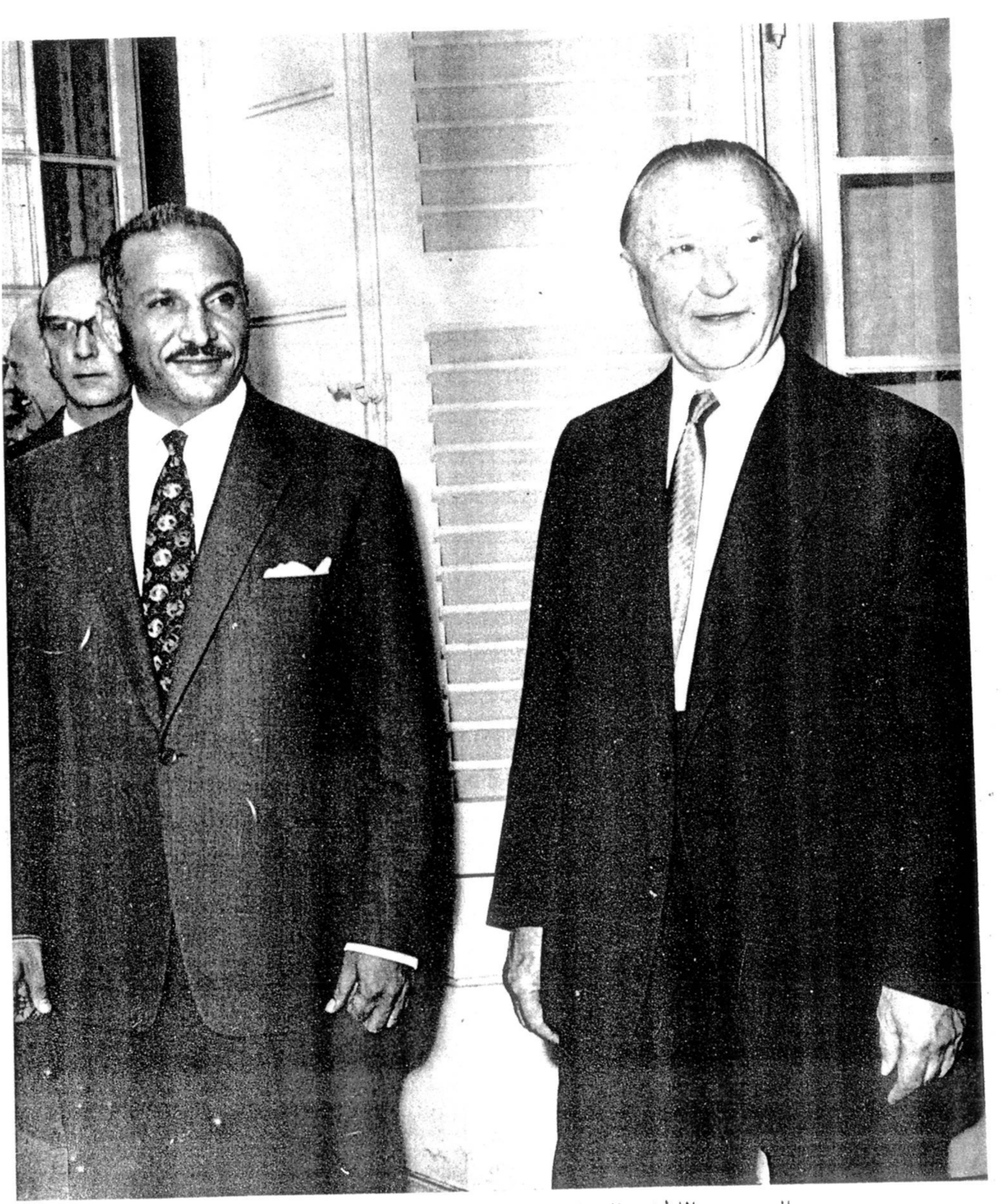
السيد عبد اللطيف البغدادى مع صلاح البيطار أثناء دخوله قصر القبة فى إحدى اجتماعات الرياسة

▲ السيد عبد اللطيف البغدادى فى أحد اجتماعات مجلس الأمة

▼ السيد عبد اللطيف البغدادى فى أحد الاستقبالات الشعبية

▲ عبد اللطيف البغدادى فى إحدى مواقع العمل فى ألمانيا

▼ عبد اللطيف البغدادى يقدم عزيز صدقى إلى اديناور فى آلمانيا



السيد عبد اللطيف البغدادى مع السيد اديناور فى قصر شامبورج

محتويات الجزء الثانى
من مذكرات البغــدادى

الباب الثالث

ثورة الموصل ودور الجمهورية العربية المتحدة

فتور علاقة عبد الكريم قاسم بعبد السلام عارف ـ عزل قاسم لعبد السلام عارف ـ محاكمة عارف ـ سيطرة الشيوعيين على العراق ـ تحرك فى الجيش العراقى ضد قاسم ـ طلب المساعدة من الجمهورية العربية المتحدة ـ قيام ثورة بالموصل ضد قاسم ـ تدهور الموقف بالموصل لصالح قاسم ـ قتل الشواف قائد الثورة ـ هروب بعض الثوار إلى سوريا ـ مهاجمة جمال للشيوعيين وقاسم ـ مهاجمة فى محكمة الشعب العراقية لجمال والجمهورية العربية المتحدة ـ فشل الثورة بالموصل ـ محاولة إثارة الشغب داخل الأراضى العراقية ـ مهاجمة خرشوف لجمال ـ مهاجمة جمال للاتحاد السوفييتى ـ تبادل جمال الرسائل مع خرشوف لتهدئة الموقف ـ تحسين علاقة الجمهورية العربية المتحدة مع دول المشرق العربى ـ وضع حجر الأساس لمشروع السد العالى ـ موافقة الحكومة الروسية على تمويل باقى مراحل مشروع السد العالى ـ قيام عبد السلام عارف والبعثيين بانقلاب ضد قاسم ـ مقتل قاسم وبعض أعوانه .

الباب الرابع
الانفصـــال

الباب الخامس
إعـادة التنظـيم

الباب السادس
الشك بين جمال وعبد الحكيم

الباب السابع
الاستقالة

الباب الثامن

حرب يونيو ١٩٦٧